

من أثبت المعاد الجسماني؟

المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحد الأحسائي



تأليف
الشيخ إبراهيم القديم

من أثبت المعاد الجسماني؟
المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي



موقع الأوحـد
Awhad.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ



الباقيات الصالحات
للطباعة والنشر

اسم الكتاب: من أثبت المعاد الجسماني ؟ المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحى الأحسائي

المؤلف: الشيخ إبراهيم القديم

مصمم الغلاف: حيدر المعاتيق

الناشر: دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر - بيروت - بئر العبد

للتواصل: DarAlBaqyatAlSalihat@gmail.com

من أثبت المعاد الجسماني؟

المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحى الأحسائي

تأليف

الشيخ إبراهيم القديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

مولاي.. الشيخ الأوحـد الأحسائي ، ما دامت روحك الآن في عالم
البرزخ ؛ فهل ثمة طريقة نخبرنا بها :

كيف رأيتَ ما قاله محمد وآل محمد ﷺ في المعاد الجسماني ؟

وهو ما حاولت أن تعيد بيان معناه مراراً في نظريتك

حدثنا يا مولاي.. لعلنا نرتوي ، ولعل غيرنا يهتدي :

كيف عاد الجسد العنصري إلى عناصره الأرضية الكثيفة ؟

وكيف يبقَ الجسد الأصلي لطيفاً مستديراً في القبر ؟

وكيف هي الروح في عالم البرزخ باقيةً بالجسم العرضي الكامن في

داخله الجسم الأصلي ؟

علك يا مولاي.. تكمل لمن جهلوا كلماتك ، وشكوا في آرائك :

كيف تخلع الروح الجسم العرضي بعد نفخة الصعق ؟

وكيف تحل الروح الجسم الأصلي وتمضي معه إلى الجسد الأصلي ؟

ثم يخرج في يوم القيامة ؛ فيثاب ويعذب بهما ، لا بتلك الغرائب التي

لحقته في أثناء تنزله .

إلى روح الشيخ الأوحـد الأحسائي

أهدي هذا الكتاب

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد
وآله الطيبين الطاهرين .

يحق لك - عزيزي القارئ - أن تسأل عن الغاية من الكتابة في
موضوع لمسألة مشبعة بالبحث كمسألة المعاد ، فأبحاثها قد بلغت حداً
من الغنى يدفع الكثير من الباحثين إلى الإعراض عنها .
بمعنى آخر ، إن موضوع هذه المسألة أصبح مستهلكاً في عرصة
الأبحاث ، وإعادة الكتابة فيه لا تخلو من المخاطر المتنبأ بحدوثها ، ومنها
حشور رفوف المكتبات بصفحات متكررة مصير الموت أقرب إليها من
نسمة الحياة .

ولكن ، طالما كنت متيقناً بأن البحث في مسألة المعاد من الأبحاث
التي تتنوع فيها زوايا النظر ، وتختلف مظاهر المعالجة ، وكذلك أطر
البيان المتخذة ؛ كالإطار القرآني أو الروائي أو الاستدلالي النظري أو
التجديدي المقارب لأفق الفكر المعاصر ، وغير ذلك .

فهي ليست مسألة تجمد بكثرة التناول ، بل إن الكثرة تكشف عن أدق تفاصيلها ، وتزيد من عمق حقيقتها ، وتخضع أغوار الأذهان إلى التسليم بأيدولوجيتها ؛ خصوصاً وأنها من الأصول العقائدية في الإسلام ، والإنسان هو أحد المحاور المركزية فيها ، فإن هناك الكثير من قيمه الحياتية وسلوكه الأخلاقية التي تبنى على إقراره ويقينه بوجود عالم المعاد ؛ فموضوعها لا ينحصر إذاً في دائرة الإثبات والنفي فقط ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك .

وعلى هذا اليقين شمرت السواعد لإنشاء بحث علمي في موضوع مسألة المعاد ؛ فجاءت النتائج مفاجئة بصورة كبيرة !
حيث إن البعض منها أضاف حقائق جديدة على موضوع هذه المسألة ، والبعض الآخر غير العديد من جوانب الخلفية المعرفية التي كنت أكتنفها مسبقاً ؛ فعلى سبيل المثال :

١- وجدت أن الكثير من الأبحاث التي كتبت في موضوع هذه المسألة لم ترتبط بمصادقها المباشر ، وهو المعاد في يوم القيامة ، بالرغم من أن عناوينها توجت بذلك ؛ وإنما انصب حديثها في مواضيع أخرى ، كأحوال الموت والقبر ، وعالم البرزخ ، والأمور التي تلي المعاد ، كالنشر ، والحساب ، والميزان ، وغيرها .

٢- وجدت أن أصل مسألة المعاد مما هو ثابت ومتفق عليه عند أهل الشرائع السماوية كافة ، وأن الأديان الوضعية واعتقادات الحضارات القديمة وإن تضمنت العديد من الأساطير والخرافات والأمور البعيدة عن تصريحات النصوص الوحيانية ؛ إلا أن الكثير منها قد آمن بفكرة المعاد لحد ما ، ورتب بعضهم أموراً كثيرة على ذلك ، كالإيمان بالحياة بعد الموت ، وبالجزاء على الثواب والعقاب ، وغير ذلك.

٣- وجدت أن الأقوال في مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية اتفقت على المعاد الروحاني شرعاً وعقلاً ، وكذلك اتفقت على المعاد الجسماني من الناحية الشرعية ، أما من ناحية إثبات كلفته عقلاً فوق الخلاف في ذلك ، وبثت فيه النظريات والآراء المختلفة ، وهذا هو الأصل الذي دارت عليها أغلب بحوث المسألة (وهو إثبات المعاد الجسماني عقلاً).

٤- وجدت أن هناك عدداً من الباحثين لم يكن مهتماً بفهم الأقوال والآراء - والنظريات التي جاءت في موضوع هذه المسألة - بالصورة الفلسفية التي تفصح عن مرادات أصحابها ، فإن مسألة المعاد وإن كانت في الحقيقة مسألة دينية ؛ إلا أن منهجيتها انساقت بشكل أكبر وأكثر باللغة الفلسفية المتكئة على الفهم الديني.

فوق التناقض بين آراء الكثير منهم ، وبالتالي بين نتائجهم ؛ فإنه من السهولة العثور على رأيين متضاربين يدور بينهما الصراع حول شخصية معينة ؛ كذهاب البعض إلى أن العالم الإسلامي ابن سينا من القائلين بالمعاد الروحاني ، وآخرون إلى أنه من القائلين بالمعاد الجسماني ، وهكذا مع غيره من الفلاسفة أو العلماء الذين تعرضوا لتحقيق هذه المسألة.

٥- وجدت أن الكثير من الأبحاث لم تتطرق أو غفلت - عمداً أو سهواً - عن نظريات بعض الشخصيات الهامة التي كان لها رأي علمي ذو أثر كبير على مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية ؛ كنظرية الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، المعروف بالشيخ الأوحّد الأحسائي . فإن له نظرية في هذه المسألة ، توصل فيها إلى إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً - وهو كما قلنا الأصل الذي دار عليه الخلاف في موضوعها - ، ويلاحظ عليها أنها قد خلت من الهفوات الفلسفية ، ومن الشطحات الشخصية ، ومن المزاجية بين الدين والفلسفة والتصوف لتفنيدها أو تأكيدها ، وصيغت مباشرة من الأصول الشرعية ؛ أي : من الكتاب والسنة والعقل المستنير بنورهما .

ولعل غياب نظرية كتلك من ساحة الأبحاث جاء كأثر من آثار انعكاس عدم وضع الشيخ الأوحـد الأحسائي بعد في المكان الذي يناسبه في دائرة مفكري الإسلام الكبار وفلاسفته ومبدعيه.

فحتى الآن لم يأخذ موقعه الذي يستحقه في سياق التطور الفكري والحضاري، ولم يسبر غور حكمته بالشكل الذي يكشف عن الأبعاد الحقيقية للأبحاث الميتافيزيقية التي أنشأها، ولم يتفحص بعمق كافِ القيمة الواقعية لرؤاه وتصوراته، ولم يتم بشكل مُرضٍ تفحص جهده العقلي في سياق مقارن بغيره لتأكد مكانته العالية.

فالعناية به لم تبلغ حد العناية بأمثاله الذين قدموا عطاءً واسعاً في فضاء الفكر الفلسفي الإسلامي؛ كابن سينا، والشيخ الطوسي، وشيخ الإشراق، والملا صدرا الشيرازي، وغيرهم.

نعم، هناك كتابات تناولت شخصيته وأفكاره ورؤاه وتصوراته؛ ولكن معظمها كان متجهاً نحو الجانب السلبي - كتكفيره في مسألة المعاد الجسماني - أكثر من الجانب الإيجابي الذي يظهر لنا ما يحمله منهج مدرسته من تراث أصيل^(١).

(١) طبعاً هناك كتابات إيجابية أنصفت الشيخ الأوحـد الأحسائي، وأخرى شرحت ودافعت عن أفكاره، كالتي جاءت من قبل تلامذته وحملة منهجه وغيرهم، ولكننا لا نقصد هذه، بل نريد ذلك العدد الذي جاء في جانب الافتراء عليه أكثر من جانب التدقيق المنصف في كلماته.

من هنا، انصبت الغاية الأولى لهذا البحث في أمر الكشف عن حقيقة رأي الشيخ الأوحّد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني، وفي بيان نظريته التي قدم فيها مدعىً رُسم على منواله خطة البحث.

حيث إنه قال - في كتابه شرح العرشية -: (وأما الحشر فلا يرتابون فيه؛ إلا أن حشر الأرواح قام عليه الدليل العقلي والنقلي عندهم. وأما حشر الأجساد فلم يثبتوه إلا من النقل، وقالوا: إن العقل لا يدل عليه، ونحن قد أشرنا إليه من جهة العقل... بحيث يكاد يصل إلى حد الضرورة من جهة العقل)^(١).

فإن هذه العبارة ستوقف الباحث المنصف؛ لأنها تحمل الكثير من الموازين، وتؤدي إلى هدم العديد من نتائج الأبحاث التي تم تناولها في موضوع هذه المسألة.

فلا تعني كلماته إلا شيئاً واحداً، وهو أن جميع من جاء قبله - من الحكماء والمتكلمين والفلاسفة - لم يستطع إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً، وأنه فقط من تمكن من ذلك!

(١) شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٢ ص ١٤٨.

وتبرز أهمية التحقيق في هذا المدعى في استقامة البحث المنوطة بالرجوع إلى كلمات من كان قبله في مسألة المعاد بشكل عام، والمعاد الجسماني بشكل خاص، ولو بالصورة المقتضبة التي تعطينا تصوراً عاماً عن حقيقة ذلك.

فإن ثبتت مقدمة مدّعه، وهو عدم تمكنهم من إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً، وثبت جوهرها، وهو جدارة نظريته في حل معضلة المعاد الجسماني عقلاً؛ فتلك مزية تحسب له في ميدان الفكر الإنساني، ونقطة لأبد من تدوينها في ساحة الفكر الإسلامي.

وبما مر كله؛ تبرز فصول البحث التي انتظمت في خمسة، وهي:

الفصل الأول: تعريف المعاد وتحديد مصداق البحث.

الفصل الثاني: الحياة بعد الموت في الأديان والحضارات القديمة.

الفصل الثالث: مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية.

الفصل الرابع: مسألة المعاد عند الملا صدرا الشيرازي.

الفصل الخامس: مسألة المعاد عند الشيخ الأوحاد الأحسائي.

هذا وقد شمل كل فصل منها على تمهيد يبين مطالبه، وتضمنت بعض المطالب عدة نقاط لتسهيل المواضيع المبحوث فيها، ثم تلتها خاتمة للبحث.

ولعل سائلاً يسأل: هل جاء هذا البحث في سلك الدفاع عن شخصية وأفكار الشيخ الأوحـد الأحسائي؟

وأقول: أياً كانت الكيفية والصورة التي يترجم بها غاية البحث؛ فإنني وجدت أن هذا الكتاب يشكل إضافة هامة وقيمة للمكتبة الإسلامية والفلسفية على حد سواء، ويعود ليفتح الباب أمام بحث المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي، ممهداً الطريق نحو طروحات أخرى قد يمكن تناولها فيما يلي من الزمن؛ فالكتاب هذا ما هو إلا خطوة في درب طويلة يبعد أمدّها.

ومن ناحية أخرى، هناك الكثير من الكتابات التي جاءت في دفاعها عن الشيخ الأوحـد الأحسائي في موضوع مسألة المعاد الجسماني، وجميعها اكتست بحلة من التحقيق والتدقيق لا مفر من الاعتراف بمدى قوتها؛ ولكنني ارتأيت إعادة الكتابة في هذا الموضوع بصورة أخرى تتلاءم مع مجريات الطبيعة الزمانية والمكانية الراهنة.

وأخيراً: أرجو من الله العليّ القدير أن ينال بحثي المتواضع هذا الرضا والقبول، كما أرجوا أن يسهم إسهاماً متواضعاً في مجال الدراسات التي تعتني بمنهج مدرسة الشيخ الأوحـد الأحسائي.

ولا يفوتني في نهاية هذه الدراسة المتواضعة أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير ، وأسمى آيات العرفان لجناب المولى الميرزا عبدالله الحائري الإحقاقي ؛ فإن تشجيعه هو الحافز الأكبر على الاستمرار ، إلى جانب توجيهي وإرشادي ورعايته لأعمالي ، فله مني حق الطاعة والولاء .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل المحقق الكبير الشيخ عبدالمنعم العمران الأحسائي ، الذي يعينني دائماً على جمع المواد العلمية وترتيبها ، وإمدادي بذخائر التوجيهات في أصعب المعضلات التي أتعرض لها أثناء الأبحاث ؛ فله مني عظيم الشكر والامتنان ، وحق التلميذ البار لأستاذه المخلص في تربيته وتهذيبه .

ويسعدني أيضاً أن أعبر عن عميق شكري إلى الجهة المقدم لها هذا البحث ، للمشاركة به في المسابقة الدولية الأولى لمدرسة الشيخ الأوحـد - أعلى الله مقامه - ؛ طالباً من المولى ﷺ أن يوفقني ويوفقهم^(١) .

الشيخ إبراهيم القديم

الأحساء

(١) فاز هذا البحث بالمركز الثالث في هذه المسابقة بعنوان المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي ، وأضيف على عنوانه "من أثبت المعاد الجسماني؟" أثناء الطباعة .

الفصل الأول:

تعريف المعاد وتحديد مصداق البحث

تمهيد الفصل الأول

من أهم المعايير التي تمثل أعمدة البحث الجيد، هو اهتمام الباحث قبل الشروع في بحثه بالجزء المرتبط بمفاهيم ومصطلحات^(١) البحث، وكذلك تحديد دلالتها أو ما ينطبق عليها من مصاديق^(٢)، فيبينها ويجلوها حتى يتمكن من إقامة علاقة اتصال وثيقة بينه وبين القارئ بصورة لا يكتنفها الغموض أو اللبس.

ولتحقيق الخطوة الأولى - بيان المفاهيم والمصطلحات -: فيجب تعريفها بألفاظ محددة مفهومة تعبر تعبيراً دقيقاً عن المعنى ؛ فإذا لم تتضح المعاني الأصلية للبحث قد لا يمكن فهم مسأله بالشكل المراد منها. أما لتحقيق الخطوة الثانية - تحديد الدلالات أو المصاديق -: فيجب تحديد الواقع منها ضمن إطار البحث ، وتمييزها عن تلك المتداخلة أو المتقاربة أو المتباعدة ، أو حتى المتضاربة إن أمكن ؛ وذلك لأن المفهوم والمصطلح قد يدلان على أشياء كثيرة في نفس الآن.

(١) الفرق بين المفهوم والمصطلح : المفهوم يركز على الصورة الذهنية ، أما المصطلح فإنه يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم.

(٢) المصداق : ما ينطبق عليه المفهوم ، أو حقيقة الشيء الذي تنزع منه الصورة الذهنية.

فإذا تمت هاتان الخطوتان يكون الباحث قد ساهم مساهمة كبيرة في سبك التصور الواضح الذي ترمز إليه مفردات ومصطلحات بحثه، وكذلك حدد المسار الذي ستجري فيه مواضيع وأفكار المطالب المتناولة.

من هنا، جاءت مطالب هذا الفصل في مطلبين، وهما:

الأول: تعريف المعاد.

الثاني: تحديد مصداق المعاد في البحث.

المطلب الأول: تعريف المعاد

يجب أن ندرك أن هناك فرقاً بين التعريف لغة واصطلاحاً.
فالأول: يطلق على المعنى الذي استعملته العرب للكلمة ؛ أي :
تحديد المعنى المقصود من اللفظ ، أو ما يراد منه في اللغة .
والثاني: يطلق على المعنى الذي اصطلح أهل الفن على إعطائه
لتلك الكلمة ؛ أي : مراد ومقصود العلماء الذين وقع المعنى المبحوث
عنه ضمن أبحاثهم ، كالفلاسفة والمتكلمين ، وغيرهم .
فقد يتسع ويضيق تعريف مفهوم أو مصطلح المعاد ، وقد تشترك
وتختلف دلالاته أو مصاديقه ؛ تبعاً للتعريف في اللغة ، ولجهات التعريف
في الاصطلاح ، فيقال مثلاً : تعريف المعاد - اصطلاحاً - عند الفلاسفة ،
وتعريف المعاد عند المتكلمين .. إلخ .

المعاد لغة :

في المعجم الوسيط : (المعاد : هو الحياة الآخرة ، والمرجع
والمصير)^(١) .

(١) المعجم الوسيط : ص ٦٣٥ .

وفي الصحاح: (المعاد) (بالفتح): المرجع والمصير، والآخرة معاد الخلق^(١).

وفي مقاييس اللغة: (العود: يقال: رجع عوداً على بدء، ورجع عوده على بدئه.. المعاد: كل شيء إليه المصير، والآخرة: معاد الناس)^(٢).

وفي القاموس المحيط: المعاد هو: (المصير والرجع، ورجع عوداً على بدء)^(٣).

ومن خلال هذه الأقوال يتبين لنا:

١- إن الأصل اللغوي للمعاد مأخوذ من العود، بمعنى: المرجع والمصير.

وهو يستعمل تارة بمعنى اسم الزمان، ويراد به زمان العود، فيكون اصطلاحاً خاصاً ليوم القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾^(٤)، وتارة بمعنى اسم المكان؛ ويراد به مكان العود، فيكون اصطلاحاً خاصاً

(١) المختار من صحاح اللغة - السبكي: ص ٣٦٢.

(٢) مقاييس اللغة - ابن فارس: ج ٤ ص ١٨١.

(٣) القاموس المحيط - الفيروز آبادي: ج ١ ص ٣٠٣.

(٤) سورة المؤمنون: (١٦).

بالآخرة ومكان الحشر والنشر، وتارة بمعنى المصدر، ويراد به أصل الحدث، أو الشيء الذي يقع متعلقاً للرجوع والعود^(١)، وهو عودة الأرواح إلى الأجساد، فيكون اصطلاحاً خاصاً للأرواح والأجساد، فيقال: المعاد الروحاني والمعاد الجسماني.

٢- إن هناك فرقاً بين كلمة (المعاد) و(الميعاد)؛ فالمعاد من عاد من العود، والميعاد من وعد؛ أي: الوعد والموعد، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾^(٣).

٣- يتبين لنا مما ورد في المعاجم اللغوية من معاني الكلمات التي وردت في النصوص الشرعية؛ كالبعث، والحشر، والنشر - وغيرها -، أنها مرادفة لكلمة المعاد؛ أي: إن لها مصداقاً واحداً تدل عليه، وإن اختلفت في مفهومها.

(١) في لسان العرب: المعاد (وهو إما مصدر أو ظرف). لسان العرب - ابن منظور: مج ٤ ص ٣١٥٨.

(٢) سورة آل عمران: (٩).

(٣) سورة الزمر: (٢٠).

فالبعث في كلام العرب على وجهين :

الأول : الإرسال ، كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾^(١) .

الثاني : الإحياء من الله للموتى ، وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث^(٢) ، كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٤) .

والحشر من معانيه في اللغة : الجمع ، حشرهم يحشرهم ، ويحشرهم حشراً : أي : جمعهم يوم القيامة^(٥) ، كما قال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٦) ، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٧) .

(١) سورة الأعراف : (١٠٣) .

(٢) لسان العرب - ابن منظور : مج ٢ ص ١١٧ .

(٣) سورة البقرة : (٥٦) .

(٤) سورة الحج : (٧) .

(٥) لسان العرب - ابن منظور : مج ٤ ص ١٩٠ .

(٦) سورة الأنعام : (٣٨) .

(٧) سورة مريم : (٨٥) .

والنشر من معانيه في اللغة: البسط، يقال: نشر عنه وانتشر: انبسط^(١)، وأيضاً يأتي النشر بمعنى: البعث والإحياء، يقال: نشر الله الميت ينشره نشرًا، ونشورًا وأنشره، فنشر الميت: إحياءه^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾^(٣).

وعلى ذلك، قد يعبر عن المعاد بالبعث؛ أي: بعث الموتى إحياءهم، وقد يعبر عنه بالحشر والنشر، أو بيوم القيامة أو الآخرة، وغير ذلك من مفاهيم مختلفة ولكنها متفقة في المصداق المراد لغة، وهو إحياء الموتى في يوم القيامة.

المعاد اصطلاحاً:

في الصورة العامة لا يختلف تعريف المعاد اصطلاحاً عما ذكر في اللغة، فهو: إحياء الموتى، أو عودة الأرواح إلى الأجسام بعد الموت في يوم القيامة لنيل الثواب أو العقاب.

(١) القاموس المحيط - الفيروز آبادي: ج ١ ص ٤٥٩.

(٢) لسان العرب - ابن منظور: مج ٥ ص ٢٠٦.

(٣) سورة فاطر: (٩).

أما في الصورة الخاصة، فقد عُرف المعاد اصطلاحاً بتعاريف عديدة أخذ في رسمها جهات المبنى الذي يتبناه صاحب التعريف؛ فاختلفت دلالاته من النواحي التي ارتبطت بتلك المباني، ومنها:

- ١- إمكان المعاد، هل يمكن وقوعه أم لا؟
- ٢- حقيقة متعلق المعاد، هل هو الروح أو الجسم، أم هما معاً؟
- ٣- حقيقة كلفيته، ككيفية إعادة الجسم مثلاً، هل تعود مادته وصورته من دون تغيير وتبدل، أو تعود صورته دون مادته، أو تعود مادته وإن تبدلت صورته وتغيرت، أو غير ذلك.
- ٤- حقيقة المعاد، هل هي إيجاد بعد الفناء والعدم، أم أنها تركيب بعد التفريق؟ وهذا المبنى يرتبط أساساً بحقيقة الموت، هل الموت فناء وعدم؟ فيكون المعاد إيجاداً، أم أنه انتقال من دار إلى دار؟ فيكون المعاد عن تفريق، أي: إن الله - سبحانه وتعالى - يفرق الأجزاء ثم يعيد تركيبها.

وبما أن جميع هذه الأمور ستوضح لاحقاً؛ فلنكتفِ بذكر بعض تعاريفات المعاد الواقعة في طيات البحث فقط:

قيل - عند المتكلمين (الخواجة نصير الدين الطوسي^(١)): (المعاد هو إعادة تلك الأجزاء الأصلية، أو النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية، أما الأجسام المتصلة بتلك الأجزاء فلا يجب إعادتها بعينها)^(٢).

وقيل - عند الفلاسفة (ابن سينا^(٣)) -: (المعاد مشتق في لغة العرب من العود، وإنه في حقيقته اسم مكان العود، أو الحالة التي يكون عليها الشيء في هذا المكان بعد أن يكون قد باينه مدة، ثم رجع إليها بعدها، ثم استعمل فيما بعد بمعنى الموضوع الذي يصير إليه الإنسان بعد الموت)^(٤).

وعرفه الملا صدر الشيرازي^(٥): هو عودة صور الأجساد دون موادها^(٦).

(١) هو أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، المشتهر بنصير الدين الطوسي، ولد في طوس عام (٥٩٧هـ)، من كبار فلاسفة وتكلمني الشيعة، من مؤلفاته: تجريد العقائد، التذكرة في علم الهيئة، وغيرهما، توفي في بغداد عام (٦٧٢هـ)، ودفن في الكاظمية.

(٢) كشف المراد - العلامة الحلي: ص ٤٣١-٤٣٢.

(٣) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي البخاري، ولد في قرية أفشنه بالقرب من بخارى عام (٣٧٠هـ)، من كبار فلاسفة الشيعة، لاسيما في موضوعات المنطق والميتافيزيقيا والرياضيات والطب، وغيرهما. توفي في همدان سنة (٤٢٧هـ).

(٤) الأضحوية في المعاد - ابن سينا: ص ٣٦-٣٧.

(٥) سوف تأتي مختصر سيرته لاحقاً.

(٦) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٥٢.

وعرفه الشيخ الأوحـد الأحسائي^(١) : هو عودـة نفس مواد الأجساد
متصفـة بصورة العمل^(٢).

(١) سوف تأتي مختصر سيرته لاحقاً.

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٧٤.

المطلب الثاني: تحديد مصداق المعاد في البحث

إذا نظرنا إلى متون الكتب التي تتحدث عن موضوع مسألة المعاد ؛ كالكتب الكلامية والفلسفية وغيرهما ، فسوف نجد أن موضوعها شائك ومعقد وصعب في الآن نفسه ، ومن الأسباب التي تجعل الأمر كذلك :

١- استخدام الصياغة المركبة ذات المذاق والأسلوب والمصطلحات الخاصة التي تحتاج إلى الفهم العميق لمعرفة المرادات والمقاصد منها بصورة أكثر من اللجوء إلى الشفافية والوضوح في العبارات.

٢ - استغراق العديد من البحوث في المواضيع التي ترتبط ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر بمسألة المعاد ؛ كالموت ، ومنازل القبر ، وعالم البرزخ ، ومنازل الآخرة.. إلخ.

وهكذا قد يضيع البحث في الجوانب البعيدة عن أصله ، أو قد ينصب الاهتمام بالأمر الثانوي على حساب الأمور الرئيسية.

٣- عدم الاهتمام بالتفريق بين مصاديق عودة الأرواح إلى الأجساد بعد مفارقتها ، وتمييز المرتبط منها بمسألة المعاد عن غيرها ؛ وذلك قد يؤدي إلى الفهم الخاطئ لآراء البعض في هذه المسألة ، أو إحلال الفروع محل الأصول والعكس ، وغير ذلك.

فإن المتبادر أو الصورة الذهنية المرتسمة في الذهن عند إطلاق كلمة المعاد - أو ما يرادفها ، أو يرتبط بها - في لسان الشارع ، هو عودة الأرواح إلى الأجساد في يوم القيامة الكبرى ، فهذا مما لا خلاف عليه عند الجميع .

ولكن ؛ هل يمكن أن تفارق الأرواح الأجساد وتعود إليها في غير ذلك الموطن ؟

الجواب : نعم ، يمكن ذلك ، كما :

أ - في الدنيا : كمن عادت روحه إلى جسده بعد موته بمعجزة ؛ كما جاء في الآيات القرآنية - في آرميا أو العزيز^(١) - في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِثَّةَ عَامٍ فَاَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) ، وكما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : «ولقد سأله قريش إحياء ميت ، كفعل عيسى عليه السلام ، فدعاني ثم

(١) هناك اختلاف في صاحب هذه القصة . انظر / بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ١٤ ص ٣٧٨ .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٩) .

وشحني ببردة السحاب ، ثم قال : انطلق يا علي مع القوم إلى المقابر ، فأحي لهم بإذن الله من سألوك من آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وعشائريهم .

فانطلقت معهم ، فدعوت الله تبارك وتعالى باسمه الأعظم ، فقاموا من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم بإذن الله تعالى جلت عظمته^(١) .

أو كما يحدث في تشخيص بعض الحالات الطبية وغيرها التي يحكم فيها على الإنسان بالموت ؛ أي : مفارقة الروح الجسد ، وبعد ساعات أو حتى أيام تعود إليه الحياة ، أو تعود روحه إلى جسده .

ب - في الرجعة : ويراد بها في الأصل : (رجوع الأموات إلى الدنيا ، كأنهم خرجوا منها ورجعوا إليها)^(٢) .

والذين تكون لهم خصوص هذه الرجعة هم من محض الإيمان محضاً ، ومن محض الكفر محضاً^(٣) ، لا مطلق الأموات .

(١) الثاقب في المناقب - الطوسي : ب ١ / في ذكر طرف من معجزات نبينا محمد ﷺ / ف ١٢ / في ظهور آياته في إحياء الموتى / ح ١٨٣ ص ٩٤ .

(٢) رسالة في العصمة والرجعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ الأوحدي الأحسائي : ج ٤ ص ١١٥ .

(٣) رسالة في العصمة والرجعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ الأوحدي الأحسائي : ج ٤ ص ٣٠٧ .

ج - بعد الموت ، كما في القبر إذا وضع الميت وأتاه رومان فتان القبور ، فإن روحه تعود إلى صدره ليكتب أعماله^(١).

أو كما في عالم البرزخ ، وهو الفترة الواقعة من حين الموت إلى حين نفخة الصعق ؛ أي : الفترة البرزخية بين الحياة الدنيا وحياة يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿وَمِن رَّائِهِم بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) ، ففيها تعود روح^(٣) من محض الإيمان محضاً أو من محض الكفر محضاً إلى الجسم البرزخي في عالم البرزخ لينعم في جنان الدنيا أو يعذب في نيرانها ، وتبقى فيه إلى نفخ الصعق قبل يوم القيامة^(٤).

فيتضح من هذه الأمثلة إمكان عودة الأرواح إلى الأجساد في غير يوم القيامة الكبرى.

وبالطبع ، لا يمكن حمل هذه المصاديق على خصوص مصداق مسألة المعاد ، وإن اشتركت معه في مفهوم العودة ؛ لأن المواطن تختلف ،

(١) أحوال البرزخ والآخرة - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ص ٤٩.

(٢) سورة المؤمنون : (١٠٠).

(٣) عودة الروح إلى الجسم البرزخي لا يعني ذلك أنها فارقت بعد الحياة الدنيا فعادت إليه في قوس صعودها ، بل هي فيه في الجسد العنصري ، وعندما يضمحل الجسد العنصري تخرج به إلى عالم البرزخ لابساً إياه ، وهذا مرادنا من عودتها هنا ، أي : حياتها في عالم البرزخ لا غير.

(٤) شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ٢ ص ١٨٢.

وكذلك الأمور المترتبة على دلالة المصداق ؛ كالحساب الأخروي ،
والجنة والنار الأخرويتين ، وغير ذلك .

الفصل الثاني:

الحياة بعد الموت في الأديان والحضارات القديمة

تمهيد الفصل الثاني

منذ أن حط الإنسان قدمه على وجه البسيطة حتى بدأ التفاعل بينه وبين الطبيعة يأخذ مجراه كسنة من سنن وجوده في رحابها، وعن طريق هذا التفاعل المتبادل سعى إلى الاستفادة القصوى من الموارد والثروات الموجودة عليها وفي أعماقها ليحولها إلى نتاج يعتمد عليه في جميع شؤون حياته.

ومن المؤكد أن عملية استفادته مرت بمراحل عديدة تزامنت مع نمو حاجاته وتطوره، وغير ذلك.

فعلى سبيل المثال: استعان في بادئ الأمر بالمواد الأولية المتوفرة أمامه؛ كالأوراق والأغصان لبناء مسكنه، ثم نحت البيوت في الجبال، وأدخل الجلود والأصواف والأوبار في حاجاته، وهكذا أخذت تتنامى عملية البناء تدريجياً حتى أصبح يتقن تطويع المواد الأولية الطبيعية، كتحويله الحجارة إلى أشكال هندسية تظهر جمال عمارته، أو معالجتها لتكون أكثر صلابة ومقاومة للظروف البيئية، وغيرها.

وهكذا جاءت الاستفادة في جميع المجالات الأخرى التي تتدخل أو ترتبط بحياته، كالمأكل والمشرب والملبس والنقل وغير ذلك؛ فحتماً أن

أساسات جميع هذه الأشياء تعود إلى موارد الطبيعة، وقد وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم خلال رحلة طويلة قضاها الإنسان في تجارب الفشل والنجاح.

ولكن ؛ كيف استطاع الإنسان قديماً فعل ذلك؟
بمعنى آخر، كيف طوع موارد الطبيعة في حاجته تلك؟ فتعلم بناء المسكن، وصنع اللباس، وكيفية الصيد.. إلخ.
لقد تمكن من ذلك وأكثر من خلال طريقين، وهما:

الأول: الكتاب التدويني

وهو الكتب والصحف السماوية التي أنزلها الخالق سبحانه وتعالى على حججه على خلقه، وهم الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام؛ ليدعو الناس إلى طريق عبادته، فما من أمة إلا وكان فيها نذير، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١).

فإن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان لم يدعه وحده في هذه الحياة، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٢)، بل أنزل عليه الكتاب التدويني الذي تزامن مع بدء وجوده على هذه الأرض.

(١) سورة فاطر: (٢٤).

(٢) سورة القيامة: (٣٦).

وكما أنه أرشده إلى الطريق الأقوم في عبادته ، تكفل أيضاً بهدأيته وإرشاده إلى المنهج الأمثل فيما يصلح معاشه ، ويضمن استقراره في أثناء بقاءه على هذه الأرض.

فمثلاً : قال سبحانه وتعالى في إرشاده إلى اللباس : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾^(١).

وفي إرشاده إلى المسكن : ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾^(٢) ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾^(٣).

وفي إرشاده إلى الطعام والشراب : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيبَةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٤) ، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾^(٥) ، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٦).

(١) سورة الأعراف : (٢٦).

(٢) سورة الأعراف : (٧٤).

(٣) سورة النحل : (٨٠).

(٤) سورة النحل : (١٤).

(٥) سورة البقرة : (١٧٣).

(٦) سورة الأعراف : (٣١).

الثاني : الكتاب التكويني

وهو الآيات الآفاقية والأنفسية التي لا حصر لها ؛ فالله سبحانه وتعالى وضع في كل نواحي كونه ، في سمائه وأرضه وبحاره ، وفي جميع أصناف مخلوقاته ، وفيها ؛ آيات تنطق بوجوده ، وتشهد بعظمته ، وتدل عليه دلالة استدلال بأنه الإله الخالق .

كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾^(١) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ^(٢) ، وقوله : ﴿سُرْبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) .

وحتى يدرك الإنسان تلك الآيات المودعة في كل شيء على ما هي عليه من حقائق المعنى ، أودع فيه قوة العقل الفطري ، وخاطب العقول في كل الأزمان وحثها على التفكير والتأمل في ملكوته ، فقال : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٣) .

وقد شكل وجود تلك الآيات بشتى أنواعها مع التفكير في حقائقها أحد أهم المصادر المعرفية لدى الإنسان ، إذ لم تقتصر استفادته منها في

(١) سورة الذاريات : (٢٠-٢١) .

(٢) سورة فصلت : (٥٣) .

(٣) سورة الحج : (٤٦) .

جانب توحيده سبحانه وتعالى فحسب ؛ بل علمه منها ما لم يكن يعلم الشيء الكثير ؛ فكم من معرفة تشكلت لديه من تفكره وتدبره فيها؟
فمثلاً :

من تفكره في الآيات المودعة في عالم الحيوانات ، علمه صنع الطائرات من الطيور مثلاً ، وصنع السفن من سباحة بعضها ، والأسلحة الحادة من الجارحة من بعضها الآخر ، فالأمر لم يتوقف على مجرد كونها طعاماً له .

ومن تفكره في الآيات المودعة في عالم الفلك ، علمه حساب الوقت لتسهيل أمور حياته من خلال حركة النجوم ، وتعاقب الليل والنهار ، ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١) ، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾^(٢) .

ومن تفكره في وجود الأشياء وفنائها علمه حقيقة الحياة والموت ، ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة النحل : (١٦) .

(٢) سورة الإسراء : (١٢) .

(٣) سورة النحل : (٦٥) .

وكذلك علمه كيفية دفن الميت ، كما في قصة ابني نبي الله آدم عليه السلام - قابيل وهابيل - اللذين قتل أحدهما الآخر ، ولم يدر القاتل كيف يوارى سوءة - جثمان - أخيه ، فبعث الله سبحانه وتعالى له غراباً ليريه ذلك بالطريقة العملية ، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(١).

فبغض النظر عن كشف وتبيان حقائق الأشياء الذي جاء من جانب الكتاب التدويني ؛ فإن الإنسان منذ قديم الزمان أدرك من خلال الآيات الأفاقية والأنفسية - الكتاب التكويني - أصل وجود بعض الحقائق ، كحقيقة الموت.^(٢)

ولكن ؛ إن ما أشغل علماء التاريخ والأثروبولوجيا - وغيرهم - أثناء دراستهم لتأريخ الأديان والحضارات القديمة ، ليس قدرة الإنسان

(١) سورة المائدة : (٣١).

(٢) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي : (ففي الآفاق والأنفس شواهد العلم بتلك مفصلة ، وتوحيد الله وجميع ما يريدته تعالى من عباده ؛ لأنه عز وجل لم يخلق شيئاً إلا وهو دليل ومدلول عليه ، وعلة ومعلول ، وجوهر وعرض ، وسبب ومسبب ، ومنع وممنوع ، وكتاب ومكتوب ، وأجل ومؤجل ، وقدر ومقدر ، إلى غير ذلك ، فافهم ما أشرت إليه لك من أسرار الخلق والخلقة ، مما ظهر به الخالق ، وتعرف به الخلقه). (شرح المشاعر - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ١ ص ٤٨).

على إدراك حقيقة الموت ، فهذا أمر لا جدال فيه ؛ بل اعتقاده بمسألة الحياة بعد الموت ، وكيفية تصويره لذلك ، هما البعدان اللذان نالا الجزء الكبير لديهم في هذه القضية.

فتصدرت هذه التساؤلات عناوين محاورهم :

هل كان الإنسان قديماً يعتقد أو يؤمن بالحياة بعد الموت (المعاد)^(١) ؟

وإذا كان ذلك ، فما هي الكيفية التي أقام عليها اعتقاده ؟

من هنا ، تضمن هذا الفصل ثلاثة مطالب ، وهي :

الأول : الحياة بعد الموت في الأديان السماوية في الحضارات القديمة.

الثاني : الحياة بعد الموت في الأديان الوضعية في الحضارات القديمة.

الثالث : الحياة بعد الموت في الحضارة اليونانية.

(١) الحياة بعد الموت مصطلح عام ، وقد يراد به عدة أمور ، ومنها خلود النفس ، عالم البرزخ ، المعاد في اليوم الآخر أو يوم القيامة ، وغير ذلك.

المطلب الأول: الحياة بعد الموت في الأديان السماوية في الحضارات القديمة

يراد بالدين السماوي: الدين الذي وضعه خالق السماوات والأرض، وهو الله سبحانه وتعالى.

وذكرنا سابقاً أن إنزاله سبحانه وتعالى للكتب السماوية على أنبيائه ورسله وأئمة عليهم السلام قد جاء بالتزامن مع وجود الإنسان على هذه الأرض، وأن الوحي الإلهي تضمن أركاناً أساسية، ومنها أصول العقائد، وأصول الأخلاق، وغير ذلك.

والإيمان بالمعاد - أو باليوم الآخر - من أهم أصول العقائد التي أمر الله سبحانه وتعالى بها كافة البشر، فجاءت بها دعوات جميع خلفائه؛ وهذا ما دلت عليه آيات القرآن الكريم، كما:

١- في خطاب الله سبحانه وتعالى لنبيه آدم عليه السلام: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٦﴾.

٢- فيما جاء على لسان نبي الله نوح عليه السلام: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ﴿١٧﴾.

(١) سورة الأعراف: (٢٤-٢٥).

(٢) سورة نوح: (١٧-١٨).

٣- فيما جاء على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

٤- في خطاب الله سبحانه وتعالى لنبیه موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۖ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾^(٢).

٥- فيما ذكر على لسان قوم نبي الله هود عليه السلام: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۖ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ۖ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ۖ هِيَ هِيَ لِمَا تُوْعَدُونَ ۖ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٣).

٦- فيما جاء على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة: (١٢٦).

(٢) سورة طه: (١٥-١٦).

(٣) سورة المؤمنون: (٣٣-٣٧).

(٤) سورة العنكبوت: (٣٦).

٧- فيما جاء على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(١).

فهذه الآيات - وغيرها - التي استعرضها القرآن الكريم تمثل الدليل البالغ على تأكيد وجود عقيدة الإيمان بالمعاد لدى الرسل جميعاً من لدن النبي آدم عليه السلام إلى نبينا الأعظم محمد عليه السلام؛ فما ذكره البعض من أن الأديان السماوية القديمة كاليهودية والنصرانية لا تعتقد بهذا الأصل^(٢)، ليس بصحيح بناءً على صراحة الدلالة فيها، هذا أولاً.

وثانياً: جاء الاستناد في دعوى النافين لذلك على أمر لا ينفي وجود أصل الإيمان بالمعاد في تلك الأديان السماوية، أو لا يرقى إلى مرتبة الدليل الذي يناهض العدم، وهو:

من المعلوم أن الكتب السماوية للديانة اليهودية والنصرانية لم تبقَ على حالها، بل حرفت بواسطة الأيادي، ففقد وغير وبدل الكثير منها، ولم تعد بعد ذلك مورداً للاطمئنان والاعتماد عليها.

(١) سورة يوسف: (١٠١).

(٢) انظر / التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير- ليوتاكيل: ص ٢٠٧. تاريخ الديانة اليهودية - محمد

خليفة أحمد: ص ٢٢٠.

وهؤلاء استندوا على أن ما ورد في تلك النصوص - التي طالتها يد التحريف والتبديل والتغيير، كالتوراة والتلمود^(١) عند اليهود، وكالعهد القديم^(٢)، والعهد الجديد (أي: الإنجيل^(٣)) عند النصارى - من الإشارات القليلة للحساب والعذاب لا تعني وجوب الاعتقاد بالمعاد؛

(١) التلمود: كانت هناك روايات شفوية تناقلها حاخامات اليهود، حتى جمعها الحاخام (يوزاس) سنة (١٥٠م) في كتاب (المشنا)؛ أي: الشريعة المتكررة، وقد أتم الربابي يهوذا سنة (٢١٦م) تدوين زيادات وروايات شفوية، وتم شرح هذه (المشنا) في كتاب سمي (جمارا)، ومن المشنا والجمارا يتكون (التلمود) الذي هو عبارة عن قواعد دينية لها مكانة مهمة داخل الديانة اليهودية، وقد حفظ التلمود في نسختين: المقدسية (يورشالمي)، والبابلية (بابل). انظر / الأديان في تاريخ شعوب العالم - سيرغى توكاريف: ص ٣٩١.

(٢) العهد القديم عند النصارى هو التوراة الموجودة عند اليهود، ولكنهم لا يأخذون بكل الأسفار الموجودة فيه، والمعتمدة عندهم خمسة أسفار، وهي: سفر التكوين، وفيه أخبار بداية الخلق، وسفر الخروج، ويشمل سيرة نبي الله موسى ﷺ، وسفر اللاويين (الأخبار)، وهو كتاب تشريع يأتي على ذكر الطقوس والقوانين السائدة في الشريعة الموسوية، وسفر العدد، وفيه دونت السلالات والإحصائيات الخاصة بالأسباط اليهودية، وسفر التثنية، وفيه الشريعة الثانية. إمدخل إلى العقيدة المسيحية - الأب توماس ميشال اليسوعي: ص ٢٤٠-٢٥٠.

(٣) الأناجيل التي تعتمد عليها النصرانية أربعة: إنجيل متى، وهو أول الأناجيل في لائحة أسفار العهد الجديد، وإنجيل مرقس، كتب بلهجة وأسلوب الرومان الوثنيين، وإنجيل لوقا، كتبه طبيب يوناني تابع لبولس الرسول بلهجة وأسلوب اليونان، وإنجيل يوحنا، كتبه يوحنا بن زبدي. للمجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: ص ٦٦.

لأن تلك العبارات تدل على الجزاء في الحياة الدنيا ، وليس في الحياة بعد الموت ؛ أي : في يوم القيامة^(١).

ودليل استنادهم لا يمكن الركون إليه مطلقاً ، لأن :

١- النصوص اليهودية الواردة في ذلك صريحة في دلالتها على الحساب الأخروي لا على الدنيوي^(٢) ؛ كما ذكر في العهد القديم : (تحيا أمواتك ، وتقوم الجثث ، استيقظوا ، ترموا يا سكان التراب) ؛ ولذا لم يقبل كبار علماء اليهود ومفكريهم تلك التأويلات والاستدلالات ، فأقروا بعقيدة المعاد أو البعث في يوم القيامة ؛ كما قال سعيد الفيومي^(٣) : (إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة ، فذلك مما أمتنا مجمعة عليه .. إلى أن قال : لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان ، بسبب تشريفه بالطاعة وثمراتها الحياة في دار الجزاء)^(٤).

(١) الإيمان باليوم الآخر بين الفرق اليهودية - د. إبراهيم شعيب زيدان : ص ١٠-٢٦.

(٢) سفر اشعيا - الإصحاح ٢٦ : الجملة (١٩).

(٣) سعيد بن يوسف أبو يعقوب الفيومي ، وبالعبريا سعديا جاؤن ، حاخام وفيلسوف يهودي مصري ، ولد في عام (٢٦٨هـ) ، وتوفي في عام (٣٣٠هـ) ، وهو أول شخصية عبرية تكتب بنطاق واسع بالعربية ، فعرف بمؤسس الأدب العربي اليهودي ، خلف وراءه ترجمة وتفسيراً بالعربية للتوراة لتثقيف اليهود والعرب.

(٤) الأمانات والاعتقادات - سعد الفيومي : ص ٢١١.

٢- الأمر في الديانة النصرانية - المسيحية - أظهر مما عليه في الديانة اليهودية ؛ لأنه وردت نصوص صريحة في العهد الجديد لا تقبل الشك ولا التردد في دلالتها على المعاد وذكر يوم القيامة وأحوالها.

وقد لخص الدكتور محمد الصادقي ما في هذه الأناجيل حول ذلك في كتابه عقائدنا^(١)، ومن تلك النصوص : (هكذا يكون في انقضاء العالم، يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحونهم في أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، وذلك لشدة الخوف والفرع)^(٢)، (فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه وملائكته ؛ وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله)^(٣).

وعلى أي حال ، لا يمكن نفي الاعتقاد بالمعاد من مفهوم الحياة بعد الموت في عقائد الأديان السماوية القديمة^(٤) ؛ لأنه أصل من أصول

(١) عقائدنا - د. محمد الصادقي : ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) إنجيل متى - الإصحاح ١٣ : الجملة (٥٠-٤٩).

(٣) إنجيل متى - الإصحاح ١٦ : الجملة (٢٧).

(٤) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي - في خصوص المعاد -: (وحشرها إلى ربها يوم القيامة، وسعادة السعداء، وشقاوة الأشقياء للجزاء على الأعمال الصالحة الحسنة بالحسن، وعلى الأعمال السيئة بالسوء، فمما لا إشكال فيه، فقد تطابقت عليه نوازع العقول، لأن التكليف توجه إليها لما أودع فيها من الحياة والشعور والتميز، ومعرفة الخير والشر، والجيد والردى، والتمكين من فعل الطاعات والمعاصي، وصلوح كل الأشياء لشؤونها، بحيث لا يختلف فيه أحد من العقلاء، من المتبعين للشرائع). اشرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ٢٠٠.

الإيمان بالله سبحانه وتعالى على كافة البشر، فليس هناك استثناء
لشريعة دون أخرى.

نعم، يمكن أن يقال إن تفاصيل المعاد جاءت بصورة أكثر اتساعاً
ودقة في القرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية الأخرى.

المطلب الثاني: الحياة بعد الموت في الأديان الوضعية في الحضارات القديمة

يراد بالدين الوضعي : القوانين التي وضعها أو قننها البشر لأنفسهم ، سواء تلك المرتبطة بتفسير حقائق الرؤية الكونية ، أو بالمجالات الأخرى كالاقتصاد والطب والأخلاق وغيرها.

ومن المعلوم أن الأديان الوضعية التي ظهرت على أيدي البشرية في الحضارات القديمة ؛ تضمنت التصورات البسيطة والطقوس الخاصة التي تبناها كل شعب بالشكل الذي يتناسب مع أفكارهم وظروفهم آنذاك.

ومن السبل التي كشفت للعلماء النتائج في دراساتهم لاعتقادات أديان تلك الحضارات ، هو ما خلفته وراءها من الآثار الباقية التي تم اكتشافها عبر السبر والتنقيب الأثري ؛ كالنصوص التاريخية المكتوبة ، والألواح الأثرية ، وغير ذلك ، حيث شكلت لهم الزاد المعرفي ، والمادة الخصة في إظهار الجوانب المختلفة من أحوال البيئة التي عاشوا فيها ، والأفكار والمعتقدات التي سادت في أديانهم.

وكان من جملة تلك الآثار الباقية ما أظهر العلامة الواضحة ، والدليل الكاشف عن اعتقاد بعضهم بالحياة بعد الموت ؛ كطقوسهم

وشعائهم الجنائزية في دفن الموتى ، وكالكتابات والرسوم والنقوش الجدارية واللفائف ، وغير ذلك^(١).

ومن أشهر الحضارات القديمة التي بينت آثارها بعض التصورات وبعض الجوانب عن عقيدة الحياة بعد الموت لديهم^(٢) :

أولاً: الحضارة المصرية القديمة

في نحو (٥٠٠٠ ق.م) عاشت قبائل صغيرة في وادي النيل تحت حكم مملكتين رئيسيتين ؛ أطلق عليهما المؤرخون المصريون: مصر العليا، ومصر السفلى.

و في نحو (٣٢٠٠ ق.م) جمعت المملكتان تحت حكم واحد على يد الملك الفرعوني (ميناس) (Menes)، فأصبحت الحضارة الفرعونية^(٣) التي ظهرت في الشمال الشرقي لأفريقيا، وتركزت على ضفاف نهر النيل، البداية الفعلية لانطلاق ما يسمى بحضارة مصر القديمة.

(١) عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة - عليوي نائل خنون: ص ٢٧٥.

(٢) لا يسعنا في هذا البحث التطرق لجميع معتقدات أديان الحضارات القديمة في عودة الأرواح إلى الأجساد، لذا عمدنا إلى اختيار ثلاث من أهم الديانات التي دائماً ما يتم تناولها في الأبحاث المعنية بذلك.

(٣) هناك حضارات أخرى ساهمت فيما يسمى بالحضارة المصرية جاءت بعد الحضارة الفرعونية ؛ كالحضارة الإغريقية، والرومانية، والقطبية، والإسلامية أيضاً.

وقد اعتقد شعب هذه الحضارة بوجود الآلهة، وبجملة كبيرة من المعتقدات، ومنها فكرة الخلود التي ظهر سر اهتمامهم بها، وتغلغلها في نفوسهم في عقيدة الحياة بعد الموت^(١)؛ فساد اعتقاد خلود النفس - أو الروح - عندهم، كما ورد في النصوص والصور المنقوشة والمرسومة على جدران الغرف الجنائزية: (إن النفس خالدة لا تموت أبداً)^(٢).

وعلى أثر ذلك، كانوا يتركون المنافذ في القبور ليسهل دخول الأرواح إليها، ويقومون بدفن موتاهم على هيئة القرفصاء بحيث تكون الرقبة قرب الذقن، وهو الوضع الذي يكون عليه الجنين في بطن أمه، تعبيراً عن أن الإنسان سيحيا ثانية - كما خرج من أحشاء أمه - بعد موته^(٣).

وحتى تستطيع الروح التعرف على ملامح الجسد والسكن فيه بعد عودتها إليه لمواصلة الحياة في العالم الآخر، كان لازماً على الأحياء المحافظة على أجساد موتاهم؛ فعمدوا إلى تحنيطهم وفق طقوس جنائزية خاصة.

(١) قصة الحضارة - ول ديورانت: مج ١، ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) الأدب والدين عند قدماء المصريين - أنطوان ذكرى: ص ١٠١.

(٣) كتاب الدين - د. محمد عبدالله دراز: ص ٣٤.

وبداية الحياة عندهم في العالم الآخر تبدأ بمحاكمة الموتى التي يترأسها الإله (أوزيريس)^(١) ، فإن خفت موازينه يكون مصيره العذاب والعقاب ، وإن ثقلت موازينه نجا من يوم المحاكمة ، وضمن الخلود الأبدى في عالم أوزيريس^(٢) .

ثانياً: الحضارة الهندية القديمة

تعتبر هذه الحضارة من الحضارات العريقة التي ظهرت منذ القدم وما زالت حية حتى الآن ، ومن المعلوم أن شعبها لم يكن على ملة وديانة واحدة ، بل لا يكاد يوجد بلد كالهند بالنسبة لوجود الديانات المتعددة والمختلفة فيه .

وتعتبر ديانة البراهمة والديانة الهندوسية من أقدم وأبرز الديانات الهندية ، وبغض النظر عن اختلاف التعاليم فيما بينهما ، إلا أن كليهما يجتمعان في عقيدة التناسخ ، وهي - اصطلاحاً - : (انتقال الأرواح بعد مفارقة أبدانها إلى أبدان غيرها)^(٣) ؛ وهذا يظهر مدى اعتقادهم في الحياة بعد الموت - بغض النظر عن بطلان عقيدة التناسخ - .

(١) إله البعث والحساب عند قدماء المصريين .

(٢) تاريخ الأديان - فاروق الدمولوجي : ص ١٥٥ .

(٣) شرح العرشية - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ٢ ص ٧٦ .

والسبب في توليد عقيدة التناسخ^(١) عندهم، هو اعتقادهم أن الروح - كما تسمى بالسنسكريتية^(٢) بالـ (جيفا) Jivas - أبدية الوجود، وأن جميع الأعمال لأبد أن يجازى عليها الإنسان إما بالشواب أو بالعقاب طبقاً لقانون العدل الصارم، وواقع الحياة يكشف أن الجزاء قد لا يحصل له في حياته الحاضرة، فقد يموت المحسن دون أن ينال الثواب، ويموت الظالم دون أن ينال العقاب المناسب على أعماله؛ فلا بد أن تعود الأرواح إلى هذه الحياة للجزاء في جسد جديد أعلى أو أدنى من التي كان فيها في الحياة السابقة^(٣).

وتنشأ دورتها الجديدة على نتيجة أعمال دورتها الماضية، فتُتسَخ على حسب ما قدم في حياته السابقة في جسد إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد... إلخ.

فتناسخ الأرواح لا يعني بالضرورة عودة الروح إلى جسد إنساني، بل قد تحل في كلب، أو شجرة، أو غير ذلك^(٤).

(١) تسمى المرحلة التي تمر بها الروح في تناسخها في السنسكريتية (سامسارا) Samsara. انظر/ أديان

العالم - د. سميث هوستن: ص ١٠٩.

(٢) اللغة السنسكريتية هي لغة الهند الأدبية القديمة.

(٣) موسوعة الأديان مهد الحضارات، منشأ الديانات الهندية - مجموعة مؤلفين: ص ٦٣-٦٤.

(٤) قصة الديانات - سليمان مظهر: ص ٤٠١.

وهكذا تستمر علمية التناسخ، أو انتقال الروح من جسم إلى جسم ما دامت دورة الحياة مستمرة، ولا يمكن للنفس التحرر من تكرار المولد؛ أي لا يمكن أن تنقطع هذه العملية المتتابعة من الولادة والموت، والولادة من جديد؛ إلا بتحقيق هدف الحياة الأسمى وهو منع التناسخ^(١)، ويكون ذلك بالاتحاد بالروح المطلقة (براهما) من خلال الوصول إلى حالة الـ(نيرفانا) Nervana، وهي الحالة النهائية لتحرر الروح من عبودية إعادة الميلاد المتكرر.

وحتى يصل الإنسان إلى النيرفانا عليه أن ينصرف إلى الرياضة الروحية المتمثلة في اليوجا (Yougi)، فيتوقف عن عمل الخير والشر، وينقطع عن الملذات والشهوات، ويقبل على حياة الزهد والتقشف والتأمل^(٢).

ثالثاً: الحضارة الإيرانية القديمة

تعد من أوائل الديانات البشرية التي سادت في الإمبراطورية الفارسية (العهد الساساني)^(٣) في النصف الأول من القرن السادس قبل

(١) الموت في الديانات الشرقية - حسين العودات: ص ٦٨.

(٢) الهندوسية البوذية السيخية - د. أسعد السحمراني: ص ٢١.

(٣) الإمبراطورية الساسانية هو الاسم المستعمل للإمبراطورية الفارسية الثانية. انظر/ تاريخ إيران القديم - حسن بيرنيا: ص ٤١١.

الميلاد^(١)، ومؤسس هذه الديانة هو (زرادشت)^(٢)، من قبيلة ميديا^(٣) التي استقرت في إيران الشمالية بالقرب من بحيرة أروميا، فغلب تسميتها بالزرادشتية نسبة إليه.

وتشير المصادر التاريخية - من الأدلة الأثرية، والكتب المقدسة الزرادشتية، والأدب الفارسي - إلى أن عقائد هذه الديانة تضمنت الإيمان بالحياة بعد الموت الذي تمثل في الصورة - المختصرة - التالية:

من المبادئ الأساسية للموت والوجود الأخروي مبدأ النور والظلمة المنصب تماماً حول الخير والشر، فكل الخيرات تعود إلى النور الذي يتوحد في الإله (اهورا مزدا)، وكل الشرور تعود إلى الظلمة المحصورة في الإله (اهريمين)، وإذا مات الميت تركت جثته في أعالي الجبال، أو فوق أبراج خاصة تسمى بـ (أبراج الصمت)^(٤) حتى تأكل

(١) دين الإنسان - فراس السواح: ص ٤٨.

(٢) قيل بأنه نبي، وقيل بأنه شخصية تاريخية ينتمي صاحبها إلى طائفة ميديية يطلق عليها (مغ) أو المجوس. [انظر / زرادشت نبي إيران القديمة - البروفسور جاكسون: نيويورك (١٨٩٩م).]

(٣) هي كبرى القبائل الآرية التي يتكون أتباعها من عشائر رُحل عدة، نزحوا إلى إيران منذ (٢٥٠٠ ق.م). [انظر / الزرادشتية - يوسف جشميد: ص ١٣٢].

(٤) أبراج الصمت أو الدخمة (باللغة الفارسية)، كان لها انتشار كبير في المناطق التي سكنها ولا زال يسكنها الزرداشتيون مثل يزد وكرمان في إيران، وفي الهند، وغيرها، وقد توقف العمل بها منذ بدايات القرن العشرين، وبدأ الزرداشتيون بدفن موتاهم في توابيت معدنية محكمة الإغلاق مما يضمن عدم تلويث الجسد للعناصر المقدسة حسب معتقدتهم.

الكلاب والطيور المفترسة كل ما هو طري من الجسد الذي يعتقد بنجاسته ، وذلك لأن الماء والهواء والتراب والنار من العناصر المقدسة التي يجب عدم المساس بها وإلحاقها بالنجاسة ، وبعد ذلك تجمع العظام وتدفن تحت الأرض^(١).

ولابد للروح بعد الموت من اجتياز قنطرة تصفى فيها الأرواح الخيرة والخبيثة ، فإن كان حسنة سارت خلف فتاة عذراء حسناء ، وإن كان خبيثة سارت خلف عجوز قبيحة^(٢).

وفي يوم القيامة ، وهو اليوم الذي يتطهر فيه العالم كله بالنار المقدسة ، سيُبعث فيه الأموات ، ويذهب الأخيار إلى النور السرمدي والسعادة الأبدية في جنة (اهورا مزدا) ، والأشرار سيمكثون في الجحيم المظلم في نار (اهريمين)^(٣).

وعلى أي حال ، لا شك أن تلك الآثار أثبتت لأولئك العلماء أن مسألة تطلع الإنسان إلى حياة ما بعد الموت لم تكن وليدة الحقب المتأخرة من التاريخ البشري ؛ بل هي ظاهرة متأصلة منذ القدم ،

(١) الفكر الديني القديم في بلاد وادي الرافدين - تقي الدباغ : ص ١٨٧ - ١٩٠ .

(٢) الإنسان في ظل الأديان - د. عمارة نجيب : ص ٢٣١ .

(٣) مشكلة الموت عند صوفية الإسلام - مجدي محمد إبراهيم : ص ٦٧ .

واعتقاد سرى قبل آلاف السنين ، بل منذ بداية فجر التاريخ . فإنه لم يخلُ أي من الأديان السماوية ، وغيرها من أديان واعتقادات وضعية ؛ من تحقيق لفكرة الحياة بعد الموت ، وما فيها من مرحلة الحساب على ما فات من أعمال الحياة الدنيا ، حتى باتت هذه المسألة من أشباه المسلمات التي تقر بها العاقلة الإنسانية مجملة .

ولذا يقول مؤرخ الأديان الدكتور دراز : (إن الحقيقة الكبرى التي أجمع عليها مؤرخو الأديان ، هي أنه ليست هناك جماعة إنسانية - بل أمة كبيرة - ظهرت وعاشت ، ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره ، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه)^(١) .

(١) نقلاً عن : كتاب السماء - للأبنا يوانس ، نقله د. فرج الله عبدالباري في كتابه يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية : ص ١٤٥ .

المطلب الثالث: الحياة بعد الموت في الحضارة اليونانية

حينما نتحدث عن الصورة المتكاملة التي وصلت إليها الفلسفة في القرن الحالي ، فسنلاحظ أن الفلسفة اليونانية التي نشأت في القرن السادس قبل الميلاد في بلاد الإغريق ومجموعة المقاطعات المحيطة بها، احتلت مكانة لا يمكن التغافل عنها في فضاء الأدوار التي مر بها الفكر الفلسفي بجميع ألوانه وطبقاته وتوجهاته.

وذلك الوضوح يظهر في جوانب عديدة، ومنها شرح وتبني الكثير من الفلاسفة - غرباً وشرقاً - لآرائها، وتناول العديد من الباحثين للموضوعات التي دارت مسائلها عليها في الأبحاث والرسائل العلمية وغير ذلك ؛ بل إن تاريخ الفلسفة اليونانية شغل جزءاً كبيراً، وحظي بعدد لا بأس به من المؤلفات المطولة والمختصرة.

ومن المؤكد، أن طبيعة ذلك لم تأت من القول المشهور، بأن اللحظة الأولى في تطوير الفكر الفلسفي، أو بداية المعرفة الفلسفية وأصلها وموطنها الأول هو الحضارة اليونانية ؛ فهناك شواهد كثيرة ترد هذا صدى القول، ومنها :

الأول: من الثابت أن هناك فلسفات شرقية قديمة - الهندية، الصينية، البابلية، الفارسية - سبقت الفلسفة اليونانية، ومارست النظر العقلي المجرد في أسمى المسائل إلى حد ما؛ كمسألة الوجود، والخير والشر، والحياة بعد الموت - كما تقدم -، وغيرها، وتحدثت كذلك عن مجموعة واسعة من الفنون والعلوم؛ كالحساب، والهندسة، والفلك، وغيرها^(١).

والشواهد التاريخية تجزم بالسن القاطع أن الفلسفة اليونانية لم تتأثر بتلك الفلسفات نتيجة التلاقح الثقافي الذي حصل من جراء التواصل بينهما فحسب؛ بل إنها استفادت أيضاً مما كان يوجد عندها من علوم ومعارف في بناء فلسفتها الأم^(٢).

نعم، لقد أعاد فلاسفة اليونان تفكيك وترتيب ودمج ما ورثوه في الشكل الفلسفي، وقاموا بحفظ تراثهم بصورة أكبر من سبقهم؛ إلا أن ذلك لا يعني كون الفلسفة مولودة في رحم بنتهم، ولذا ورد على حال لسان أحد الباحثين في تاريخهم: (بل قد نستطيع أن نجد لكل فكرة يونانية مثيلة شرقية تقدمتها، أو أصلاً قد تكون نبتت منه)^(٣).

(١) الفلسفة اليونانية - د. عبد الجليل كاظم الوالي: ص ٤٤-٤٣.

(٢) التراث المسروق - جورج جي. ام. جيمس: ص ٥٥.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم: ص ٧.

الثاني : ذكرنا سابقاً أن الله سبحانه وتعالى لم يُخل أرضه من حججه ﷺ على خلقه آن من الأنات .

والمأثور أن فلاسفة اليونان أخذوا الحكمة من الأنبياء ﷺ ؛
 كفيثاغورس الذي تعلم من نبي الله سليمان ﷺ ، ومن سقراط الذي
 تعلم الحكمة من مشايخه القارئين على نبي الله إدريس ﷺ ، المعروف في
 كتبهم بباخنوخ وهرمس الهرامسة - أي : حكيم الحكماء - ؛ ولكنهم لما
 نقلوا عنهم ﷺ فرعوا - أضافوا - على المسائل من عندياتهم ؛ فوقع
 الغلط في ذلك .

وكذلك ، لما كانت كلماتهم تكتب باللغة اليونانية والسريانية
 واحتل الرومان بلد الإغريق ؛ ترجمة إلى لغتهم اللاتينية ، ثم عربت لما
 نقلت إلى داخل الحضارة الإسلامية ؛ فوقع الغلط أيضاً في أثناء ترجمتها
 وتعريبها .^(١)

من هنا يظهر سبب رفض البعض للفلسفة اليونانية ، فليس كل ما
 جاء فيها صحيحاً ، وليس كله خاطئاً ؛ بل إن القبول محصور على ما

(١) رسالة في شرح الرسالة العلمية للملا محسن الفيض "ضمن تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ الأوحدي

نقلوه من الأنبياء ﷺ ، والرد محدد بما زاد عن ذلك مما أضافوه ، أو وقع نتيجة من تلك الأخطاء ، أو غير ذلك .

فلا داعي لتضخيم الفلسفة اليونانية بعد هذه الشواهد ، وجعلها معجزة بداية التفكير الفلسفي ، والقول إن كل ما لحقها من نتاج ما هو إلا حلقة في سلسلة صيرورة متصلة بالسياق اليوناني ، ومنبثقة عنه تحديداً .

خصوصاً ، وأن هناك الكثير من المسائل التي لم تنسكب لبناتها الأولى في أوساطها ، ولم تتحدث عنه بالشكل العميق المفضي إلى الكشف عن حقائق طبيعتها وكيفيتها ؛ كمسألة الحياة بعد الموت .

فحينما نفتش في أروقة رفوف ما وصلنا من مصنفات فلاسفتها ؛ فسوف نجد تأثرهم الواضح والعميق بمن سبقهم في فكرة الخلود في تلك المسألة^(١) ، وفي نفس الوقت ، لن نشاهد التطلع الفلسفي المنتج للنظريات الخاصة أو الأقوال المختلفة في الجزء الأساسي الآخر المرتبط بحقيقة الصراع في تلك المسألة ، وهو المعاد الجسماني ، كما هو الأمر في الفلسفة الإسلامية - كما سيأتي - .

(١) التناسخية (الموسوعة الفلسفية العربية) - أحمد عبدالحليم : مج ٢ ص ٣٧٦ .

بل سنجد أن معظم الحديث الذي دار في فكرة الخلود لديهم قد تحول من زاوية الفهم الأسطوري إلى الفهم الفلسفي^(١)، وتمحور حول حقيقة النفس الإنسانية من حيث النشأة والبقاء بعد الموت (خلود النفس)؛ لأنهم يرونها هي الإنسان في الحقيقة، وأما البدن المادي الدنيوي الفاسد، فما هو إلا بمثابة السجن واللحد الذي أفقدها نقاوتها حين اتصالها به، وبعد فسادة تخلص من سجنها وتعود إلى صفاء طبيعتها في عالمها الروحاني؛ لأنها خالدة لا تفسد بفساد البدن^(٢).

فخلود النفس هو الجانب الذي تركزت عليه أبحاثهم، ويمكن أن نتلمس ذلك من خلال آراء بعض فلاسفتهم في مجمل عقيدة الخلود:

١- فيثاغورس^(٣): أن للإنسان طبيعة ثنائية؛ أي: إنه مؤلف من نفس وبدن، وفي حين أننا نجد البدن فانياً، نجد أن النفس الموجودة قبل حلولها في البدن خالدة؛ لأنها شذرة أو ومضة من الروح الإلهية؛ أي: ذات جوهر إلهي، قطعت ثم سجت في جسد فإن لذنْب اقترفته^(٤).

(١) موسوعة الأديان القديمة (معتقدات يونانية ورومانية) - كامل سغفان: ص ١١.

(٢) البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة - د. علي أرسلان آيدين: ص ٢٩٥-٣٠٦.

(٣) هو مؤسس الفيثاغورية التي سميت باسمه، ولد في ساوس سنة (٥٧٠ ق.م)، طور التعاليم العديدة والموسيقية، كمبرهنة فيثاغورس، والتناغم العددي، توفي سنة (٤٩٥ ق.م).

(٤) الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو - و.ك.س جثري: ص ٣٩.

والتطهير هو السبيل الوحيد لخلاص النفس بعد الموت من عجلة الميلاد المتكررة (التناسخ)^(١) ، وعودتها إلى عالمها الروحاني الذي تنتمي إليه ، وأعلى درجات التطهير هو النظر ، وتكريس الإنسان نفسه للعلم الرياضي ، والموسيقى لتصفية النفس^(٢) .

٢- سقراط^(٣) : إن الإنسان ليس شيئاً مادياً صرفاً ، بل في داخل جسمه جوهر غير مادي وهو النفس ، فهي ذات متميزة قائمة بذاتها لا تفسد بفساد البدن ، بل تتخلص بالموت من سجنها وتعود إلى طبيعتها الخالدة قبل اتصالها بالبدن ؛ لأنها من عالم آخر روحاني^(٤) .

٢- أفلاطون^(٥) : إن النفس قديمة^(٦) ، وإن هناك تمايزاً جوهرياً بينها وبين البدن ، وبعد الموت يتخلل الفناء البدن ، أما النفس التي ما هي إلا

(١) الفلسفة اليونانية - د. عبد الجليل كاظم الوالي : ص ٨٢.

(٢) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط - أحمد فؤاد الأهواني : ص ٧٩.

(٣) من أعظم فلاسفة اليونان شهرة وأصاله ، ولد في أثينا عام (٤٦٩ ق.م) ، واشتهر عنه هذا القول : (اعرف نفسك بنفسك) ، حكم عليه قضاة أثينا بالإعدام بناء على التهمة (الكاذبة) التي لفقت له ، وهي الإلحاد والفساد في عام (٣٩٩ ق.م).

(٤) في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام - د. محمود قاسم : ص ٢٨.

(٥) من أعظم فلاسفة اليونان شهرة وأثراً ، كان تلميذاً لسقراط وأستاذاً لأرسطو ، ولد في أثينا سنة (٤٢٨ ق.م) ، ومن أهم الموضوعات التي تناولتها فلسفته نظرية المثل الأفلاطونية ، توفي سنة (٣٤٧ ق.م).

(٦) الذخيرة - الطوسي : ص ٢٤٨.

بعد عقلاني مجرد في الإنسان له وجود سابق قبل اتحاده بالبدن في عالم الماهيات اللامادية (نظرية المثل) لا تقبل الفناء.^(١)

ودلل على خلود النفس في كتابه "فيدون" مستخدماً بعض الأدلة، منها: أن النفس تعقل المثل لأنها كانت في عالمها، وعرفت بها بحسب القول المأثور: "الشبيه يدرك الشبيه" قبل هبوطها إلى البدن؛ فهي شبيهة بها، والمثل بسيطة، والبسيط لا يجوز عليه التحول أو الانحلال، فلا بد أن تكون النفس بسيطة وثابتة، وعلى ذلك، فليس هناك ما يمنع بقاءها بعد الموت.^(٢)

٣- أرسطو^(٣): إن الإنسان جوهر واحد مكون من جزأين هما النفس والبدن، متحدان كاتحاد المادة والصورة^(٤). فالنفس لديه ليست جوهرًا مستقلاً كما عند أستاذه أفلاطون، بل إنها حادثة مع حدوث البدن، وتفسد بفساده ما لم تصل إلى مرتبتها العقلية^(٥)، وهنا يصبح

(١) تاريخ الفلسفة - فردريك كوبلستون: ج ١ ص ٢٩٠-٢٩٤.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم: ص ١٠٩-١١٠.

(٣) هو أشهر فلاسفة اليونان، وأكثرهم أثراً في تاريخ الفكر، ولد سنة (٣٨٤ ق.م) في إسطاغيرا، وهي مدينة أبونية على بحر إيجه، وعرف أتباعه بالمشائيين أخذاً من عاداته حيث كان يمشي بين تلاميذه وهو يعلمهم، وقيل إنه ألف (٤٠٠) كتاباً، وقد ضاعت أغلبها، توفي في عام (٣٢٢ ق.م).

(٤) في النفس - أرسطو: ص ٢٩-٣٠.

(٥) الذخيرة - الطوسي: ص ٢٤٩.

البقاء بعد الموت من المشكلات الأساسية في قوله ، إذ إنه بفناء البدن
تفنى الروح ، فهي تحدث مع البدن وتنحل معه بعد الموت .

ولكن القول الأوجه ، هو إيمانه بخلود النفس^(١) لاعتقاده تأثر الموتى
بما يصيب أقاربهم في الحياة من خير أو شر.^(٢)

٤- أفلوطين^(٣) : إن النفس خالدة ببرهان الحياة ، فالنفس تهب
الحياة للبدن ، وتستمد الحياة من ذاتها ، فالحياة كامنة فيها ، فلن تفقد
هذه الحياة في وقت من الأوقات ؛ أي : إنها لن تفنى حتى بعد
بالموت.^(٤)

وهكذا لو تفحصنا كلمات باقي فلاسفة اليونان في هذا الصدد ،
فسوف نلمس أن الفكر الفلسفي اليوناني على اختلاف مراحله
التاريخية ، وعلى اختلاف فلاسفته ومدارسهم الفلسفية ومشاربهم
الثقافية ومعتقداتهم الدينية ؛ لم يغفل عن مسألة الحياة بعد الموت ،

(١) ابن سبعين - بد العارف : ص ٣١٤ .

(٢) الأخلاق - أرسطو : ص ٧٨ .

(٣) هو مؤسس الأفلاطونية الحديثة ، ولد في ليقوبولس من مدن مصر الوسطى سنة (٢٠٥ ق.م) ، وكان
يعيش حياة الزهد والتقشف ، وتركزت فلسفته حول مصير النفس وطريقة طهارتها ، وحول صدور الكثير
عن الواحد البسيط ، توفي في سنة (٢٧٠ ق.م) .

(٤) التساعية الرابعة لأفلوطين في النفس - د. فؤاد زكريا : ص ١٣٢ .

وأقر بوجود نوع من الخلود للإنسان، بل كانت عقيدة الخلود الباعث للكثير من نظرياته الفلسفية لما لها من ارتباط وثيق بمسألة الأخلاق من حيث اتصالها بمسألة العقاب للأشرار والثواب للأخيار.

نعم، تركزت عقيدة الخلود في جانب النفس التي تنتقل بعد الموت إلى عالم آخر، وتحيا حياة جديدة روحانية؛ دون الجسد الذي يرويه مادياً دنيوياً يفسد بالموت - الجزء الذي لا يقل أهمية عن النفس في مسألة الحياة بعد الموت -، مما جعل الكثير من الباحثين يدرج آراء فلاسفتهم ضمن قائمة الفلاسفة القائلين بالمعاد الروحاني المحض^(١).

وكذلك، لم يكن في نظرهم ذلك التمييز الفج بين عالم البرزخ وعالم يوم القيامة الكبرى، ففي الغالب يرونهما شيئاً واحداً يلي الموت مباشرة.

(١) البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة - د. علي أرسلان آيدين: ص ٢٩٥-٣٠٦. شرح المقاصد - سعد

الفصل الثالث:

مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية

تمهيد الفصل الثالث

ليست الحضارة الإسلامية إفرازاً عبقرياً صادراً من كتلة معينة من المسلمين العرب وغيرهم ؛ فالمؤسس الأول لها ، والواضع لكل مميزاتها وخصائصها ، هو النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

نعم ، كان للمسلمين دورٌ ساهم في تشييدها وتطورها وتقديمها ، ولكن لم يتأت ذلك بمعزل عن الصميم الوحياني الذي انبثقت منه بذرة هذه الحضارة ، فإن جل عملهم كان منصباً في ظل الخطوط الشرعية التي رسمت لهم ؛ ولهذا التصق مفهوم الإسلامية في طول الأحقاب بكل نتاجهم تقريباً ، من ثقافة وعلوم وفكر وغيرها - فعرفت بالثقافة الإسلامية ، والعلوم الإسلامية .. إلخ - ؛ وما ذلك إلا لتبيان الإطار الخاص الذي استندوا إليه ، وهو مصادر الإسلام ؛ أي : القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ومن المعلوم ، أن المصادر الإسلامية لم تقتصر على تزويد المسلمين بما ساهم في انطلاقتهم اقتصادياً وسياسياً فاستقطبوا مركزية العالم ، أو على تصحيح الأفكار الاجتماعية والأخلاقية الملتوية ، أو معالجة المشاكل الفكرية والعقائدية كعبادة الأصنام والأوثان ؛ بل إنها أيضاً

أيقظت فيهم روح الحركة الفكرية، فأخذوا يتطلعون إلى البحث عن الحقائق الكونية لإشباع غريزة حب التساؤل والمعرفة التي انبعثت من تأثير تلك الهزة التي حدثت في أوساطهم، ويتسارعون إلى إيجاد أجوبة للقضايا العقائدية الهامة التي كان يعانيتها مجتمعهم، كقضية الخالق ووحدانيته، والمعاد والحساب في يوم القيامة، وما سوى ذلك من قضايا ما وراء الطبيعة، وقضايا طبيعية أيضاً.

فجدهم يسألون النبي الأعظم محمد ﷺ استعلاماً عن الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، وعن الجبال في يوم القيامة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^(٢).

ويسألونه ﷺ بعضهم تحدياً عن المعاد أو البعث: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

(١) سورة الإسراء: (٨٥).

(٢) سورة طه: (١٠٥-١٠٦-١٠٧).

(٣) سورة يس: (٧٨-٧٩-٨٠-٨١).

وفي بداية الأمر ، تلقى الكثير من المسلمين هذه الإجابات بالتسليم والإيمان المجرد بدافع الشعور العميق الذي أحدثه الخصب الروحي والاجتماعي جراء إقبالهم على الدين الإسلامي الجديد .

ولكن ، بسبب المؤثرات الداخلية والخارجية التي تعرضت لها الحياة الإسلامية - كالصراعات السياسية التي اتخذت من بعض القضايا سلاحاً لها ؛ كالقول بالجبر ، وكتشجيع الالتقاط والاستلهام من المصادر الأجنبية كالفلسفة اليونانية وغيرها - ، ظهرت على المجتمع النزعات المختلفة ، والفرق المتباينة ، ونمت الأفكار المستوردة في ساحة المعتقدات بشكل خاص .

وتعتبر مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية من أهم المسائل العقائدية التي تعرضت لإشعاعات تلك المؤثرات ، فلم يتوقف الركون إليها وإلى ما جاء في جوانبها على جهة التسليم للعقل الشرعي الذي يسعى لقبولها وفهمها عن طريق النص الديني ؛ بل أخذ يتصارع معه العقل الفلسفي المستورد من تلك الفلسفات الأجنبية ، الذي يسعى لضمها وفهمها فهماً مباشراً معزولاً عن النص الديني ، ومعتمداً على المعطيات التي يكونها بنفسه للوصول إلى جميع نتائجه .

وهذا أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تكون الصراع العقلي لا الشرعي - كما سيتضح لاحقاً - بين المتكلمين والفلاسفة في مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية.

إلا أن السبب الأول الذي لا يمكن الإغفال عنه ، هو ما وفرته المصادر الإسلامية من الثراء في مسألة المعاد ؛ فإن حقائق المسائل الغيبية جاءت فيها بصورة أوسع وأوضح عما كانت عليه سابقاً لدى الأديان والحضارات الأخرى.

فحيث إن مسألة المعاد من الضروريات التي دعت تلك المصادر إلى الإيمان بها ، وحثت على العمل لأجل الوصول إلى السعادة الأبدية ؛ فعدت من أصول الإسلام ، وحكم على منكرها بالخروج من عداد المسلمين ؛ فلا ريب أن تقترن دعوتها بجانب الكشف عن حقيقتها بأشكال وأساليب مختلفة ، وعن حقائق الأمور التي ترتبط بها مقدماً وتالياً ، كحقيقة الموت ، وعالم البرزخ ، ونفخة الصعق ، والوقوف في المحشر ، والحساب ، والجنة والنار ، وغير ذلك.

فهذا السبب هو الدافع الأول الذي أدى إلى تبلور مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية بشكل أكبر وأدق ، فظهر - مثلاً - الفرق بين عودة الأرواح إلى الأجساد الحاصلة في يوم القيامة ، وبين غير ذلك ، وكذلك

بين الحياة بعد الموت في عالم البرزخ، وبين الحياة بعد الموت (نفخة الصعق) في عالم الآخرة، والفرق بين النعيم والعذاب في القبر، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة، وغير ذلك.

وكذلك أدى إلى اهتمام علماء المسلمين بهذه المسألة فانعكس ذلك على أبحاثهم فيها بأن تميزت بعدة أمور، ومنها تشعبت وجوه الأقوال والآراء، وظهور النظريات العقلية المختلفة التي تحاول الترجمة والكشف عن حقيقتها بصورة تتلاءم مع ما جاء في تلك النصوص الشرعية.

فإذا اتضح كل ذلك :

فسوف يتبين لنا أن وجه الحاجة إلى استعراض الأقوال في مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية ؛ وذلك للوقوف على جوانب الاتفاق والاختلاف بين أقوال المتكلمين والفلاسفة، ولجلي محل النزاع بينهم للوصول إلى الرأي المفضي إلى تفسيرها بالصورة المتطابقة مع معطيات الشريعة الإسلامية^(١).

(١) وكذلك تناول هذه الأقوال سيكشف لنا عن نقطة هامة سنتعرض لها في أثناء الحديث عن مسألة المعاد عند الشيخ الأوحاد الأحسائي ؛ ألا وهي ادعاؤه بأن من سبقوه لم يستطيعوا إثبات المعاد الجسماني إلا شرعاً، أما عقلاً فقد عجز عنه الجميع من متكلمين وفلاسفة.

من هنا، تضمن هذا الفصل أربعة مطالب، وهي :

الأول : الأقوال في مسألة المعاد من الجهة الشرعية.

الثاني : الأقوال في مسألة المعاد من الجهة العقلية.

الثالث : مسألة المعاد عند المتكلمين.

الرابع : مسألة المعاد عند الفلاسفة المسلمين^(١).

(١) اتخذ الشيخ الأوحدي صورة مقارنة لهذا التقسيم في قوله : (والكلام في خصوص إعادة الإنسان، ما المعاد منه : إما نفسه، فاتفق المتشرعون من الأولين والآخرين على عودها يوم القيامة بالدليل العقلي والنقلي، وأما الجسم، فالتأولون بأحكام الشرائع قائلون بإعادته بالدليل النقلي تسليمًا لإخبارات الكتب السماوية، ولحلمتها، حيث لم يجدوا في عقولهم ما يدل عليه... والتأولون بإعادة الجسم اختلفوا في المعاد ما هو : هل هو ما انتسب إلى نفسه وإن تغير مادته وتبدل، أما المعاد هو الموجود في الدنيا بمادته وإن تبدلت صورته، أم هو الموجود في الدنيا بمادته وصورته من غير تبدل ولا تغيير، أم هو الموجود بصورته في الدنيا لا بمادته). [شرح العرشية - الشيخ الأوحدي الأحسائي : ج ٢ ٢٠٥]. وسوف يتضح تقسيمه من خلال مطالب هذا الفصل.

المطلب الأول: الأقوال في مسألة المعاد من الجهة الشرعية

إن الأقوال في مسألة المعاد من الجهة الشرعية - بشكل عام - تنقسم إلى قسمين ، وهما :

الأول : أقوال المليون

لقد اتفقت أقوال الإلهيين من جهة الشرع على الوعد الإلهي الصادق ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(٣) .

فمن هذه الجهة يشترك الجميع في أن المعاد - باختصار - هو : إحياء الموتى ، أو عودة الأرواح إلى الأجساد في يوم القيامة لحسابهم على أعمالها^(٤) .

(١) سورة الأنبياء : (١٠٤) .

(٢) سورة آل عمران : (٩) .

(٣) سورة آل عمران : (١٩٤) .

(٤) المعاد الجسماني - الشيخ علي نقي الأحسائي : ص ٨١ .

أي : يشترك أهل الملل السماوية السابقة ، وعامة أهل الإسلام ، وحتى المتكلمون والفلاسفة في القول بالمعاد الروحاني والجسماني من ناحية الشرع الإلهي ؛ فكل متأمل ومتدبر في النصوص الشرعية لا بد أن يقف على جملة كبيرة منها تورثه اليقين والاطمئنان بالتالي :

١- بإمكان المعاد وعدم استحالته ؛ كما في الآيات الدالة على القدرة المطلقة لله سبحانه وتعالى ، كقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) ، والآيات الدالة على إحياء الأرض بعد موتها ، كقوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٢) ، والآيات الدالة على بدأ الخلق ، كقوله : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾^(٣) .

وحتى لا يبقى للإنسان أي مجال لاستبعاد وقوعه بعد ثبوت إمكانه ؛ ساقط النصوص الشرعية شواهد متعددة ومختلفة - أي :

(١) سورة الأحقاف : (٣٣).

(٢) سورة الروم : (١٩).

(٣) سورة يونس : (٣٤).

مصاديق - تكشف عنه ، وترفع الاستغراب عن نفسه ، كما في إحياء الطيور لنبي الله إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) ، وكما في إحياء قتيل بني إسرائيل : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢) .

٢- بأن متعلق المعاد هو النفس - الروح - والبدن ، كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ وادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٣) ، وقوله : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بَلَى قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾^(٤) .

٣- ببيان كيفية المعاد ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ

(١) سورة البقرة : (٢٦٠) .

(٢) سورة البقرة : (٧٣-٧٢) .

(٣) سورة الفجر : (٢٧-٢٨-٢٩-٣٠) .

(٤) سورة القيامة : (٣-٤) .

مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢﴾ ، وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لَّئِن لَّكُم وَنَقَرٌ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرْدُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٥﴾﴾ (٢) .

وبما أن حديثنا ينحصر بين المتكلمين والفلاسفة في هذا المطلب بصورة أكثر من غيرهم ، ففي اشتراكهم في القول بالمعاد الروحاني والجسماني من الجهة الشرعية نقطة يجب الالتفات إليها ، وهي :
بالرغم من أن كليهما - المتكلمون والفلاسفة - يبحثان في عمق فكرة واحدة ، وهي تفسير الرؤية الكونية ؛ إلا أن هناك اختلافاً واسعاً في أدوات التنظير التي يستخدمانها لتحصيل معارفهم ، وفي الغاية التي يصبو إليها كل منهما ، وإن اتفقا في منهجية الاستدلال والنظرة العقلية بشكل عام.

(١) سورة يس : (٧٩-٨١).

(٢) سورة الحج : (٦٥-٧).

فالمتكلمون ينطلقون ويلتزمون بدائرة الشرع ، ويستدلون بظواهر النقل والمسلمات في صورة الجدل - الدليل العقلي - لإثباتها والذب عنها.

أما الفلاسفة فلا ينطلقون أو يلتزمون بالشرع في ذلك ؛ بل يطلقون لجام العقل ليسرح في عالم البراهين العقلية الفلسفية ، فإن طابقت نتائجهم الشرع قبلوا به من حيث إنه تابع للعقل لا متبوع ، وإن لم تطابق أولوا الشرع بما ينسجم مع براهينهم ، وإن لم يستطيعوا التأويل تبقى غلبة العقل متقدمة على كل شيء لديهم^(١).

غير أن الناظر لحملة مصنفاتهم يدرك أن هذا الأمر ليس جارياً مجرى القاعدة المسلم بها بينهم ؛ فإن المتكلم قد يتجاوز حدود إطار دائرته الشرعية ، وقد يستخدم براهين الفلاسفة أو يسلم بقواعدها ، كما حصل بعد عهد الشيخ الطوسي ، حيث هفا الاتجاه الكلامي عن مساره فاتخذ طابعاً فلسفياً في إثبات القضايا^(٢) ، وقد يتحدث الفيلسوف ضمن دائرة المتكلم ، ويستخدم أدلته النقلية وغيرها.

(١) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية - الشيخ فاضل الصفار : ج ١ ص ٤٣.

(٢) مدخل إلى العلوم الإسلامية - الشهيد مطهري : ص ٤٩-٥٠.

وعلى ذلك ، نجد أنه بالرغم من التباين بين آراء المتكلمين والفلاسفة في مسألة المعاد ؛ إلا أنه من الطبيعي أن يكون للمتكلم رأيٌ فلسفي ، وللفيلسوف إثبات شرعي في هذه المسألة.

فقد يشتركان شرعاً لخضوع كليهما للنص الديني من حيث إنهما تابعان لأساس منهج واحد يعم منهجيهما ويعلو عليه ، وهو المنهج الإسلامي ، فيسلم الفيلسوف بالحجة الشرعية التي عند المتكلم من هذه الجهة ، ولكن يجب أن ينظر إلى ذلك بعين الإنصاف ، فقد يكون الرأي الفلسفي الذي أورده المتكلم من باب الرد أو النقد لا من باب مطلق الإيمان به ، وقد يكون الإثبات الشرعي للفيلسوف ما هو إلا رأيٌ آخر في جانب رأيه العقلي ، أو قد جاء به لإزاحة الشبهة عن رأيه الحقيقي ، أو لمحاولة المطابقة بين النص الشرعي والعقلي ، أو غير ذلك.

فجهة الاشتراك قد تقع بينهما كما هي جهة الاختلاف ؛ ولكن يجب مراعاة منهج صاحب الرأي ، ومجرى السياق في مورد الثبوت والإثبات ، والقرائن التي توضح المقاصد والمرادات الظاهرة والباطنة في المجمل ، وغيرها من أمور نستطيع أن نستشف من خلالها الرأي الحقيقي.

الثاني: أقوال الماديين

أما الماديون أو الطبيعيون - فلاسفة كانوا أو غيرهم - فقد أنكروا إمكان المعاد ووقعه ، وجاءت الآيات القرآنية بذكر ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾^(١) ، وقوله : ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٢) .

وبالتالي فلا حديث عن متعلقه أو كلفيته في قولهم ؛ وذلك لأنهم اعتبروا الإنسان هذا الهيكل المحسوس ، وليس ثمة وجود مستقل عن المادة (الجسد) يسمى بالروح ؛ بل هي من خواصه ، وتموت بموته . فالموت على رأيهم إنما هو فناء محض ، لا حياة بعده بأي شكل من الأشكال ، وإنما الحياة هذه التي نحيها . وحجتهم التي احتجوا بها ، هي أن الحياة بعد الموت أمر لا يقبله العقل والقياس ، فلا شعور ولا ثمرات ولا نتائج بعد الموت^(٣) ، وقد جاءت الإشارة إلى معتقدهم هذا في قوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٤) .

(١) سورة الإسراء : (٤٩) .

(٢) سورة يس : (٧٨) .

(٣) مبادئ الإسلام - أبو علي المودودي : ص ٢٢٣ .

(٤) سورة المؤمنون : (٣٧) .

المطلب الثاني: الأقوال في مسألة المعاد من الجهة العقلية

بما أن استعراض أقوال المتكلمين والفلاسفة في مسألة المعاد شائك ومعقد ، وفي الآن نفسه توجد لدينا رغبة ملحة في الوصول إلى مرتبة الإحاطة بالآراء والأفكار المختلفة لهم ؛ ارتأينا أولاً تحرير محل النزاع بذكر الأقوال - بشكل عام - في مسألة المعاد من الجهة العقلية.

وبيان ذكر سيكون في نقاط ، وهي :

النقطة الأولى : من الطبيعي أن تتفق أقوالهم على إمكان المعاد ووقوعه عقلاً ؛ إذ لو لا ذلك لانتفى الخلاف كلياً في هذه المسألة ؛ لكونها سالبة بانتفاء الموضوع.

النقطة الثانية : كما أن إمكان المعاد شرعاً متعلق بالروح والجسد ، فهو كذلك عقلاً.

فإنهما الشيئان اللذان ينظر إليهما في مسألة المعاد من الجهة العقلية أيضاً ؛ غير أن حشية التعلق التي تبعاً عليها يقال بالإمكان مبنية عندهم على إثبات كيفيتها عقلاً.

ومن المعلوم ، أن الأقوال قد اتفقت على ثبوت معاد الروح أو النفس - المعاد الروحاني - بالدليل العقلي ، فقالوا جميعاً - المتكلمون

والفلاسفة - بالمعاد الروحاني^(١)، بغض النظر الآن عن اختلاف طرق استدلالهم في ذلك.

أما الجسد فقد وقع الخلاف في معاده - المعاد الجسماني - بسبب القدرة على إثبات كلفيته من عدمها^(٢).

فبعض من استطاع إثبات كلفيته عقلاً، قال: بأن إمكان المعاد ومتعلقه هو الروح^(٣) والجسد؛ أي: قال بأن المعاد روحاني وجسماني شرعاً وعقلاً، وبعض من لم يستطع، قال: بأن إمكانه ومتعلقه هو الروح فقط، أي: قال بأن المعاد - من جهة العقل - روحاني^(٤).

فلا خلاف بين المتكلمين والفلاسفة في المعاد الروحاني عقلاً كما هو الأمر بينهم شرعاً، ومن هنا يظهر سبب تركيز بحوث المعاد على عودة الأجساد، وتتويج عناوينها بـ (المعاد الجسماني) غالباً؛ لأنها محل النزاع، ومحور الخلاف فيما بينهم.

(١) رسالة الحكمة العرشية - الملا صدرا الشيرازي: ص ١١٤.

(٢) المعاد الجسماني - شفيق جرادي: ص ١١٠.

(٣) لعدم الاختلاف في معادها بينهم كما ذكرنا.

(٤) وسوف يأتي التحقيق في ذلك، إذ إن الجميع يقول بإمكان المعاد الروحاني عقلاً وشرعاً، ولكن الاختلاف وقع في إمكان المعاد الجسماني عقلاً، فالقائل بالمعادين، قد يكون قائل بالمعاد الروحاني شرعاً وعقلاً، والمعاد الجسماني عقلاً وشرعاً. وقد يكون قائل بالمعاد الروحاني شرعاً وعقلاً، والمعاد الجسماني شرعاً.

النقطة الثالثة: بغض النظر عن المستند^(١) الذي قام عليه الدليل العقلي^(٢)، هل هو الشرع أم البراهين الفلسفية المجردة، فقد تعرض كل من المتكلمين والفلاسفة إلى قضية إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً، وجاء اختلاف الأقوال في ذلك - من الناحية العقلية - على أنحاء أربعة، وهي:

الأول: أن المعاد هو الصورة وإن تغيرت وتبدلت المادة.

الثاني: أن المعاد هو الصورة لا المادة.

الثالث: أن المعاد هو هذا الموجود بمادته وصورته.

الرابع: أن المعاد هو المادة بتبعية الصورة وإن تغيرت وتبدلت^(٣).

وسوف تتضح هذه الأقوال كلياً في أثناء حديثنا؛ ولكن لنوضح الآن الفرق بينها - على جهة الاختصار - للتمييز:

المراد - هنا - من المادة والصورة: هو إن هذا الجسد أو البدن^(١) الدنيوي له مادة، ولهذه المادة هيئة تسمى بالصورة، وعبروا عنهما

(١) المقصود من المستند: المصدر أو محل الاستنباط الذي قام عليه الدليل العقلي، فقد يكون مصدر الدليل

العقلي هو الشرع، وقد يكون القواعد الفلسفية، فهناك دليل عقلي شرعي، ودليل عقلي فلسفي.

(٢) الدليل العقلي: إما بديهي أو برهاني، وأدلة الشرع جميعها بديهية.

(٣) شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي: ج ٢، ٢٠٥، وإحقاق الحق - الميرزا موسى الخائري: ص ٧١.

باصطلاحات فلسفية أخرى ، فأطلقوا على المادة : بالجسد الأصلي ، وبالأجزاء الأصلية ، وغيرها ، وعلى الصورة : بالجسد العنصري ، وبالأجزاء الفضلية والغريبة ، وغيرها .

ومحل ذلك على الوجه الحق ، أن جسد زيد المحسوس الملموس في الدنيا هو مادته الأصلية ، وأن الهياكل هي الصور التي تتعاقب على هذا الجسد ، كصورة النطفة ، والعلقة .. وصور الطفولة ، والشباب .. إلخ . وبالبداية ، لو سرق زيد في أيام الصبا فعوقب في أيام الكهولة لصح ذلك رغم تبدل الصورة ؛ لأن متعلق الثواب والعقاب هو المادة بتبعية الصورة^(٢) .

فعلى القول الأول والثاني : فلا عقاب ولا ثواب ؛ لأن المعاد هو الصورة لا مادة الجسد الأصلية ، فتتفي حكمة المعاد وهي الجزء ، وكذلك مع تبدل وتغير الصور بلا نهاية ففي أي صورة يعاد ، وذهب إلى ذلك الملا صدرا الشيرازي بنظريته في المعاد الجسماني كما سيأتي .

(١) بغض النظر عن الروح أو النفس ، فالحديث الآن في خصوص معاد الجسد . ولهذا قال الميرزا موسى الحائري الإحقاقي في بداية ذكره لهذه الأقوال : (الذين قالوا بالمعاد الجسماني) . [انظر / إحقاق الحق - الميرزا موسى الحائري : ص ١٧٠] .

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٧٤ .

وأما على القول الثالث: فإن بطلانه واضح لدلالة النصوص النقلية واتفاق المشرعة على تغير الصور في المعاد، فهناك من يحشر بالصورة الإنسانية، وهناك من يحشر بالصورة الحيوانية كصورة الكلب والقرد وغيرهما. ولم يقل بهذا القول إلا القليل؛ كالسيد جعفر الدارابي^(١)، والملا رضا الهمداني^(٢).^(٣)

وأما على القول الرابع: فيثبت العقاب والثواب لأن المعاد هو المادة بتبعية الصورة؛ أي: البدن الدنيوي في صورة العمل، وهذا ما دل عليه الشرع والعقل. وذهب إلى هذا القول بالإجمال جمع من المتكلمين، وبالتفصيل الشيخ الأوحّد الأحسائي، كما سيأتي.

(١) هو السيد جعفر بن إسحاق العلوي الموسوي الدارابي البروجردي، ولد في عام (١١٨٩هـ)، متكلم شيعي إيراني، يشتهر بلقب السيد جعفر الكشفى، توفي عام (١٢٦٧هـ).

(٢) هو ملا رضا بن محمد أمين الهمداني، متكلم شيعي إيراني، يشتهر بلقب الكوثر الهمداني، توفي عام (١٢٤٧هـ).

(٣) إحقاق الحق - الميرزا موسى الخائري: ص ٧١-٧٥.

المطلب الثالث: مسألة المعاد عند المتكلمين

قال الكثير من المتكلمين بالمعاد الروحاني والجسماني لثبوت الأول بالدليل العقلي والشرعي ، ولثبوت الثاني بالدليل الشرعي فقط دون العقلي.

ولكن ، كان للبعض منهم آراء في كيفية المعاد الجسماني عقلاً ، أذكر المشهور منها فقط ، وهما رأيان :

الرأي الأول : ذكر بعض المتكلمين رأياً مجملاً في كيفية المعاد الجسماني عقلاً ، حيث ذهبوا إلى أن المعاد هو الأجزاء الأصلية - المادة - دون الأجزاء العرضية - الصورة -^(١) ، ومنهم :

١- الإمام الفخر الرازي^(٢) ، حيث قال : (لم لا يجوز أن يقال : إن الشيء الذي هو الإنسان في الحقيقة أجزاء لطيفة سارية في هذا البدن ، باقية من أول العمر إلى آخره ، أما لأجل أن تلك الأجسام اللطيفة مخالفة بالماهية لهذه الأجسام العنصرية الكائنة الفاسدة المتحللة - وتلك

(١) القول الرابع من الأقوال في المعاد الجسماني.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي ، ولد عام

(٥٤٤هـ) بمدينة الري ، من أشهر مؤلفاته : مفاتيح الغيب ، نهاية العقول في دراية الأصول ، رسالة الجوهر

الفرد ، وغيرها ، توفي عام (٦٠٦هـ) في هراة.

الأجسام حية لذواتها، مضيئة شفافة، فلا جرم كانت مصونة عن التبدل والتحلل .، وأما لأنها وإن كانت مساوية لهذه الأجسام العنصرية في الماهية، إلا أن الفاعل المختار صانها عن التغير والانحلال بقدرته، وجعلها باقية دائمة من أول العمر إلى آخره.

ثم عند الموت تنفصل تلك الأجزاء الجسمانية التي هي الإنسان، وتبقى على حالتها حية مدركة عاقلة فاهمة، وتتخلص إما إلى منازل السعداء، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١)، وإما إلى منازل الأشقياء، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^(٢)، ثم إنه تعالى يضم يوم القيامة إلى هذه الأجزاء الأصلية التي هي الإنسان في الحقيقة، أجزاء أخرى زائدة كما فعل ذلك في الدنيا، ويوصل الثواب والعقاب إليه، وعلى هذا التقدير لا يبقى في المعاد الجسماني شبهة وإشكال البتة.

وعلى هذا التقدير يكون المثاب والمعاقب في القيامة، عين ما كان مطيعاً وعاصياً في الدنيا، وهذا على القول بأن الإنسان جسم مخصوص، سار في هذا البدن، وأما على قول من يقول: الإنسان

(١) سورة آل عمران: (١٦٩).

(٢) سورة غافر: (٤٦).

عبارة عن جوهر مجرد عن الحجمية والمقدار، فالقول فيه أيضاً هكذا. فظهر أن على هذا التخليص، لا تبقى شبهة البتة، في صحة القول بالمعاد الجسماني^(١).

٢- المحقق الطوسي^(٢)، حيث قال: (ووجوب إيفاء الوعد والحكمة يقتضي وجوب البعث، والضرورة قاضية بثبوت المعاد الجسماني من دين محمد ﷺ، مع إمكانه، ولا يجب إعادة فواضل المكلف)^{(٣)(٤)}.
٣- السيد عبدالله شبر^(٥)، حيث قال: (إن تشخص الإنسان إنما هو بالأجزاء الأصلية، ولا مدخل لسائر الأجزاء والعوارض فيه)^(٦).
وغيرهم الكثير ممن ذهب إلى ذلك^(٧).

(١) كتاب الأربعين في أصول الدين - الإمام الفخر الرازي: ج ٢ ص ٥٩-٦٠.

(٢) مرت ترجمته سابقاً.

(٣) تجريد العقائد - المحقق الطوسي: ص ١٥٣-١٥٤.

(٤) وقال بذلك جملة من شراح التجريد، منهم: القوشجي، والأردبيلي، والعلامة الحلي. انظر/ إحقاق

الحق - الميرزا موسى الحائري: ص ٤٩-٥٠.

(٥) هو السيد عبدالله بن محمد رضا بن محمد آل شبر، ولد عام (١١٨٨هـ) في النجف، من علماء الشيعة ومتكلميهم، من أشهر مؤلفاته: مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، تفسير القرآن الكريم، المنهج القويم في طريقة القدماء والمحدثين، وغيرها، توفي عام (١٢٤٢هـ) في الكاظمية.

(٦) مصابيح الأنوار - السيد عبدالله شبر: ج ١ ص ١٨.

(٧) انظر/ إحقاق الحق - الميرزا موسى الحائري: ص ٤٩-٥٦.

غير أن هذه الأقوال ما هي إلا آراء لا يمكن اعتبارها إثباتاً لكيفية المعاد الجسماني عقلاً؛ وذلك لخلوها من النقطة الهامة التي يقتضيها مقام الإثبات، وهي تصوير كيفية الإعادة. بمعنى آخر:

لم يبينوا لماذا المعاد فقط للأجزاء الأصلية دون العرضية؟ وكيف تكون إعادة تلك الأجزاء الأصلية في يوم القيامة؟ وغيرها من الأمور التي تنبئ عن قيام الدليل العقلي في آرائهم أو أقوالهم؛ فإن تقديم الرأي شيء، وإثباته شيء آخر، كما هو الحال بين الرأي في الفرضية، والإثبات في النظرية.

الرأي الثاني: هناك فريق آخر من المتكلمين نسب إليهم القول بالمعاد الجسماني فقط^(١).

لذهاب البعض منهم إلى جسمية النفس؛ أي: ماديتها، فيرون أن الإنسان مركب من جسم كثيف وهو البدن، وجسم^(٢) لطيف نوراني

(١) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية - الشيخ فاضل الصفار: ج ٧ ص ٣١.

(٢) اختلفت الأقوال في ماهية النفس، هل هي جوهر أم لا؟ والقائلون بأنها جوهر اختلفوا هل هي مجردة أم لا؟ والمشهور أنها جوهر مجرد ليست بجسم، والمراد بتجردها: هو عدم كونها عنصراً مادياً ذا انقسام وزمان ومكان.

شفاف سار في البدن كسريان النار في الحطب ، والزيت في الزيتون ، وهو النفس أو الروح التي تفسد بفساد البدن^(١) ، ومن هؤلاء أبو الهذيل العلاف^{(٢)(٣)} .

ولذهاب البعض منهم إلى نفي وجود النفس ؛ أي : يرفضون وجود غير هذه البنية المقصود بها البدن ، ومن هؤلاء أبو بكر بن الأصم^(٤) حيث يقول : (الإنسان هو الذي يرى ، وهو شيء واحد لا روح له ، وهو جوهر واحد ، ونفي إلا ما كان محسوساً مدركاً)^(٥) .

وربما يفهم من إطلاق كلامهم بأن المعاد جسماني فقط ، من أنهم يثبتون الإعادة للجسم دون الروح ، وهذا غير صحيح ؛ لأن :

١- هناك رأيان في حالة الموت : الأول : أن الموت عدم وفناء ، والثاني : أنه انتقال من دار إلى دار ، والذين قالوا فقط بالمعاد الجسماني

(١) مذاهب الإسلاميين - عبدالرحمن بدوي : ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢) هو شيخ المعتزلة ، محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبدي العلاف ، ولد في عام (١٣٥هـ) بالبصرة ، من مؤلفاته : كتاب الرد على أهل الأديان ، كتاب الإنسان ما هو ، كتاب الجواهر والأعراض ، وغيرها ، توفي في عام (٢٣٥هـ) في بغداد .

(٣) المغني (التكليف) - القاضي عبدالجبار : ج ١١ ص ٣١٠ .

(٤) هو عبدالرحمن بن كيسان الأصم ، ولد في عام (٢٠١هـ) ، متكلم معتزلي ، من مؤلفاته : كتاب التوحيد ، كتاب المخلوق ، كتاب تفسير القرآن ، وغيرها ، توفي في عام (٢٧٩هـ) .

(٥) مقالات الإسلاميين - الأشعري : ٣٣١ .

من المتكلمين يذهبون إلى الرأي الأول ؛ أي : إن الله سبحانه وتعالى
يعدم الذوات ثم يعيدها.

٢- في نظرهم - القائلين بمادية النفس - أن المعاد في يوم القيامة ليس
للجسم الكثيف فقط ، بل تعود معه الروح أو النفس - الجسم اللطيف
الساري في ذلك الجسم الكثيف - ؛ لاستحالة عودة الأجسام من دون
الأرواح ، فليس هناك من يقول بغير ذلك من العقلاء ؛ لأن ذلك
يستلزم القول بأن المعاد للأجسام دون الأرواح.

فالمُعَاد هو لهذين الجسمين ؛ ولكنهم لما ذهبوا إلى جسمانية النفس
لا إلى تجردها ، قالوا بأن المعاد جسماني فقط. وهذا هو مرادهم ، لا ما
فهمه البعض من أنهم ينكرون المعاد الروحاني ؛ فجعل قولهم قسماً
مفارقاً للأقوال في مسألة المعاد^(١).

نعم ، قد يتجه الكلام إلى النافين لوجود النفس منهم ، ولكن ثبوت
وجود النفس الإنسانية مما قام عليه الدليل ، بل الإجماع.

(١) المعاد يوم القيامة - علي موسى الكعبي : ص ٧٥.

المطلب الرابع: مسألة المعاد عند الفلاسفة المسلمين

قال الكثير من الفلاسفة بالمعاد الروحاني لثبوتة بالدليل الشرعي والعقلي ، وعلى ذلك ، جعلوا المعاد وما يتعلق به من شأن الروح التي لا يعترئها الفناء ، فالثواب والعقاب ما هو إلا تلذذ النفس أو تألمها باللذات والآلام الروحية والعقلية^(١).

وحتى يكون الحديث وافيًا في هذا المطلب ؛ فسوف يقع في ثلاث نقاط رئيسية ، وهي :

النقطة الأولى : استحالة إعادة المعدوم وشبهة الأكل والمأكول

إن الإثباتات والأدلة الشرعية منها والعقلية التي جاء بها الفلاسفة لتشهد على صدق مذهبهم الروحاني في مسألة المعاد ؛ قد جرت وفق تأويلات فهمهم الفلسفي الخاص للنصوص الشرعية مع الأول ، وعلى معاييرهم (قواعدهم) الفلسفية مع الثاني^(٢) ؛ وكل ذلك جاء للبرهنة على عدة أمور في هذه المسألة ، ومنها :

(١) الباب الحادي عشر- العلامة الحلي : ص ٢٠٦.

(٢) فأولوا الآيات القرآنية والنصوص الدينية حتى تتفق مع مذهبهم ، وارتكزوا على قواعد ممن سبقهم من الفلاسفة كفلاسفة اليونان وغيرهم.

الأول: إن الإنسان مركب من مادة وصورة. البدن مادته، وهو الفاسد الفاني، والنفس صورته، وهي الجوهر الروحاني الخالد الذي لا يعتره الفناء. وأن النفس هي حقيقة الإنسان، أما المادة (البدن) فلا التفات إليها، إذ الإنسان ليس إنساناً بها، بل بالنفس؛ ولذا كان المعاد لها فقط (المعاد الروحاني أو النفساني)^(١).

الثاني: المعاد الجسماني موقوف بالضرورة على قواعد راسخة لديهم، ومنها - نذكرها بدون التعرض إلى مناقشة ردها^(٢) -:

أ - استحالة إعادة المعدوم

إن المعاد الجسماني عند الفلاسفة موقوف على إعادة المعدوم بعينه، وإعادة المعدوم بعينه محال، فالمعاد الجسماني محال. وبرهنوا على استحالة إعادة المعدوم بعينه بأدلة أربعة، مفادها: إن النفس مجردة باقية، والجسم ينعدم، فإعادته في يوم القيامة من قبيل إعادة المعدوم، وإعادة المعدوم بعينه محال من:

(١) رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها - ابن سينا: ص ١٨٤-١٨٥. في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام - د. محمود قاسم: ص ٨٨٨٦.

(٢) لمن أراد الأدلة الحكمية المصوغة في رد هذه الشبهات فليُنظر إلى: للشبهة الأولى: شرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٢ ص ٣٥٨-٣٥٩. وللشبهة الثانية: رسالة في جواب الميرزا أحمد في شبهة الأكل والمأكول "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ١٤١.

١- دليل التخلل : فلو أعيد المعدوم بعينة لتخلل العدم بين الشيء ونفسه ؛ لكن التالي باطل ، والمقدم مثله ؛ لأن تخلل العدم بين الشيء ونفسه محال بالضرورة ، فلا يكون المُعاد هو المبتدأ بعينه ؛ لأنهما موجودان متغايران في وجودهما. بمعنى آخر ، إن الموت فناء للإنسان ، فإذا ردت إليه الحياة ثانية ، فهو إنسان آخر له وجود غير الأول ، وهذا خلق جديد بعد العدم لا إعادة فيه ، ولا ربط بينه وبين الأول.

٢- دليل الوقت : فلو أعيد المعدوم بعينه لكان المُعاد هو المبتدأ ، لكن التالي باطل ، والمقدم مثله ؛ وذلك لأن فرض العينية يوجب كون المُعاد هو المبتدأ ذاتاً مع جميع عوارضه المشخصة ومنها الوقت الأول ، ولو أعيد المعدوم مع وقت الأول للزم اجتماع الابتداء والإعادة معاً ، وفي هذا جمع بين المقابلين ، وهو باطل لأن الابتداء والإعادة ضدان لا يجتمعان.

٣- دليل المثلية : فلو أعيد المعدوم بعينه لجاز إيجاد مثلين لا يتمايزان في الماهية والتشخص ؛ أي : يلزم الاثنينية بدون الامتياز ، لكن التالي باطل ، والمقدم مثله ؛ وذلك لأن الاثنينية تقتضي التمايز ، ووجود مثلين لا تمايز بينهما باطل.

٤- دليل الصفة: لو أعيد المعدوم بعينه للزم الحكم عليه عند وجوده بأنه عين الوجود الأول، لكن التالي باطل، والمقدم مثله، لأن الإعادة العينية للمعدوم يقتضي الحكم عليه بأنه عين الأول، وهذا الحكم للمعدوم يقتضي اتصافه حال عدمه بصحة العود، وهذا الاتصاف يقتضي كون المعدوم متحيزاً حال عدمه، وهو محال بالضرورة^(١).

ب - شبهة الأكل والمأكل

وهي شبهة قديمة، عُبر عنها بتعبيرات مختلفة اتخذت نواحي جميعها ترتبط بإنكار المعاد الجسماني، ومنها:

التعبير الأول: يعود إلى ناحية عين البدن المُعاد؛ فلو أكل إنسان إنساناً آخر، فالأجزاء التي كانت للمأكل ثم صارت في بدن الأكل، إما أن تعاد يوم القيامة في كل واحد منهما، أو تعاد في أحدهما، أو لا تعاد أصلاً.

والأول محال؛ لاستحالة أن يكون نفس الجزء في آن واحد في شخصين متباينين، والثاني خلاف المفروض؛ لأن لازمه أن لا يعاد

(١) بداية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي: ص ٢٩-٣١.

الآخر بتمام عينه ، والثالث أيضاً محال ، إذ يلزم نفي المعاد ؛ فينتج من كل تلك الاحتمالات أنه لا يمكن إعادة الأبدان بأعيانها^(١).

وقد يقال : بأن أكل إنسان لإنسان آخر شيء لا يتفق حصوله إلا نادراً ، فصاغ بعضهم هذا التعبير بصورة أخرى ، بحيث تكون الشبهة أكثر قرباً للواقع الملموس ، وهي : إن الثمار والحبوب والفواكه التي يتغذى عليها الإنسان تنبت من تراب الأرض ، الذي هو عبارة عن مزيج رفات الأموات ، فالإنسان إذا مات ودفن وتحلل جسده ، فإن عصارة جسده (عناصره) تمتزج بتراب الأرض ، ثم تنتقل إلى تلك الثمار التي يتغذى عليها الإنسان الآخر.

التعبير الثاني : يعود إلى ناحية الثواب والعقاب ، فلو أكل إنسان كافر إنساناً مؤمناً ؛ فيلزم إما تعذيب المؤمن ، أو تنعيم الكافر ؛ لأن بدنه أو جزءاً منه صار جزء من بدن الكافر ، وهذا خلاف مقتضى غاية المعاد الجسماني ، وهي الجزاء على الأعمال^(٢).

(١) رسالة في جواب الميرزا أحمد في شبهة الأكل والمأكول "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي :

ج ٣ ص ١٤١

(٢) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل - الشيخ جعفر السبحاني : ج ٤ ص ٣٩٦.

النقطة الثانية: آراء بعض الفلاسفة المسلمين في مسألة المعاد

بالرغم من ذهاب الكثير من الفلاسفة إلى القول بالمعاد الروحاني فقط ؛ إلا أن هناك من قال بالمعاد الجسماني أيضاً لثبوته بالدليل الشرعي دون العقلي لديهم.

وسوف يتضح أمر ذلك من خلال عرض نصوص البعض منهم^(١) ؛ وذلك للوقوف على جوانب رأيهم في هذه المسألة :

١- الكندي^(٢) : كان من أوائل الفلاسفة المسلمين المتأثرين كثيراً بالفلسفة اليونانية ، فتأثر بفلسفة أفلاطون في خلود النفس ومصيرها وأحوالها بعد فناء البدن (المعاد الروحاني) ، ومن ذلك قوله :

(هذه النفس التي هي من نور الباري عز وجل إذا هي فارقت البدن علمت كل ما في العالم ولم يخف عنها خافية ؛ والدليل على ذلك قول أفلاطون ، حيث يقول إن كثيراً من الفلاسفة الطاهرين القدماء ، لما

(١) لا يسع هذا البحث الحديث عن رأي جميع الفلاسفة المسلمين في مسألة المعاد ، فذكرت البعض منهم

فقط ، من أولئك الأكثر شهرة وتأثيراً في عصورهم.

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي ، ولد عام (١٨٥هـ) في الكوفة ، ويعد أول الفلاسفة المشائين ،

اشتهر بتعريب الفلسفة اليونانية ، وبرع في الطب والفلك والكيمياء وغيرها ، توفي عام (٢٥٦هـ) في

بغداد.

يتجرد من الدنيا، وتهاونوا بالأشياء المحسوسة، وتفردوا بالنظر والبحث عن حقائق الأشياء، انكشف لهم علم الغيب، وعلموا بما يخفيه الناس في نفوسهم، واطلعوا على سرائر الخلق. فإذا كان هذا هكذا، والنفس بعد مرتبطة بهذا البدن في هذا العالم المظلم الذي لولا نور الشمس لكان في غاية الظلمة، فكيف إذا تجردت هذه النفس وفارقت البدن، وصار في عالم الحق الذي فيه نور الباري سبحانه؟

ولقد صدق أفلاطون في هذا القياس وأصاب به البرهان الصحيح.. فإن النفس على رأي أفلاطون وجلّ الفلاسفة باقية بعد الموت، جوهرها كجوهر الباري عز وجل، في قوتها إذا تجردت أن تعلم سائر الأشياء كما يعلم الباري بها، أو دون ذلك برتبة يسيرة؛ لأنها أودعت من نور الباري عز وجل. وإذا تجردت وفارقت البدن وصارت في عالم العقل فوق الفلك، صارت في نور الباري، ورأت الباري عز وجل، وطابقت نوره، وجلت في ملكوته، فانكشف لها علم كل شيء، وصارت الأشياء كلها بارزة لها كمثل ما هي بارزة للباري عز وجل.. فتلذذت لذّة دائمة فوق كل لذّة تكون، بالمطعم والمشرب والنكاح والسمع والنظر والشم

واللمس ؛ لأن هذه لذات حسية دنسة تعقب الأذى ، وتلك لذة إلهية روحانية ملكوتية^(١) .

أما بالنسبة للمعاد الجسماني عند الكندي ، فقد ذهب إلى عدم قدرة البشر على تعقل كيفيته مهما أوتي لهم من قدرة منطقية عقلية ، وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بتصديق ما أتى به الرسل ﷺ ؛ أي : إثباته بالدليل الشرعي ، ومن ذلك ما قال :

(تستيقن العقول إن ذلك من عند الله جل وتعالى ، إذ هو موجود عندما عجز البشر بطبعها عن مثله ، فإذا ذلك فوق الطبع وجب لها ، فتخضع له بالطاعة والانقياد ، وتنعقد فطرها فيه على التصديق بما أتى به الرسل ﷺ ، فإنه إن تدبر متدبر جوابات الرسل فيما سئلوا عنه من الأمور الخفية الحقية التي إذا قصد الفيلسوف الجواب فيها بجهد حيلته التي أكسبته علمها لطول الدؤوب في البحث والتروض ؛ ما نجده أتى بمثلها في الوجازة والبيان ، وقرب السبيل ، والإحاطة بالمطلوب .

كجواب النبي ﷺ فيما سأله المشركون عنه مما علمه الله ، إذ هو بكل شيء علم لا أولية له ولا نقيضاً ، بل سرمداً أبداً ، إذ تقول له ، وهي طاعنة ظانة أنه لا يأتي بجواب فيما قصد به بالسؤال عنه ،

(١) رسائل الكندي الفلسفية - تحقيق / محمد عبد الهادي أبو ريدة : ص ٢٧٤-٢٧٧ .

صلوات الله عليه : يا محمد ، من يحيي العظام ، وهي رميم ؟ إذ كان ذلك عندها غير منازعة ، فأوحى إليه الحق جل ثناؤه : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(١).

فأي دليل في العقول النيرة الصافية أبين وأوجز من أنه إذا كانت العظام ، بل إن لم تكن ، فمممكن إذا بطلت بعد أن كانت وصارت رميمًا أن تكون أيضاً؟

فإن جمع المتفرق أسهل من صنعه أيس ومن إبداعه ، فأما عند باريهم فواحد ، لا أشد ولا أضعف ، فإن القوة التي أبدعت ممكن أن تنشئ ما أثمرت ، وكونها بعد أن لم تكن ، موجود للحس فضلاً عن العقل ، فإن السائل عن هذه المسألة الكافر - بقدرة الله جل وتعالى - مقرر أنه كان بعد أن لم يكن ، وعظمة لم يكن هو معدوم ، فعظمه كان اضطراراً بعد أن لم تكن ، فإعادتها وإحيائها كذلك أيضاً ، فإنها

موجودة حية بعد أن لم تكن حية، فممكناً أيضاً أن تصير حية، بعد إذ هي لا حية^(١).

٢- ابن سينا^(٢): اهتم بدراسة النفس، فبالغ في البرهنة على وجودها وجوهريتها وروحانيتها للوصول إلى الفكرة التي تؤكد خلودها، تحقيقاً لمعنى السعادة الروحية الخالدة، وقد عقد فصلاً خاصاً في رسالته "الأضحوية في المعاد"^(٣) لتوضيح هذه الفكرة، وعبر عن ذلك أيضاً في قصيدته العينية:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

ولم يكتفِ ابن سينا بإقامة الأدلة على خلود النفس، وبيان مصيرها بعد الموت، وسعادتها وشقاوتها الروحيين^(٤)، بل اعتنى أيضاً بذكر الأدلة العقلية الدالة على بطلان معاد الأجساد، وهكذا بدأ قوله واضحاً في التشديد على إمكان إثبات المعاد الروحاني عقلاً دون الجسماني منه.

(١) رسائل الكندي الفلسفية - تحقيق / محمد عبد الهادي أبو ريدة: ص ٣٧٤-٣٧٣.

(٢) مرت ترجمته سابقاً.

(٣) الأضحوية في المعاد - ابن سينا: ص ١٢٧-١٣١.

(٤) رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها - ابن سينا: ص ١٠٣.

فقد وجه سهام نقده للقائلين بالمعاد الجسماني ، فقال : (أما الفرقة الجاعلة المعاد للبدن وحده فالداعي لهم إلى ذلك ما ورد به الشرع من بعث الأموات ..

ولنرجع إلى المعقول الصرف ، فنقول :

إن الإنسان ليس إنساناً بمادته ، بل بصورته الموجودة في مادته^(١) ، وإنما تكون الأفعال الإنسانية صادرة عنه لوجود صورته في مادته ، فإذا بطلت صورته عند مادته ، وعادت مادته تراباً أو شيئاً آخر من العناصر فقد بطل ذلك الإنسان بعينه ، ثم إذا خلقت في تلك المادة بعينها صورة إنسانية جديدة حدث منها إنسان آخر لا ذلك الإنسان^(٢) ، فإن الموجود في هذا الثاني من الأول مادته لا صورته ، ولم يكن هو ما هو ولا محموداً ولا مذموماً ، ولا مستحقاً لثواب أو عقاب بمادته بل بصورته ، وبأنه إنسان لا بأنه تراب.

فتبين أن الإنسان المثاب والمعاقب ليس ذلك الإنسان المحسن والمسيء بعينه ، بل إنسان آخر مشارك له في مادته التي كانت له ، فليس إذن هذا البعث متأدياً إلى ثواب المحسن وعقاب المسيء ، بل يثاب فيه

(١) يذهب إلى القول الثاني : أن المعاد هو الصورة لا المادة.

(٢) نظرية استحالة إعادة المعدوم.

غير المحسن ويعاقب غير المسيء ، فأبعد الأقاويل عن الصواب في أمر المعاد قول من جعل المعاد للبدن وحده^(١).

ثم أخذ يوجه نقده للقائلين بالمعاد الجسماني والروحاني ، فقال :
(وأما من جعل الروح باقية فله أن يجعل مصرف الثواب والعقاب الحقيقين لها ، وهي باقية بعينها ، ولا يكون تجدد البدن عليها إلا كتجدد شيء من الأعراض على جوهر قائم ، ولكن مذهبهم أيضاً لا يستقيم)^(٢).

ثم أخذ في مناقشة ذلك ، فقال :

(فنقول : لا يخلو إما أن تكون النفس تعود إلى المادة التي فارقته ، أو إلى مادة أخرى ، وقد قيل من حكاية مذهب المخاطبين بهذه الفصول أنهم يرون عودها إلى تلك المادة بعينها ؛ فحينئذ إما أن تكون المادة هي المادة التي كانت حاضرة عند الموت ، أو جميع المادة التي قارنته جميع أيام العمر. فعلى الأول : أي إن كانت المادة الحاضرة حالة الموت فقط ، وجب أن يبعث المجذوع والمسلوخ ، والمقطوع يده في سبيل الله على صورته تلك ، وهذا قبيح عندهم. وإن بعث جميع أجزائه التي كانت ،

(١) الأضحوية - ابن سينا : ص ١٠٣-١٠٤ .

(٢) الأضحوية - ابن سينا : ص ١٠٤ .

أجزاء له مدة عمرة ، وجب من ذلك أن يكون جسده واحداً بعينه يبعث
يداً ورأساً وكبداً وقلباً ، وذلك لا يصح ؛ لأن الثابت أن الأجزاء
العضوية دائماً ينتقل بعضها إلى بعض في الاغتذاء ، ويغتذي بعضها من
فضل غذاء البعض ، ووجب أن يكون الإنسان المغتذي من الناس في
البلاد التي يحكي أن غذاء الناس فيها الناس ، إذا نشأ من الغذاء
الإنساني أن لا يبعث ؛ لأن جوهره من أجزاء جوهر غيره ، وتلك
الأجزاء تبعث في غيره أو يبعث هو ، وتضيع أجزاء غيره فلا يبعث^(١) .

فإن أجبت بأن المعاد إنما هو بالأجزاء الأصلية ، وهي الباقية من
أول العمر إلى آخره ، لا جميع الأجزاء على الإطلاق ، وهذا الجزء
فضله في الإنسان أن أكل ، فلا يجب إعادة فواضل المكلف^(٢) ، ثم إن
كان من الأجزاء الأصلية للمأكول أعيد فيه ، وإلا فلا ، وإن قالوا : إن
المبعوث من أجزائه ، أجزاؤه التي تصح بها حياته ، فلا خلاص منه ؛
لأنها قد ترتبت ، وتساوت في استحقاق أن يكون بعضها مقوماً للحياة ،
وبعضها نافعاً غير مقوم ، وصار البعث عن ذلك التراب ، وعن تراب

(١) شبهة الأكل والمأكول.

(٢) يرد على المتكلمين الذين ردوا على شبهة الأكل والمأكول ، بالقول : بأن المعاد هو الأجزاء الأصلية لا
الأجزاء الفضلية.

غيره سواء لا فرق فيه ، فقد رفعوا حكم العدل الذي يراعونه في بعث أعضاء البدن ، إلا أن يجعلوا للأجزاء المخصصة بالبعث خصوصية معنى زائدة عنها ، وهو أنها في حال الحياة الأولى كانا مادة للأجزاء المقومة للحياة ، فيكون القول بالبعث لا فائدة منه ، ولا جدوى بوجه من الوجوه ، أعني تخصيص بعض أجزاء الأعضاء المتشابهة بالبعث دون بعض هو القول بتصيير عدم معنى كان سبباً في استحقاق شيء لمعنى دون غيره ، وحال العدم الكائن والممكن الكون الغير الكائن في المادة القابلة لها واحدة ، وأنت إذا تأملت وتدبرت ظهر لك أن الغالب على ظاهر التربة المعمورة جثث الموتى المترتبة ، وقد حرث فيها وزرع ، وتكون منها الأغذية ، وتغذى بالأغذية جثث أخرى ؛ فأنى يمكن بعث مادة كانت حاملة لصورتني إنسانين في وقتين ، أو لما جميعاً في وقت واحد بلا قسمة .

فإن قال قائل إنه يبعث للنفس بدن من أي تراب اتفق ، وأي هواء وماء ونار اتفق ، وليس من شرطه أن تكون الاسطقسات الموجودة في الحياة الأولى بعينها^(١) ؛ فهو بعينه القول بالتناسخ الصراح^(٢) .

(١) يرد على أصحاب القول الأول : أن المعاد هو الصورة وإن تبدلت وتغيرت المادة .

(٢) الأضحوية - ابن سينا : ص ١٠٦ - ١٠٩ .

وهكذا يستمر في إيراد الأدلة العقلية حتى ينهي مناقشته بقوله :
(فإذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده ، وبطل أن يكون للبدن والنفس
جميعاً ، وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ ؛ فالمعاد إذن
للنفس وحدها على ما تقر^(١)).

وبناءً على كلماته في هذا النص وغيره استنتج الكثير ذهابه إلى
القول بالمعاد الروحاني وإنكاره للمعاد الجسماني ؛ فكفره البعض
لذلك ، واتخذوا تحقيق الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة"^(٢) مؤيداً قوياً
لاستنتاجهم.

غير أننا نجد لابن سينا رأياً آخر في المعاد الجسماني ، وهو القول به
من الجهة الشرعية لا من الجهة العقلية ، حيث قال - مثلاً - في الإلهيات
من كتاب الشفاء :

(يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو منقول من الشرع ، ولا سبيل إلى
إثباته إلا من طرق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن
عند البعث ، وخيرات البدن وشروعه معلومة لا يحتاج إلى تعلم ، وقد
بسطت الشريعة الحقبة التي أتاناً بها نبينا وسيدنا ومولانا محمد صلى الله

(١) الأضحوية - ابن سينا : ص ١٢٦ .

(٢) تهافت الفلاسفة - الغزالي : ص ٢٩٣-٢٩٤ .

عليه وآله وسلم حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالقياس اللتان للأنفس ، وإن كانت الأوهام ها هنا تقصر عن تصورهما الآن^(١)^(٢).

٣- الغزالي^(٣) : كجملة الفلاسفة نسب إليه القول بالمعاد الروحاني فقط دون الجسماني منه^(٤) ؛ وذلك لمبالغته في تحقيقه وبيان أنواع العذاب والثواب بالنسبة إلى الروح.

ولكن ، لا يمكن الأخذ بهذه النسبة وذلك لعدة أمور ، ومنها :
الأول : نقده - بل وتكفيره - لبعض من سبقه من الفلاسفة في ذهابهم إلى القول بالمعاد الروحاني.

ويظهر هذا بوضوح في أشهر كتبه وهو "تهافت الفلاسفة" ؛ حيث إنه بعدما انتقدهم قال بفكرهم في ثلاث مسائل ، وهي : مسألة قدم

(١) الشفاء - ابن سينا : ص ٤٦٠-٤٦٢.

(٢) الأستاذ فتح الله خليفة من المختصين بدراسة آثار ابن سينا ، وله دراسة لطيفة في إثبات ذهابه إلى القول بالمعاد الجسماني . انظر / ابن سينا ومذهبه في النفس - فتح الله خليفة : ص ١١٧.

(٣) هو أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيشابوري ، ولد في عام (٤٥٠هـ) ، يعتبر من أشهر المتصوفة المسلمين ، له مؤلفات عديدة من أشهرها : تهافت الفلاسفة ، إحياء علوم الدين ، المنقذ من الضلال ، وغيرها ، توفي في عام (٥٠٥هـ).

(٤) فلسفة ابن طفيل ورسالته (حي بن يقظان) - د. عبدالحليم محمود : ص ٧٠.

العالم، وقولهم: إن الجواهر كلها قديمة، ومسألة العلم الإلهي، وقولهم: إن الله لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص، ومسألة المعاد، وقولهم: إن المعاد روحاني، وإنكارهم معاد الأجساد وحشرها^(١).

الثاني: إنه في الوقت الذي ينقض على القائلين بالمعاد الروحاني، فإنه يذهب إلى كيفية للمعاد للجسماني وهي التناسخ^(٢)، حيث يقول: (نعم، قد دل مع ذلك على البعث والنشور بعده، وهو بعث البدن، وذلك ممكن بردها إلى بدن، أي بدن كان، سواء كان من مادة البدن الأول، أو من غيره، أو من مادة استأنف خلقها، فإنه هو بنفسه لا يبدنه، إذ لا تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر إلى الكبر بالهزل والسمن، وتبدل الغرائز ويختلف مزاجه، مع ذلك هو ذلك الإنسان بعينه، فهذا مقدور لله تعالى، ويكون ذلك عوداً لتلك النفس، فإنه كان قد تعذر عليها أنه تحظى بالآلام واللذات الجسمية بفقد الآلة، وقد أعيدت لها آلة مثل الأولى، فكان ذلك عوداً محققاً...

(١) تهافت الفلاسفة - الغزالي: ص ٣٠٨، ٣٠٧.

(٢) بغض النظر الآن عن عدم موافقة ذلك للشرع، فهو هنا يثبت الأصل وهو وجود المعاد الجسماني، ولكن الكيفية التي أثبت بها ذلك لا تتلاءم مع ما جاءت به الشريعة الحقة.

وأما إحالتكم الثانية بأن هذا تناسخ، فلا مشاحة في الأسماء، فما ورد الشرع به يجب تصديقه، فليكن تناسخاً، ونحن إنما ننكر التناسخ في هذا العالم، وأما البعث فلا ننكره، سُمِّيَ تناسخاً أو لم يُسمَّ تناسخاً^(١).

وسبب ذهابه إلى ذلك؛ لأنه من القائلين باستحالة إعادة المعدوم^(٢)، فاحتاج إلى مادة يخلق منها البدن الآخروي، فقال بإعادة النفس في أي مادة كانت.

الثالث: إن مبالغته في تحقيق المعاد الروحاني بصورة أكثر وأكبر من المعاد الجسماني الذي قال فيه: (إنه ظاهر لا يحتاج إلى زيادة بيان)^(٣)؛ لا يعني إنكاره له شرعاً؛ لأن تصريحه بإمكان المعاد الجسماني من الناحية الشرعية واضح في الكثير من مصنفاته^(٤)، ومنها قوله: (أما الحشر فنعني به إعادة الخلقة، وقد دلت عليه القواطع الشرعية، وهو ممكن بدليل الابتداء، فإن إعادة خلق ثانٍ، ولا فرق بينه وبين

(١) تهافت الفلاسفة - الغزالي: ص ٢٨٦-٢٨٥.

(٢) تهافت الفلاسفة - الغزالي: ص ٢٨٤-٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٧ ص ٥٢.

(٤) انظر / الأربعين في أصول الدين - الغزالي: ص ٣٦٣-٣٦٥. إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ٤١٩.

الابتداء، وإنما تسمى إعادة بالإضافة إلى الابتداء السابق، والقادر على الإنشاء والابتداء قادر على الإعادة، وهو المعنى بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(١) ^(٢).

ولهذا اعتبر البعض هذه النسبة مجرد افتراء عليه^(٣).

النقطة الثالثة: التحقيق في رأي الفلاسفة المسلمين في مسألة المعاد

لا شك أن الفلاسفة المسلمين استغرقوا كثيراً في إيراد الأدلة العقلية الصرفة الدالة على ثبوت المعاد الروحاني وإنكار المعاد الجسماني؛ فاستنتج من كلماتهم ذهابهم لذلك.

ولكن؛ لو قمنا بتحليل تناولهم لمسألة المعاد بدقة، واستثنينا إمكان المتعلق الأول وإثبات كيفيته وهو المعاد الروحاني؛ لعدم الخلاف فيه بينهم وبين المتكلمين، ثم تمسكنا بالمتعلق الثاني الذي نشب الخلاف حول إثبات كيفيته؛ فسوف نجد أنهم قد صرحوا بحقيقته وكونه مقبولاً

(١) سورة يس: (٨٠-٧٩).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد - الغزالي: ص ٩٦.

(٣) يقول صاحب المقاصد: (قد بالغ الإمام الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الروح؛ حتى سبق إلى كثير من الأوهام، ووقع في لسان بعض العوام أنه ينكر حشر الأجساد افتراء عليه. كيف؟ وقد صدح به في مواضع من كتاب الأحياء وغيره، وذهب إلى أن إنكاره كفر، وإنما لم يشرحه في كتبه لما قال: إنه لا يحتاج إلى بيان). [شرح المقاصد - سعد التفتازاني: ج ٢ ص ١٥٦].

من جهة الشرع ؛ أي : إنهم بالرغم من عدم قدرتهم على إثبات كيفيته بواسطة قوانينهم العقلية إلا أنهم لم ينكروا إمكانه الشرعي .

فسلموا به من هذه الجهة - كما مر سابقاً في كلماتهم - ؛ ولذا قال السيد محمد حسين الطباطبائي^(١) في كتابه بداية الحكمة بعد تحقيقه لدليل الفلاسفة وهو استحالة إعادة المعدوم : (وعمد ما دعاهم إلى القول بجواز الإعادة ، زعمهم أن المعداد وهو ما نطقت به الشرائع الحقّة)^(٢) .

فإذا فهمنا أساس نقطة الخلاف وهي إمكان إثبات المعاد الجسماني عقلاً من عدمه ؛ فسوف تتضح هذه النقاط :

الأولى : أن الخلاف الجوهرى بين المتكلمين والفلاسفة في مسألة المعاد الجسماني كان يدور حول إثبات كيفيته عقلاً ، لا حول إمكانه شرعاً .

الثانية : أن الأبحاث التي تناولت آراءهم ؛ فاستتج البعض منها ذهابهم إلى القول بالمعاد الروحاني فقط ، كانت تنظر إلى جهة الخلاف ؛ أي : إلى عدم قدرتهم على إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً .

(١) هو السيد محمد حسين الطباطبائي ، المعروف بالعلامة الطباطبائي ، ولد في تبريز عام (١٣٢١هـ) ، من أبرز فلاسفة ومفكري الشيعة ، من مؤلفاته : بداية ونهاية الحكمة ، حاشية على كتاب الأسفار ، رسالة في العشق ، وغيرهما ، توفي عام (١٤٠٢هـ) في قم .

(٢) بداية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي : ص ٣١ .

أما تلك التي استنتج منها ذهابهم إلى القول بالمعاد الجسماني أيضاً، فقد كانت تنظر إلى جهة الوفاق ؛ أي : إلى إقرارهم بإمكانه شرعاً.

الثالثة : أن الفلاسفة لم يستطيعوا إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً ، وإن إقرارهم وتسليمهم بإمكانه شرعاً ليس تناقضاً في رأيهم ، وإنما هو ضرورة منهجية اقتضتها الحقيقة الثابتة جراء انتسابهم أو دخولهم تحت إطار المنهج الإسلامي.

الفصل الرابع:

مسألة المعاد عند الملا صدرا الشيرازي

تمهيد الفصل الرابع

من الواضحات التي سيتعرض لها أي ناظر للكتب التي تتحدث عن أفكار الملا صدرا الشيرازي ؛ هي اضطراب آراء الكثير من العلماء والباحثين وغيرهم حول رأيه الحقيقي في مسألة المعاد ، بين مثبت له القول بالمعاد الروحاني والجسماني ، وبين القول بالمعاد الروحاني فقط . ونظراً لما تمتاز به شخصيته من أهمية في مجال الفكر الإسلامي ، إذ إن أفكاره الفلسفية تبوأ مكانة لا بأس بها من ساحة العقول والأذهان ، وكذلك لأهمية الحساسية المثارة حول بعض آرائه كما في مسألة المعاد الجسماني ؛ عازمت على مناقشة منظوره في عمل منفرد ليتيح لنا الكشف عن رأيه الحقيقي فيها .

ومن هنا ، تضمن هذا الفصل ثلاثة مطالب ؛ وهي :

الأول : مختصر سيرة الملا صدرا الشيرازي .

الثاني : رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد من الناحية الشرعية .

الثالث : رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد من الناحية العقلية .

المطلب الأول: مختصر سيرة الملا صدرا الشيرازي

ولد محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي، الملقب عند العامة بـ "بالملا صدرا"، وعند أتباعه وأهل الفن بـ "صدر المتألهين"؛ في حدود عام (٩٧٩هـ) أو (٩٨٠هـ)^(١)، بمدينة شيراز.

ولما توفي والده الذي احتل مركز الوزارة لدى سلطان زمانه ارتحل إلى مدينة أصفهان، أحد المراكز العلمية البارزة إبان الحكم الصفوي؛ فدرس عند فحول العلماء آنذاك؛ كالشيخ بهاء الدين محمد العاملي^(٢)، والسيد مير محمد باقر بن شمس الدين محمد الاسترآبادي^(٣)، المعروف بـ "الميرداماد"، والمير أبو القاسم فندرسكي^(٤).

(١) فلسفة صدر المتألهين الشيرازي - مجموعة مؤلفين "هنري كوربن": ص ٩٥.

(٢) هو الشيخ محمد بن حسين الحارثي المعروف بالشيخ البهائي أو بهاء الدين العاملي، ولد في بعلبك عام (٩٥٣هـ)، فيلسوف شيعي، من مؤلفاته: شرح الأربعين حديثاً، الزبدة في الأصول، منظومة في الموعظة وغيرها، توفي في عام (١٠٣٠هـ) في أصفهان.

(٣) هو محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترآبادي، ولد في سنة (٩٦٠هـ)، عالم فيلسوف، عاش في العهد الصفوي، توفي في سنة (١٠٤١هـ). [أمل الآمل - الحر العاملي: ج ١ ص ١١٠].

(٤) هو السيد أبو القاسم بن ميرزا بيك بن صدر الدين الحسيني الموسوي الفندرسكي، ولد في سنة (٩٧٠هـ)، حاز منزلة مرموقة عند الشاه عباس الصفوي والشاه صفي الدين، توفي في سنة (١٠٥٠هـ). [موسوعة مؤلفي الإمامية - مجمع الفكر الإسلامي: ج ٢ ص ٦٢٣].

ثم عاد إلى شيراز، وبدأ نشاطه العلمي في مدرستها التي وصلت إلى أوجها بعد فترة من الأفول العلمي الذي ساد العالم الإسلامي آنذاك على أثر حملات المغول على إيران؛ فاتهم بالكفر^(١) في بعض آرائه الفلسفية، فنسب إليه سوء العقيدة^(٢)؛ كالقول بوحدة الوجود^(٣)، وانقطاع العذاب عن أهله في الآخرة، وإنكاره الخلود في النار^(٤)، وغيرها.

وهكذا واجه الاضطهاد من بعض فقائها وعلمائها^(٥)، فقرر الابتعاد عن شيراز^(٦)، واختار الهجرة والانعزال في قرية (كهك) إحدى قرى مدينة قم المقدسة.

(١) الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين الشيرازي - د. علي الحاج حسن: ص ١٩.

(٢) الفيلسوف الإيراني الكبير - أبو عبدالله الزنجاني: ص ٢٨٢٦.

(٣) يقول الزركلي: (محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي، الملا صدر الدين، فيلسوف من القائلين بوحدة الوجود. من أهل شيراز، فارسي المحدث، عربي التصانيف، كان يعرف بالآخوند). الأعلام - خير الدين الزركلي: ج ٥ ص ٣٠٣.

وانظر/ شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحساني: ج ١ ص ٨٧. العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: ص ٢١٥. المقدمة الكاملة للأسفار - الشيخ محمد رضا المظفر: ص ١٢.

(٤) الشواهد الربوبية - الملا صدرا الشيرازي: المشهد الرابع/ الإشراق السادس عشر: في كيفية خلود أهل النار الذين هم أهلها فيها ص ٣١٣.

(٥) يقول صاحب دائرة المعارف: (استأنف ملا صدرا تدريس ابن سينا، وأراد أن يتحاشى اضطهاد المجتهدين فأخفى نظرياته باصطناع الكتمان مستخدماً عبارات تعتمد فيها الغموض). دائرة المعارف الإسلامية - ج ١٤ ص ٦٣٣.

(٦) لوامع العارفين في أحوال صدر المتألهين - محمد خواجوي: ص ٢٦.

حيث يقول الملا صدرا الشيرازي في وصف حاله في هذه الفترة :
 (لما رأيت من معاداة الدهر بترية الجهلة والأرذال ... وقد ابتلينا بجماعة
 غاربي الفهم تعمش عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها... ضربت عن
 أبناء الزمان صفحاً... فألجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة... إلى أن
 انزويت في بعض الديار، واستترت بالخموم والانكسار... إلا على
 درس ألقه أو تأليف أتصرف فيه)^(١).

ويقول في عزلته التي استمرت حوالي خمس عشرة سنة، قضاها
 في تهذيب النفس عن طريق ممارسة (الرياضات البدنية على الطريقة
 القديمة الإيرانية والفيثاغورية)^(٢)؛ فحصلت له في خلالها مكاشفات
 عديدة، كانت هي الحجر الأساس في بارقة تأليفاته، ووضع البنية
 الفكرية لمنهج مدرسته لاحقاً: (فلما بقيت على هذا الحال من الاستتار
 والانزواء، والخموم والاعتزال، زماناً مديداً، وأمداً بعيداً، اشتعلت
 نفسي لطول المجاهدات اشتعالاً نورياً، والتهب قلبي لكثرة الرياضات
 التهاباً قوياً؛ ففاضت عليها أنوار الملكوت)^(٣).

(١) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ١ ص ٧٠٥.

(٢) مسار الفلسفة في إيران والعالم - السيد محمد الخامني : ص ٢٧٣.

(٣) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ١ ص ٨.

وبعد أن شيد حاكم إقليم فارس "الله وردى خان"^(١) مدرسة كبيرة في شيراز، أستاذ من الشاه عباس الأول^(٢) في استدعاء الملا صدرا الشيرازي للتدريس بها، فوافق على ذلك.

وهكذا خرج من عزلته، وعاد إلى الاشتغال بالتدريس، ونشر منهج حكمته التي ما هي إلا عبارة عن (فلسفة أرسطو وأتباعه، تعاليم الأفلاطونية الجدد، تعاليم ابن سينا، النظريات العرفانية لابن عربي، والأصول الوحيانية)^(٣).

وأما بالنسبة إلى مؤلفاته فقد تجاوزت الخمسين مؤلفاً، تنوعت من مباحث فلسفية إلى كتب صوفية، إلى حديث وتفسير وغيرها، من أهمها: الأسفار، والعرشية، والمشاعر، وحاشية على إلهيات الشفاء لابن سينا، وحاشية على شرح حكمة الإشراق للسهروردي^(٤).

(١) والد إمام قلي خان الذي ولي أمور مقاطعة فارس منذ سنة (١٠٠٣هـ). [انظر / مقدمة السيد محمد تقى

دانش بزوه لكتاب "كسر أصنام الجاهلية": ص ٢.

(٢) شاه إيران خلفاً لأبيه محمد خدابنده، [انظر / المتجدد في الأعلام: ص ١٣٦٣.

(٣) الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين - د. علي الحاج حسن: ص ٣٨.

(٤) الفيلسوف الإيراني الكبير - أبو عبدالله الزنجاني: ص ٢٦٢.

وقد تخرج العديد من تلامذته الحاملين لفكره، من أشهرهم
صهره: الفيلسوف المحدث الملا محسن الفيض الكاشاني^(١)،
والفيلسوف عبد الرزاق اللاهيجي المعروف "بالفياض"، صاحب
كتاب "شوارق الإلهام"^(٢)، وغيرهم.

(١) هو محمد بن المرتضى الملقب بالملا محسن، كان صاحب ذوق عرفاني، ومن أشهر كتبه في الحديث
"الوافي"، وفي التفسير "الصافي"، وفي الأخلاق "الحجة البيضاء"، ولد في سنة (١٠٠٧هـ)، وتوفي في سنة
(١٠٩١هـ).

(٢) هو الملا عبد الرزاق اللاهيجي، حكيم ومتكلم وشاعر قدير، توفي في سنة (١٠٧١هـ).

المطلب الثاني: رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد من الناحية الشرعية

بغض النظر عن الأفكار والآراء الفلسفية التي انتقد فيها الملا صدرا الشيرازي، فمما لا شك فيه، أنه عالم من علماء الشيعة الإمامية، ومن المتوغلين في الحكمة الإلهية، وله مكانة مرموقة بين أهل فنه. فها هو أكبر نقاد منهج حكمة مدرسته (الحكمة المتعالية)، وهو الشيخ الأوحد الأحسائي يمدح ذات شخصيته، رغم مخالفته له في الكثير من آرائه وأفكاره الفلسفية، فيقول - في مقدمة كتابه شرح العرشية -: (أما بعد: فيقول: العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي، أن جناب المحترم المجدد، والمعظم المسدد، الأخوند الملا مشهد، بن المرحوم المبرور المعلى، الملا حسين علي الشبستري - رفع الله قدره وشأنه، وأعلى في درجات المعالي والتوفيق مكانته ومكانه - قد التمس مني - أدام الله توفيقه، وجعل إمداده بكل ما تقر به العين، من أحوال الدارين رفيقه -، أن أشرح الرسالة المسماة بـ(العرشية)، للعالم الجليل الفاهر، والحكيم المتوغل الماهر، محمد بن إبراهيم الشيرازي، المعروف بـ (الملا صدرا)، التي وضعها في بيان النشأة الأخرى^(١).

(١) شرح العرشية - الشيخ الأوحد الأحسائي: ج ١ ص ٤١.

وكذلك يقول السيد محسن الأمين في أعلامه : (المولى صدر الدين بن إبراهيم الشيرازي القوامي ، المشهور على لسان الناس بـ الملا صدرا ، وعلى لسان تلامذة مدرسته بـ صدر المتألهين أو صدر المحققين ، شخصيته هو من عظماء الفلاسفة الإلهيين الذين لا يوجد بهم الزمن إلا في فترات متباعدة من القرون)^(١).

وبناءً على هذه الأقوال - وغيرها الكثير في كتب الرجال والتراجم - ، فإن الملا صدرا الشيرازي كباقي الفلاسفة الإلهيين الإسلاميين الخاضعين والمقرين للمنهج الإلهي الإسلامي ، ولكل ما جاء فيه من أفكار وآراء ومعتقدات ، ومنها الرأي المتفق عليه في مسألة المعاد ؛ أي : إنه يذهب إلى القول بإمكان المعاد ، وبثبوت متعلقه - وهما الروح والجسد - ، وبكيفية شرعاً^(٢).

ومن هذه الناحية يمكن توجه جميع نصوصه الصريحة الدالة على قوله بالمعادين ، أي : الروحاني والجسماني ؛ فما ذلك إلا من الناحية الشرعية - لا العقلية كما سيأتي بيان ذلك - ، ومنها :

(١) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين : ج ٩ ص ٣٢١.

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحاد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

قوله في كتابه الأسفار: (وأما ما تزين به محققو المليين، وأفاضل المسلمين؛ فهو إن مع هذه الأجساد جواهر أخرى هي أشرف وأنور، وليست هي بأجسام كثيفة، بل هي أرواح لطيفة تخرج عن هذه الأبدان عند الموت؛ فلا يتصور عندهم أمر البعث والقيامة إلا برد تلك الأرواح إلى تلك الأجساد، أو أجساد آخر مثلها يقوم مقامها، يحشرون ويثابون، أو يعاقبون بما عملوا من خير أو شر؛ فهذا الرأي أجود، وأقرب إلى الحق)^(١).

وقوله أيضاً في كتابه الأسفار: (إن المُعاد في المعاد هو هذا الشخص بعينه نفساً وبدناً، فالنفس هذه النفس بعينها، والبدن هذا البدن بعينه، بحيث لو رأيته لقلت رأيته بعينه فلان الذي كان في الدنيا.. ومن أنكر ذلك، فهو منكر للشريعة ناقص في الحكمة، ولازمه إنكار كثير من النصوص القرآنية)^(٢).

وقوله في كتابه العرشية: (في حقيقة المعاد، وكيفية حشر الأجساد، أما معاد الأرواح وثبوت السعادة الحقيقية للمقربين، والشقاوة بإزائها للأشقياء المردودين، فهو مما بيناه في كتبنا المبسوطة، ولا خلاف معنا

(١) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٤٤.

للفلاسفة فيه.. وأن الأبدان الإنسانية الشخصية محشورة في القيامة،
كما وردت به الشريعة الحقة، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ
عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ*الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ
تُوقَدُونَ﴾^(٢)^(٣).

فلا ينكر الملا صدر الشيرازي المعاد من الناحية الشرعية كما هو
حال جميع الفلاسفة الإسلاميين، وإنما جلّ الأمر وقع من الناحية
العقلية في إثبات كيفية المعاد الجسماني.

(١) سورة المؤمنون: (١١٥).

(٢) سورة يس: (٨٠-٧٩).

(٣) رسالة الحكمة العرشية - الملا صدرا الشيرازي: ص ١١٤.

المطلب الثالث: رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد من الناحية العقلية

لقد ذكرنا سابقاً أنه لا خلاف بين المتكلمين والفلاسفة - وغيرهم - في إثبات وثبوت متعلق المعاد الروحاني عقلاً ، وإنما الأمر وقع في إثبات كيفية متعلقه الآخر ، وهو الجسماني المؤدي إلى القول بثبوته من عدمه . وقد كان الملا صدرا الشيرازي ضليعاً بالفلسفات السابقة على عصره ؛ فوقف على نقطة الوفاق بينهم في هذه المسألة - أي : اتفاقهم في أمر المعاد الروحاني عقلاً كما هو شرعاً - ، واتفق فيها معهم^(١) .

أما من نقطة الاختلاف التي حارت وعجزت فيها العقول ، وهي إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً ؛ فقد نشأت محاولته في وضع نظريته الجديدة على الأذهان التي ادّعى فيها تحقيق الوصول إلى معرفة ذلك^(٢) ، واعتبرها البعض الإثبات الأمثل لكل ما جاء في هذه

(١) يقول الملا صدرا الشيرازي : (وأما معاد الأرواح ، وثبوت السعادة الحقيقية للمقربين ، والشقاوة بإزائها للأشقياء المردودين ، فهو مما بيناه في كتبنا المبسوطه ، ولا خلاف معنا للفلاسفة فيه ، وإن كان التحقيق فيه فوق ما حصلوه وضبطوه ، ونحن الآن في بيان حشر الأبدان) . [رسالة الحكمة العرشية - الملا صدرا الشيرازي : ص ١١٤] .

(٢) يقول الملا صدرا الشيرازي : (فباب الوصول إلى معرفة المعاد الجسماني مسدوداً إلا على من سلك منهجنا وذهب في طريقتنا) . [الحكمة المتعالية/ الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ٩ ص ١٨٣] .

المسألة^(١)، والبعض الآخر لم يرتض ما ذكره فيها، كما سيأتي لاحقاً في طيات المطلب.

وحتى يكون لدينا إمامٌ بكامل رأيه في مسألة المعاد الجسماني عقلاً؛ فالكلام في هذا المطلب سيقع في نقاط، وهي:

النقطة الأولى: نظرية الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد الجسماني

لقد أورد أو وضع الملا صدرا الشيرازي لنظريته العقلية - أو الفلسفية - في مسألة المعاد الجسماني أصولاً تفاوت عددها في كتبه^(٢).

وقد جاء بعضها في الجانب الذي ينتفع به لفهم مقاصده ومراداته؛ كالأصل الذي تحدث فيه عن أصالة الوجود، وكالأصل الذي تحدث فيه عن الحركة الجوهرية^(٣)، والبعض الآخر في الجانب الأساس الذي يحتاج إليه كعمدة أو كعمود فقري لهيكل نظريته، كالأصول التي تحدث فيها عن حقيقة الشيء وتشخصه؛ كالأصل الذي قال فيه: (إن

(١) المعاد الجسماني - شاعر عطية: ص ٢١١.

(٢) تفاوتت تلك الأصول في مصنفاته، ففي كتابه الأسفار وضع أحد عشر فصلاً [انظر / الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٦١-١٧١]، وفي كتابه المبدأ والمعاد وضع سبعة أصول [انظر / المبدأ والمعاد - الملا صدرا الشيرازي: ص ٣٨٢-٣٩٥]، وفي كتابه العرشية وضع سبعة أصول أيضاً [رسالة الحكمة العرشية - الملا صدرا الشيرازي: ص ١١٦-١٢٤].

(٣) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٦١-١٧١.

كل مركب بصورته هو هو لا بمادته ، فالسرير سرير بصورته لا بمادته ،
والسيف سيف بجدته لا بجدیده ، والحيوان حيوان بنفسه لا بجسده ،
وإنما المادة حاملة قوة الشيء ، وإمكانه ، وموضوعه انفعالاته
وحركاته ؛ حتى لو فرضت صورة المركب قائمة بلا مادة لكان الشيء
بتمام حقيقته موجودة^(١).

والأصل الذي قال فيه : (إن هوية البدن وتشخصه إنما يكونان
بنفسه لا بجرمه ، فزيد مثلاً زيد بنفسه ، لا بجسده ، ولأجل ذلك يستمر
وجوده وتشخصه ما دامت النفس باقية فيه ، وإن تبدلت أجزاؤه ،
وتحولت لوازمه من أينه وكمه وكيفه ووضع ومناه ، كما في طول
عمره ، وكذا القياس لو تبدلت صورته الطبيعية بصورة مثالية ، كما في
المنام وفي عالم القبر والبرزخ إلي يوم البعث ، أو بصورة أخرى كما في
الآخرة ، فإن الهوية الإنسانية في جميع هذه التحولات والتقلبات
واحدة هي هي بعينها ، لأنها واقع على سبيل الاتصال الوجداني
التدرجي ، ولا عبرة بخصوصيات جوهرية وحدود وجودية واقعة في
طريق هذه الحركة الجوهرية^(٢).

(١) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٦٢.

(٢) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٦٥.

وكذلك كالأصول التي تحدث فيها عن تجرد القوة الخيالية والصور الإدراكية، كما في قوله: (إن القوة الخيالية جوهر قائم لا في محل من البدن وأعضائه، ولا هي موجودة في جهة من جهات هذا العالم الطبيعي، وإنما هي مجردة عن هذا العالم، واقعة في عالم جوهري متوسط بين العالمين، عالم المفارقات العقلية، وعالم الطبيعيات المادية)^(١).

وقوله: (إن الصور الخيالية، بل الصور الإدراكية ليست حالة في موضوع النفس، ولا في محل آخر، وإنما هي قائمة بالنفس قيام الفعل بالفاعل، لا قيام المقبول بالقابل، وكذا الإبصار عندنا ليس بانطباع شبح المرئي في عضو الجليدية ونحوها كما ذهب إليه الطبيعيون، ولا بخروج الشعاع كما زعمه الرياضيون، ولا بإضافة علمية تقع للنفس إلى الصور الخارجية عند تحقق الشرائط كما ظنه الإشراقيون؛ لأنه هذه الآراء كلها باطلة، كما بين في محله.

فالنفس عند خروجها عن هذا العالم، فلا يبقى الفرق بين التخیل والإحساس اللذين كانا عند تعلقها بالبدن، فالأول لا يحتاج إلى مادة، دون الثاني، إذ القوة الخيالية وهي خزانة الحس قد قويت، وخرجت

(١) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٦٦.

عن غبار البدن، وزال عنها الضعف والنقص، واتحدت القوى، ورجعت إلى مبدئها المشترك، فتفعل النفس بقوتها الخيالية ما تفعله غيرها، وترى بعين الخيال ما كانت تراه بعين الحس، فصارت قدرتها وشهوتها وعلمها شيئاً واحداً. فإدراكها للمشتبهات نفس قدرتها وإحضارها إياها عندها، بل ليس في الجنة إلا ما تشتهيه النفس ومراداتها، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾^(١)، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢) (٣).

وخلاصة نظريته كالتالي^(٤):

إن لنظرية الملا صدر الشيرازي في إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً
جهتين في النظر:

(١) سورة فصلت: (٣١).

(٢) سورة الزخرف: (٧١).

(٣) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٦٦-١٦٧.

(٤) سوف يكون بيان هذه النظرية من خلال الاقتباسات من نفس كلمات الملا صدرا الشيرازي، مع بيان ما يتطلب التوضيح في ذلك.

الجهة الأول: إن المُعاد هو الصورة دون المادة

إن كل شخص يتقوم بنفسه^(١)، أو (بصورته لا بمادته، وهي [أي: صورته التي هي نفسه^(٢)] عين ماهيته، وتام حقيقته^(٣)، ومبدأ فصله الأخير، فهو هو بصورته، لا بمادته^(٤))؛ فزيد هو زيد بصورته، وعمر هو عمر بصورته لا بمادته.

وعلى ذلك، ف (إن هوية البدن وتشخصه إنما يكونان بنفسه لا بجرمه، فزيد مثلاً زيد بنفسه، لا بجسده، ولأجل ذلك يستمر وجوده وتشخصه ما دامت النفس باقية فيه، وإن تبدلت أجزأؤه، وتحولت لوازمه من أينه وكمه وكيفه ووضع ومته، كما في طول عمره^(٥)).

(فإذا مات الإنسان، وفارقت [أي: النفس] معها جميع ما يلزمها من قواها الخاصة بها، ومعها القوة الوهمية المصورة، فيتصور ذاته

(١) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ٢٠.

(٢) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ٢٠.

(٣) أي: إن حقيقة الإنسان هو نفسه لا مادته (بدنه)، وهذا الأصل ليس من إبداعاته؛ بل هو من الأصول الراسخة عند الفلاسفة، وقد أشرنا إليه سابقاً أثناء البحث. وقد قال بذلك ليذهب إلى القول بأن المعاد هو الصورة لا المادة.

(٤) رسالة الحكمة العرشية - الملا صدرا الشيرازي: ص ١١٦.

(٥) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٦٥.

مفارقة عن هذا العالم ، ويتوهم نفسه عين الإنسان المقبور الذي مات على صورته ، ويجد بدنه مقبوراً^(١).

أي : إن النفس إذا فارقت البدن حملت معها القوة المتخيلة المدركة للصور الجسمانية ؛ فإن (لكل صورة طبيعية في عالم الشهادة صورة نفسانية في عالم الغيب ، هي معادها ومرجعها الذي يحشر إليه بعد زوال المادة ودثورها)^(٢) ؛ لأن (حقيقة البعث ترجع إلى إحياء الموتى ، ونزع الصور من المواد)^(٣).

فإن (النفس الإنسانية لكونها من سنخ الملكوت ، ونشأة القدرة والقوة على اختراع الصور من غير مادة.. فتقدر على إيجاد أمور صورية إدراكية يكون إيجادها عين شهودها.. فكل نفس من النفوس إذا انقطع تعلقها عن البدن بالموت.. أصبحت النفس مخترعة للصور ، مشاهدة إياها بحواسها التي في ذاتها بلا مشاركة البدن)^(٤).

(١) مفاتيح الغيب - الملا صدرا الشيرازي: ج ٢ ص ٦٩٣.

(٢) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ٢٢٨.

(٣) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٥٢.

(٤) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٥٣-١٥٤. [مع تصرف في الاقتباس بتقديم

بعض النصوص وتأخير بعضها ؛ ليفهم المراد].

وبناءً على ذلك، فإن (الصور هناك [أي: في يوم القيامة] غير قائمة بالمواد الوضعية المقيدة بالجهات المكانية، وإنها ناشئة من تصورات النفس)^(١)، وعلى ذلك، (يحكم بأن هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد)^(٢)، لا بموادها.

الجهة الثانية: إن المعاد هو الصورة وإن تبدلت وتغيرت المادة

(إن العبرة بتعين الشيء هو نفسه وصورته من أي مادة كانت)^(٣)؛ ف(لا عبرة بخصوصية البدن، وإن تشخصه والمعتبر في الشخص المحشور جسمية ما، أية جسمية كانت، وإن البدن الأخروي ينشأ من النفس بحسب صفاتها، لا أن النفس يحدث من المادة بحسب هيئاتها واستعداداتها كما في الدنيا)^(٤). وعلى ذلك، (فلا عبرة بتبدل المادة البدنية بعد إنحفاظ الصورة النفسانية)^(٥).

(١) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٨٨.

(٢) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٧٢.

(٣) تفسير القرآن - الملا صدرا الشيرازي: ج ٥ ص ٣٤٨.

(٤) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٧٤.

(٥) المظاهر الإلهية - الملا صدرا الشيرازي: ص ٨٧.

وهاتان الجهتان اللتان ذكرناهما لبيان نظريته - بناءً على التصريح الواضح الذي جاء في كلماته -، هو ما أكده كبار نقاد منهج حكمته الشيخ الأوحـد الأحسائي في تحقيق رأيه بهذا الصدد^(١)، حيث قال:

(والقائلون: بإعادة الجسم، اختلفوا في المعاد ما هو، هل هو ما انتسب إلى نفسه، وإن تغير في مادته وتبدل؟ أم المعاد هو الموجود في الدنيا بمادته، وإن تبدلت صورته؟ أم هو الموجود في الدنيا بمادته

(١) وهذا نموذج ومثال يبين الملام وفهم الشيخ الأوحـد الأحسائي لمباني منهج حكمة الملا صدرا الشيرازي، وأن الأمر ليس كما قال عنه الشيخ محمد رضا المظفر، من أنه كان ينتقده من دون دراية وفهم لمنهجه، حيث قال: (ومن المفارقات العجيبة في تلك العصور، أن الأحسائي نفسه كان يقول بكفر صاحبنا، ويشنع عليه، وبلية الأحسائي كلها أنه قرأ كتبه من دون حضور على أستاذ، فلم يفهمها كما يجب، وكان ذكياً معتمداً بنفسه، فأصيب بداء الغرور، فاشتط من جهته في تأثره بها عقيدة، واشتط من جهة أخرى في بحث آرائه ناقداً). [المقدمة الكاملة للأسفار - الشيخ محمد رضا المظفر: ص ٢٩].

ويجب أن نشير إلى بعض سوء الفهم الوارد في هذه الكلمات، وهي: إن الشيخ الأوحـد الأحسائي لم يكفر ذات شخصية الملا صدرا الشيرازي، فها هو يمتدحه كما مر سابقاً في بحثنا، بل إنه يقول بأن بعض الأفكار التي جاء بها الملا صدرا الشيرازي كفر، وهناك فرق بين تكفير الذات، وتكفير الأفكار، بل إنه يلمس لها الأعذار مراراً لإزالة الشبهات عن أفكاره، من باب أحمل أخيك المؤمن على سبعين محملاً، ويجعل أمره لله سبحانه وتعالى وليس للحكم عليه من نفسه، أمر آخر، وهو أن الشيخ الأوحـد الأحسائي لم يكن متأثراً لا من بعيد ولا من قريب بأفكار الملا صدرا الشيرازي، فهو لم يكن مشتطاً من جهته في تأثره بها عقيدة، كما ذكره المظفر في كلماته، وكذلك لم يكن مغروراً، فإن ذلك لا يتوافق مع ما نقل إلينا من طرف المدافعين والناقدين له، من حسن الأخلاق، والتواضع، والزهد، وغير ذلك من صفات تنفي عنه ما جاء في هذه الكلمات.

وصورته، من غير تبدل ولا تغير، أم هو الموجود بصورته في الدنيا لا بمادته؟

وأول ذكر المصنف [الملا صدرا الشيرازي] فيما سبق يشير إلى الأخير، من أن المعاد هو الإنسان بصورته^(١)، حتى لو فرض تجرد صورته عن مادته، لكان هو بعينه باقياً عند ذلك التجرد، كما ذكره في الأصل الأول.

وثاني ذكره يشير إلى الأول^(٢) كما هنا.

والمعنى فيهما واحد؛ حتى ربما قيل: إنهما عبارتان عن معنى واحد، ويمكن إرادة الفرق بأن المنتسب ما اتصف على النفس، وإن تغيرت الصورة بتبدل بعض حدودها^(٣).

النقطة الثانية: التحقيق في نظرية الملا صدرا الشيرازي

إن السؤال الهام الذي دار حوله الإشكال في إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً هو: هل تحشر الأرواح في يوم القيامة مع مادة البدن - أو الجسم - الدنيوي، أو لا؟

(١) أي: إن المعاد هو الصورة دون المادة.

(٢) أي: إن المعاد هو الصورة وأن تغيرت وتبدلت المادة.

(٣) شرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٢ ص ٢٧٢.

فإثبات كيفية إعادة البدن الدنيوي - بصورة تتوافق مع ما ذكرته معطيات الشريعة الإسلامية -، هو الجوهر الذي يشترك فيه نظر الباحث في تنظيره، ومقدم النظرية في إثباته في تحقيق هذه المسألة.

ومن المؤكد أن الملا صدرا الشيرازي من أكبر المتأثرين بالفلسفة اليونانية^(١)، وبتصوف ابن عربي^(٢)، وبحكمة الإشراق^(٣)؛ إلا أن ظهوره بالصورة الإشراقية السنيوية أجلى وأبرز؛ ويؤيد ذلك:

(١) يقول الملا صدر الشيرازي: (واعلم أن أساطين الحكمة المعتبرة عند طائفة ثمانية، ثلاثة من الملطيين: تالس، وأنكسيمانس، وأغاثاديمون، ومن اليونان خمسة: أنبازدلس وفيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو طاليس، قدس الله نفوسهم وأشركنا الله في صالح دعائهم وبركتهم، فلقد أشرقت أنوار الحكمة في العالم بسببهم، وانتشرت علوم الربوبية في القلوب لسعيهم. وكل هؤلاء كانوا حكماء زهاداً عباداً متألّبين، معرضين عن الدنيا، مقبلين إلى الآخرة، فهؤلاء يسمون بالحكمة المطلقة، ثم لم يسم أحد بعد هؤلاء حكيماً). [الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٥ ص ٢٠٦ - ٢٠٧].

(٢) يقول حسن زاده الآملي: (أكثر المسائل التي نقلها صدر المتألّبين عن الشيخ الأكبر، ومشايخ العرفان الآخرين، هي أساس مصادر حكمته المتعالية؛ وقد اعتمد في ذلك على كتب الفن؛ أمثال: تمهيد القواعد، وشرح فصوص الحكم للقيصري، ومصباح الأنس، والفتوحات المكية). [العرفان والحكمة المتعالية - حسن زاده آملّي: ص ١٩].

(٣) يقول الملا صدرا الشيرازي: (الوجود كله نور وحياة عندنا، لما عرفت أنه أظهر الأشياء، والإشراقيون وحكماء الفرس وافقونا في المغارقات والنفوس والأنوار العرضية التي يدركها البصر؛ كالأنوار والكواكب والشهب والسرّج دون الطبايع والأجرام.. ولو لم يكن الطبيعة في أصلها نور لما وجدت بين النفس والجرم). [الشواهد الربوبية - الملا صدرا الشيرازي: ص ١٤٨].

١- كلماته في مقدمة كتابه المشتمل على منهجه : (ومن له في تحقيق الحق إرب ، في أن أشقّ تلك الأصداف السمينية ، وأستخرج منها دررها الثمينية ، وأروقّ بمصفاة الفكر صفاها من كدرها ، وأنخل بمنخل الطبيعة لبابها عن قشورها ، وأصنف كتاباً جامعاً لشتات ما وجدته في كتب الأقدمين مشتملاً على خلاصة أقوال المشائين ، ونقاوة أذواق أهل الإشراف من الحكماء الرواقيين ، مع زوائد لم توجد في كتب أهل الفن من حكماء الأعصار)^(١).

٢- كلام الفيلسوف الفرنسي هنري كوربان^(٢) ، في وصفه : (لو أردنا باعتبارنا مؤرخين أن نحدد بشكل كلي أوصاف عقائد الملا صدر ، فيجب أن نقول إننا أمام واحد من أتباع ابن سينا ، حيث كانت لصدر المتألهين إحاطة تامة بآثار ابن سينا فقام بتوضيحها ، ولكنه [أي صدر المتألهين] ابن سينا إشراقي على الطريقة السهروردية. فهو ليس فقط فاق ابن سينا والسهروردي في مجالات اختلافهما ؛ بل ذهب إلى أبعد

(١) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ٢ ص ٥.

(٢) ولد هنري كوربان في سنة (١٩٠٣م) في باريس ، وتوفي في سنة (١٩٧٨م) ، مستشرق وعالم فرنسي ، كان مدير معهد الدراسات الإسلامية في السوربون ، ومدير قسم الإيرانية في المعهد الفرنسي الإيراني بطهران سابقاً. له العديد من المؤلفات الإسلامية. ويتميز كوربان بسعة اطلاعه وتبحره في اللغتين العربية والفارسية وهو من المستشرقين النصفين.

من ذلك ، حيث قدم وأعطى تفسيراً شخصياً وخاصاً عن الحكمة الإشرافية.

نعم ، يجب القول إن هذا المفكر هو ابن سينا إشرافي ، قد امتلأ بشكل عميق بنظريات الحكيم الإلهي ، والعارف الأندلسي [أي : ابن عربي] ، الذي كان من أبرز الشخصيات في الأزمنة كافة^(١).

٣- كلام السيد محمد تقي المدرسي^(٢) : (إن أبرز المتأثرين بالسهروردي هو ملا صدرا ، الذي يسميه تلامذته والمتأثرون بفلسفته "صدر المتألهين" ؛ وبالرغم من أنه يعد كاتباً موسوعياً يجمع بين الذوق والبحث ، وفي البحث يجمع بين المذاهب الفلسفية ؛ إلا أنه يعتبر امتداداً لمدرسة السهروردي الإشرافية ، بالرغم من اختلافه مع شيخ الإشراق في بعض المسائل الهامة مثل أصالة الوجود ؛ حيث يعطي شيخه الأصالة للماهية وليس للوجود بخلاف الشيرازي.. يتفق منهج ملا صدرا مع السهروردي في الجمع بين ذوق القلب وبحث العقل ، وفي تذويب الآراء المختلفة في بوتقة واحدة)^(٣).

(١) المشاعر - الملا صدرا - تقديم/ هنري كوريان : ص ١٥ .

(٢) هو المرجع الديني المعاصر آية الله السيد محمد تقي ابن السيد محمد كاظم ابن السيد محمد باقر المدرسي ، ولد بكريلاء في سنة (١٩٤٥ م).

(٣) العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي : ص ١٢٤-١٢٥ .

فظهرت صبغة هذا التأثير في مباني منهج حكمته ، وسرت أبجدياتها في عروق أفكاره وآراءه التي طرحها ؛ وهكذا غدت العقبة الشديدة أمامه لإثبات كيفية المعاد الجسماني واضحة وجلية ، وهي كيفية الموافقة بين تأثيره بنظريات أولئك الذين يقرون بعدم تعقل ذلك^(١) ، وبين إقرار معطيات الشريعة الإسلامية التي ينتسب لها ويسلم بكل ما ورد فيها .

من هنا ، إذا نظرنا إلى ظاهر كلمات الملا صدرا الشيرازي ، أو إلى النتائج العامة لنظريته التي أشار فيها إلى رأيه الحقيقي في هذه المسألة من الناحية العقلية^(٢) ؛ فسوف نجد أنه قد صرح مراراً وتكراراً بمعاد بدن أو جسم في يوم القيامة .

غير أن هذا البدن أو الجسم الأخروي المحشور الذي قال بمعاده ؛ ليس هو المادي الدنيوي المحمول عليه موضوع الإشكال في مسألة المعاد الجسماني ؛ وإنما هو - بناءً على الجهتين السابقتين في نظريته - :

(١) أي : يقرون بعدم إمكان المعاد الجسماني عقلاً ، وبإمكان المعاد الروحاني فقط .

(٢) يجب أن نبه إلى أن نصوص الملا صدرا الشيرازي التي تحدثت أو أشار فيها إلى رأيه في مسألة المعاد الجسماني ، تنقسم إلى قسمين : قسم من النصوص كان يتحدث فيها عن المعاد الجسماني من الناحية الشرعية ، وقد ذكرنا سابقاً بأنه يقر بكيفية المعاد الجسماني شرعاً . وقسم من النصوص كان يتحدث فيها عنه من الناحية العقلية ؛ أي : من ناحية كيفية إثباته . ونحن هنا نقصد بنصوصه التي جاءت في القسم الثاني .

أولاً: من جهة النظرة الأولى (المُعَاد هو الصورة دون المادة)

الجسم الأخرى: هو جسم صوري احتفظت به النفس في خيالها المجرد، أو هو صورة البدن دون مادته.

حيث يقول الملا صدرا الشيرازي: (إن من تأمل وتدبر في هذه الأصول والقوانين العشرة - التي أحكمنا بيانها وشيدنا أركانها ببراهين ساطعة وحجج قاطعة لامعة مذكورة في كتبنا وصحفنا، سيما هذا الكتاب - تأملاً كافياً، وتدبراً وافياً؛ بشرط سلامة فطرته عن آفة الغواية والاعوجاج، ومرض الحسد والعناد، وعادة العصبية والافتخار والاستكبار، لم يبق له شك وريب في مسألة المعاد وحشر النفوس والأجساد، ويعلم يقيناً ويحكم بأن هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد، وينكشف له إن المعاد في المعاد مجموع النفس والبدن بعينهما وشخصهما، وإن المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه، لا بدن آخر مباين له، عنصرياً كان كما ذهب إليه جمع من الإسلاميين، أو مثالياً كما ذهب إليه الإشراقيون)^(١)؛ ووجه الشاهد من هذه الكلمات هي قوله: (هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد).

(١) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٧١.

ويقول: (أما أجساد الآخرة وأشكالها فهي بعينها النفوس المتصورة)^(١).

ومما يؤكد ذلك - أي: مما يؤكد قوله بأن المعاد هو الجسم الصوري لا الجسم مادة الجسم الدنيوي -:

١- تفريقه بين الجسم المادي والجسم الصوري الأخروي المعاد، حيث قال: (يجب أن يعلم أن الكشف والبرهان شاهدان على أن الجسم الذي حياته ذاتية، ليس هذا الجسم الذي هو مادة مستحيلة كائنة فاسدة متبدلة الذات أنا فأنا..

إنما الجسم الذي حياته ذاتية، هو جسم أخروي، له وجود إدراكي، غير مفتقر إلى مادة وموضوع، ولا يحتاج إلى مدبر روحاني يدبره، ونفس تتعلق به، ويخرجه من القوة إلى الفعل، وتفيده الحياة؛ لأنها عين الحياة، وعين النفس، فلا يحتاج إلى نفس أخرى، وقد قلنا مراراً أن ذلك الجسم، جسم إدراكي، وصورة إدراكية، وكل صورة وجودها في نفسها عين مدركيها بالفعل)^(٢).

(١) أسرار الآيات - الملا صدرا الشيرازي: ص ٩٩.

(٢) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ٢٣٦-٢٣٥.

٢- نفيه مادية الجسم الأخرى، حيث قال: (مما يدل على أن الإنسان الكائن في دار الآخرة غير متكون من مادة طبيعية، بل من صورة نفسانية إدراكية)^(١).

ثانياً: من جهة النظرة الثانية (المعاد هو الصورة وإن تبدلت وتغيرت المادة)

الجسم الأخرى: هو الصورة الجسمية الحالة في أي جسمية، أو في أي مادة كانت.

حيث يقول الملا صدرا الشيرازي: (فالعبارة في حشر بدن الإنسان بقاؤه بعينه من حيث صورته وذاته مع مادة مبهمه، لا من حيث مادته المعنية لتبدلها في كل حين)^(٢).

ويقول: (أن لا عبارة بخصوصية البدن، وأن تشخصه والمعتبر في الشخص المحشور جسمية ما، أية جسمية كانت، وأن البدن الأخرى ينشأ من النفس بحسب صفاتها، لا أن النفس تحدث من المادة بحسب هيئاتها واستعداداتها كما في الدنيا)^(٣).

(١) أسرار الآيات - الملا صدرا الشيرازي: ص ٢٠٦.

(٢) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ٣١.

(٣) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ١٧٤.

وذهب البعض إلى تصحيحه ببعض الألفاظ التي تنبئ عن مادية أو جسمية البدن الأخروي لتوجيه رأيه الحقيقي ، فإن هذا الأمر ؛ أي : عودة الصورة وإن تبدلت المادة ، لا يمكن قبوله ؛ لأنه :

١- في قوله بعودة صورة الجسم الأخروي في أي جسمية ، أو في أي مادة كانت ؛ لا مفر من القول بالتناسخ ، الذي قامت الأدلة العديدة على بطلانه.

٢- لو نظرنا إلى تلك الكلمات مثلاً ، فسوف نلاحظ أنه لا يستغني عن أصل نظريته ، ففي النص الأول مثلاً قال : (حشر بدن الإنسان وبقاؤه بعينه من حيث صورته) ، وفي النص الثاني قال : (وأن البدن الأخروي ينشأ من النفس بحسب صفاتها) ؛ ومن البديهي إذا اشتبه في الأمر ، رد الفرع إلى الأصل ، والمحكم إلى المتشابه ، وعودة الصورة دون المادة أصل وأمر محكم في نظريته^(١).

وهكذا الأمر ، بالنسبة إلى الألفاظ الأخرى التي يتمسك بها البعض لتوجيه مراده في الجسم الصوري الأخروي إلى ناحية عودة الجسم

(١) من هنا ذكر الشيخ الأوحاد الأحسائي في تحقيق هذا الأمر ، أن القول بمعاد الصورة دون المادة ، وبمعادة

الصورة وإن تبدلت وتغيرت المادة ، كلاهما لمعنى واحد. (انظر / شرح العرشية - الشيخ الأوحاد

الأحسائي : ج ٢ ص ٢٧٢).

الدينيوي بمادته ؛ من قبيل العينية ؛ أي : أن البدن الأخروي عين البدن الدينيوي ، كما في قوله : (وإن المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه)^(١) .
فهذه العينية ، إن جاءت في نصوصه التي تتحدث عن المعاد الجسماني شرعاً ، فقد ذكرنا بأنه قائل بها من ناحية الشرع ، ولا دخل لها في نظريته .

وإن جاءت في نصوصه التي تتحدث عن المعاد الجسماني عقلاً ، فإنها عائدة إلى عينية الصورة ؛ أي : إن البدن الأخروي عين صورة البدن الدينيوي دون مادته ، وقد بين ذلك كما في قوله - في النصوص السابقة - : (هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد) ، وقوله : (حشر بدن الإنسان وبقاؤه بعينه من حيث صورته) ، وقوله : (ويتوهم نفسه عين الإنسان المقبور الذي مات على صورته ، ويجد بدنه مقبوراً)^(٢) ، وغيرها .

ويكفي أن ملا هادي السبزواري قد بين مراده من تلك العينية في حاشيته ، حيث قال : (أي البدن البرزخي والأخروي هذا البدن الدينيوي ؛ لكن لا بوصف الدينيوية والطبيعية ، وإنما كان هو هو بعينه

(١) الحكمة المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ٩ ص ١٧١ .

(٢) مفاتيح الغيب - الملا صدرا الشيرازي : ج ٢ ص ٦٩٣ .

لها معنى ، وسيأتي أن شيئاً الشيء بصورته ؛ أي : صورته البدنية لا بمادته وبصورته^(١).

وكذلك حال الألفاظ الأخرى التي يذكرها لحقيقة البدن الأخرى ، كالمثلية ، والظلية ، والشبحية.

كما في قوله : (وأما الأبدان الأخرى المناسبة لأخلاق النفوس ، فهي ليست مواد لتلك النفوس حاملة لقوة كمالاتها وهيئاتها ، بل هي أشباح ظلية ، وقوالب مثالية ، وجودها للنفس كوجود الظل من ذي الظل ، إذ هي حاصلة من تلك النفوس بمجرد جهات فاعلية وحيثيات إيجابية ، لا بحسب جهات قابلية وحركات مادية)^(٢).

وقوله : (والتحقيق أن الأبدان الأخرى مسلوب عنها كثير من لوازم هذه الأبدان ، فإن بدن الآخرة كظل لازم للروح ، وكعكس ومثال له ، بخلاف هذا البدن المستحيل الفاسد)^(٣).

فإنها تحمل نفس الدلالة في تأكيد أصل نظريته ، من أن المعاد هو الشخص بصورته لا بمادته ، فالمثلية هي صورة مثلية لصورة الجسم

(١) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ٩ ص ١٦٦ حاشية (١) طبعة بيروت.

(٢) الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ٩ ص ١٩.

(٣) المبدأ والمعاد - الملا صدرا الشيرازي : ص ٥٥٢.

الدينوي، والظلية هي صورة ظلية تشبه صورته، وكذلك الأمر في الشبحية؛ فكلها مرادات لمعنى واحد، وهو أن المعاد صورة البدن أو الجسم دون مادته.

وبناءً على ذلك نقول:

إن الملا صدرا الشيرازي لم يستطع في نظريته إثبات المعاد الجسماني عقلاً؛ لأن حقيقة البدن أو الجسم الأخرى المعاد الذي تحدث عنه فيها؛ ليس هو الجسم المادي الدينوي الذي أقرت بعودته الآيات القرآنية والروايات الشريفة، وقام عليه الإشكال بين الفلاسفة وغيرهم عقلاً؛ وإنما حاول أن يثبت في نظريته عودة صورة البدن، أو صورته في أي مادة كانت، ومن هنا ابتعد عن النص الديني الصريح في ذلك. ولذا قال الأستاذ الفيلسوف جوادى آملى^(١) - وهو من أبرز أتباع الحكمة المتعالية - : (الأخوند (ملا صدرا) قائل هنا^(٢) بأن الجسم صوري لا مادي)^(٣).

(١) هو الشيخ عبدالله الجوادى الآملى، فيلسوف، وعالم دين شيعي، أحد أبرز علماء الدين الإيرانيين، وهو من تلامذة الفيلسوف الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي، ولد في مدينة آمل عام (١٣٥١هـ).

(٢) أي قائل في نظريته.

(٣) الإشكالية المنهجية بين التفكير الفلسفي والاعتقادي (مناظرة بين جوادى آملى والسيد جعفر سيدان) -

وقال الشيخ جعفر السبحاني^(١) - بعد تحقيقه لرأي الملا صدرا الشيرازي في المعاد الجسماني -: (القول بتعلق النفس بالبدن المثالي لأجل الجمع بين الشريعة والبرهان ، فهذا الجمع بعيد عن الصواب ، لاسيما وإن كثيراً من الآيات الواردة في المعاد الجسماني صريحة في المعاد العنصري لا في المعاد المثالي)^(٢).

فكل النصوص التي صرح فيها بمعاد لبدن أو لجسم في يوم القيامة ، قد يشبهه في ظاهر كلماتها فيعتقد أن مراده من لفظة البدن أو الجسم هذا الدنيوي بمادته.

ولكن ، في حين الرجوع إلى الأصول التي قررها في نظريته - وغيرها - ، والتحقق والتقصي عن مراده بدقة من البدن أو الجسم الأخرى المَعَاد ، فسوف نرى أن حقيقته صورية لا مادية ، وبذلك يكون معاداً روحانياً وليس جسمانياً ؛ لأن المحشور بصورة الجسم لا بمادته ، أو صورة الجسم مع تغير وتبدل مادته.

(١) هو الشيخ جعفر بن محمد حسين السبحاني الحلياني التبريزي ، مرجع شيعي له بروز واضح في الفلسفة ، ولد في تبريز عام (١٣٤٧هـ) ، من مؤلفاته : أصول الفلسفة ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ، وغيرهما.

(٢) مفاهيم القرآن - الشيخ جعفر السبحاني : ج ٨ ص ١٠٢ .

النقطة الثالثة: أقوال بعض العلماء في رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد الجسماني

اعترض الكثير من العلماء والمحققين والباحثين على ما ذهب إليه الملا صدر الشيرازي في إثباته للمعاد الجسماني عقلاً، بمضمون اشترك فيه جميعهم، وهو: إن البدن أو الجسم الصوري الذي قال به في نظريته، لا يتلاءم مع الكيفية المطروحة في القرآن الكريم والروايات الشريفة لمسألة المعاد الجسماني التي بلغت درجة لا تقبل التأويل من أن المعاد هو البدن أو الجسم المادي كما هو عليه في الدنيا؛ فأوردوا اعتراضاتهم في صور عديدة من التحقيقات والإثباتات، نورد في هذه النقطة بعضاً منها:

الأول: الميرزا أحمد الأشتياني^(١)

يقول: (أنه بعد ما ثبت بحكم العقل والنقل لزوم المعاد ويوم الجزاء؛ وقع البحث في أن ما ينتقل إليه الأرواح في القيامة الكبرى ويوم الحساب، هل هو عين الأبدان الدنيوية البالية العنصرية، بشمل

(١) هو الميرزا أحمد بن الميرزا محمد حسن الأشتياني، فقيه مجتهد عالم جامع للمعقول والمنقول، ولد عام (١٢٤٨هـ)، وتوفي عام (١٣١٩هـ).

شتاتها، وجمع جهاتها بأمره تبارك وتعالى كما يقتضيه الاعتبار، حيث إن النفس خالفت أو أطاعت وانقادت لما كانت بتلك الجوارح؛ فحسن المجازات، وكمال المكافآت بأن يكون المجازى عين من أطاع أو عصى، أم لا، بل تنتقل إلى صور مجردة تعليمية ذات امتداد، نظير القوالب المثالية والصور المرآتية؟

ما وقع التصريح به في القرآن الكريم هو الأول، كما في جواب سؤال إبراهيم عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بلى قادرين على أن نسوي بنانه، وقوله عز شأنه في جواب سؤال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قلُّ يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، وغير ذلك من الآيات.

ولكن، جماعة من أهل الحكمة المتعارفة، ذهبوا لشبهة عرضت لهم إلى الثاني، ولا بد لنا من حلها، ودفعها بعون الله تعالى، وتحقيق ما هو الصواب في هذا الباب، ونقاوة ما ذكره في المقام لإثبات مرامهم بعد تأسيس أصول كثيرة، أن مناط تحقق الشيء وتماهه وكماله ليس إلا

بتحقق صورته ؛ لأن شئئية الشيء وفعليته بصورته لا بمادته ؛ لأن الشيء في مرتبة مادته هو بالقوة ، وفعلية الإنسان وتماحه بوجود النفس الإنساني ، وهي صورته وكماله .

بحيث لو فرض أن نفس زيد تعلق بصورته التي يتوهم أنها كائنة في المرأة ، كما كانت متعلقة ببدنه الخارجي ، كان ذلك المترآى زيدا ، وبدنه الذي كان محل علاقة النفس أولاً جسماً بلا حياة ، وجماداً بلا روح ، ثم بعدما أثبتنا بالأصول المؤسسة وجود التعليمات والعالم المقداري وإمكان وجود أبدان مثالية بلا مادة تعلق بها الأرواح والنفوس ، والمفروض أن تلك القوالب المثالية كأنها عين الأبدان الدنيوية بلحمها وشحمها وعظمها وسائر ما يعتبر في فعليتها (من دون أن تكون ذا لحم وشحم وعظم) ؛ فيصدق أن المحشور يوم النشور عين المقبور في دار الغرور .

وأما الأبدان التي صارت رميمة وتراباً لآدم ، ولا روح حيوانياً فيها لتكون واسطة لتعلق النفس بها ، فكيف ترتبط النفس المجردة بها؟ فإنه لا بد أن يكون بين النفس والبدن وسائط ، فإن النفس بذاتها مرتبطة بقواها المحركة والمدركة ، وتلك القوى مرتبطة بالبدن بواسطة الروح الحيواني البخاري ، وهو مرتبط بالدم ، والدم مرتبط بالشرينات

والأوردة، وهو بالأعضاء، وإذا لم تكن هذه الوسائط فمحال أن ترتبط النفس المجردة بمادة البدن الذي صارت تراباً مطروحاً على الأرض، هذه خلاصة مقالتهم.

ونقول - في الجواب عنها -:

أولاً: إن هذه الصور التي أسستم أصولاً لإثباتها، وأحكمتم قواعدها، وشيدتم بنيانها، وأتعبتم أفكاركم في تقريرها، لا تنطبق على المحشور في القيامة الكبرى بوجه أصلاً، وأن أمكن انطباقها في ظاهر الأمر على القوالب المثالية التي في عالم البرزخ؛ لأن البدن الدنيوي إذا لم يكن محشوراً بعين صورته ولا بمادته، فكيف يكون المعاد عين المقبور؟

فإن عمد شخص إلى لبنة وكسرها، ثم أوجد صورة لبنة في مادة أخرى؛ فهل يقال أن تلك اللبنة هي اللبنة الأولى^(١).

ثم أخذ يورد الإشكالات على ما ذهب إليه الملا صدرا الشيرازي^(٢).

(١) لوازم الحقائق في أصول الحقائق - ميرزا أحمد الأشتياني: ج ٢ / بحث المعاد ص ٤٢٣٩.

(٢) لوازم الحقائق في أصول الحقائق - ميرزا أحمد الأشتياني: ج ٢ / بحث المعاد ص ٥٤ - ٤٢.

الثاني : العلامة المحقق الشيخ محمد تقي الآملي^(١)

قال في تعليقه على شرح المنظومة للسبزواري (درر الفوائد) - بعد توضيحه وتعليقه على كلمات المصنف الذي أخذ ذلك من أصول الملا صدرا الشيرازي^(٢) :-

(هذا غاية ما يمكن أن يقال في هذه الطريقة ؛ ولكن الإنصاف أنه عين انحصار المعاد الروحاني ؛ لكن بعبارة أخفى .

فإنه بعد فرض كون شيئية الشيء بصورته ، وأن صورة ذات النفس هو نفسه ، وأن المادة الدنيوية لمكان عدم مدخليتها في قوام الشيء لا يحشر ، وأن المحشور هو النفس ، غاية الأمر إما مع إنشائها لبدن مثالي قائم بها قياماً صدورياً مجرداً عن المادة ولوازمها إلا المقدار كما في نفوس المتوسطين من أصحاب الشمال أو أصحاب اليمين ، وإما بدون ذلك

(١) هو الشيخ محمد تقي ابن الشيخ محمد بن علي الآملي الطهراني ، ولد في عام (١٣٠٤هـ) ، له مؤلفات

منها : مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى ، شرح على الإشارات لابن سينا ، توفي عام (١٣٩١هـ) .

(٢) كان يورد ما ذهب إليه المصنف من أن شيئية الشيء بصورته لا بمادته ، وهو أخذ هذا الأمر من الملا صدرا الشيرازي ، فقد قال المصنف : (لا يخفى أن هذه الوجوه جعل في كتب صدرا المتألهين (قده) ؛ كالأسفار والشواهد ومفاتيح الغيب ، أصولاً للبرهان على عينية البدن المعادي مع البدن الدنيوي ، وقد سلك المصنف (قده) [أي : السبزواري] كل [أي : كذلك] ، في أسرار الحكم ؛ لكنه (قده) جعل كل أصل من هذه الأصول برهاناً مستقلاً في هذا الكتاب ولا بأس به) . (درر الفوائد في شرح المنظومة للسبزواري -

الشيخ محمد تقي الآملي : ج ٢ ص ٤٤٨ .

أيضاً كما في المقربين ؛ ولعمري ، إن هذا غير مطابق مع ما نطق عليه الشرع المقدس على صاعدة السلام والتحية^(١).

الثالث : السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني^(٢)

يقول - مضمون ترجمته - :

(ذكر صدر الحكماء أن النفس بعد مفارقتها للبدن ، فإن خيال البدن يبقى معها دائماً ؛ لأن قوة الخيال تبقى في النفس بعد الموت ، والبدن الصادر من النفس مطابق للبدن الدنيوي ؛ لأن النفس قادرة على اختراع مثل هذا البدن الدنيوي اعتماداً على وجود قوة الخيال عندها ، والذي سيكون له الحشر في يوم المعاد ، ويكون الثواب والعقاب لنفس هذا البدن المخترع في ذلك اليوم ..

إن البدن الأخروي عنده يكون بمثابة ظل للنفس ، فما دامت النفس موجودة ، فهذا البدن موجود ، فإما أن يكون نورانياً أو يكون ظلمانياً ؛ ولكنه ضعيف عندنا ، والالتزام به صعب جداً ، لأنه مخالف

(١) درر الفوائد في شرح المنظومة للسبزواري - الشيخ محمد تقي الآملي : ج ٢ ص ٤٦٠ .

(٢) هو السيد أبو الحسن بن إبراهيم بن رفيعي القزويني ، توفي عام (١٣٩٥ هـ) .

بشكل قطعي لظواهر الكثير من الآيات ، ومباين لصريح الأخبار
المعتبرة^(١) ^(٢).

الرابع : الشيخ الأوحـد الأحسائي

قال في كتابه شرح العرشية :

(وأما الصورة فهي عرض ليست هي المعادة ، كما توهمه المصنف ؛
لأنها هيئة المادة ، فالمعاد حقيقة هو المادة بهيئة عمل الشخص ، وإن كان
المادة في نوعها تتبدل من نوع إلى نوع بصور الأعمال ؛ لكن المعاد هو
اللابس للصورة ، لا نفس الصورة ، كما زعمه المصنف..
والمصنف على مذهبه هذا غير قائل بإعادة الأجسام عند أهل البيت
عليه السلام ، وإن قال بإعادة الصور ؛ لأن المعاد عنده هو الصور ، والمعاد
عندهم عليه السلام هو المواد ، وأما الصور فهي هيئات المواد ، وكيفيات
أعمالها التي تتصف المواد التي هي العاملون بها)^(٣).

(١) نص اعتراضه بالفارسي : (ليكن ، نزد اين ضعيف ، التزام به اين قول بسيار صعب ودشوار است ، زيرا كه به طور قطع مخالف با ظواهر بسيار از آيات ومباين با صريح اخبار معتبره است ، اين بود خلاصه كلام).

[غوص در بحر معرفت/رسالة يازده معاد - السيد أبو الحسن الرفيعة القزويني : ص ١٦٧].

(٢) غوص در بحر معرفت/رسالة يازده معاد - السيد أبو الحسن الرفيعة القزويني : ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) شرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٨١.

النقطة الرابعة: خلاصة رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد الجسماني

بعد التحقيق الذي مر سابقاً للوصول إلى الرأي الحقيقي للملا صدر الشيرازي في مسألة المعاد الجسماني ؛ فقد تبين لنا :
أنه قائل به من الناحية الشرعية ؛ أي : يقرّ ويعترف بوقوعه شرعاً ،
أما من الناحية العقلية في نظريته - وهو ما يعتقده^(١) - فإنه قائل بمعاد
لجسم صوري ؛ أي : عودة صورة البدن دون مادته ، أو صورته وإن
تبدلت وتغيرت مادة.

ومن هذا يظهر لنا أن ما جعل البعض يذهب إلى تمكنه من إثبات
كيفية المعاد الجسماني ، أو القول به من هذه الجهة ؛ فإما أنه كان ينظر
إلى قوله من الناحية الشرعية ، أو أنه اكتفى باللفظة الصريحة للبدن أو
الجسم في ظاهر سياق كلماته من الناحية العقلية ، ولم يفهم المراد
الدقيق منها.

وخلاصة رأيه الحقيقي هو : إثبات المعاد الجسماني من الناحية
الشرعية ، وعدم تمكنه من ذلك من الناحية العقلية.

(١) إن إقرار الفيلسوف بقضية ما شرعاً لا يعني ذلك اعتقاده بها ، وإنما اعتقاده مبني على نتائج المصدر المعرفي الذي اتخذ في تلك القضية ، وهو العقل ؛ كالصوفي الذي يحكم على معتقده من خلال نتائج الكشف.

وهذا ما أكدّه الأستاذ جوادى آملی فی مناظرته مع الأستاذ جعفر سیدان، حیث قال - حیما طلب منه خصمه بیان رأی الملا صدرا الشیرازی فی مسألة المعاد الجسماني -: (وأما مسألة المعاد فی نظر المرحوم الآخوند - صدر المتألّین -؛ فهي تتطابق مع وجهة نظر أبو علی - ابن سینا - فی إلهیات الشفاء)^(١).

وقد تبین لنا سابقاً الرأی أو الوجه الذي یذهب إلیه ابن سینا، وهو ثبوت المعاد الجسماني شرعاً، وعدمه تمکنه من إثبات کیفیته عقلاً، وهكذا هو الأمر فی الرأی الحقیقی للملا صدرا الشیرازی فی هذه المسألة.

(١) الإشکالية المنهجية بین التفكير الفلسفي والاعتقادي (مناظرة بین جوادى آملی والسید جعفر سیدان) -

الفصل الخامس:

مسألة المعاد عند الشيخ الأوحـد الأحسائي

تمهيد الفصل الخامس

أخذت شخصية الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي "المعروف بالشيخ الأوحـد الأحسائي" صـداها في ميدان الدراسات الإسلامية على غير صعيد، كمسألة لا يناقش فيها، وكحقيقة لا تقبل الجـدال عند الكثير من العلماء والباحثين والمفكرين وغيرهم.

وذلك لما وجدوه من نطاق واسع في شخصيته وأفكاره، ومنها:

١- الأثر الواضح للأصالة الإسلامية الأهل بيته في تصوراتـه وأفكاره التي نضمها في منهج مدرسته الحكمية.

٢- المتانة النقدية العميقة التي تمتع بها جهده النقدي، حيث إنه لم يركن إلى زاوية الجمود العلمي؛ بل تجاوز وتخطى نقده تراثاً عقلياً مهيمن وشديد التجذر في الأذهان؛ وذلك لمعالجة القضايا أو المسائل الفلسفية المشكـلة، بالصورة المتناسقة المستنبطة من الكتاب والسنة والعقل المستنير بنورهما^(١).

(١) للمزيد حول منهج الشيخ الأوحـد الأحسائي النقدي، انظر / دراسة حول المدرسة النقدية الحكمية عند

الشيخ الأحسائي - للشيخ سعيد القريشي - في مقدمته على كتاب شرح العرشية - للشيخ الأوحـد

الأحسائي: ج ١ ص ١٩٧.

ومن أمهات المسائل التي لم تتجاوز محطة يده النقدية ، هي مسألة إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً.

فها هو يصرح بمدعى ، قد يراه من ليس له أدنى تحقيق وبحث ودقة نظر بأنه بعيداً عن عين الصواب ، أو أنه مجرد تبجح جاء من طرفه كما جاء ممن كان قبله من الفلاسفة^(١).

فيتحدث في مقدمة مدعاه عن عجز المتكلمين والفلاسفة في إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً ، ويبين أنهم لم يستطيعوا إلا إثبات المعاد الروحاني من جهة الشرع والعقل ، أما الجسماني فلم يتوصلوا إليه إلا من الجهة الشرعية فقط ، فيقول^(٢) :

(أقول : شرع في بيان خصوص المعاد ، وكيفية حشر الأجساد ، فقال : (أما معاد الأرواح) ، وحشرها إلى ربها يوم القيامة ، وسعادة السعداء ، وشقاوة الأشقياء للجزاء على الأعمال الصالحة الحسنة بالحسنى ، وعلى الأعمال السيئة بالسوء ، فمما لا إشكال فيه ، فقد

(١) كالملا صدرا الشيرازي ، حينما قال مدعياً إثباته كيفية المعاد الجسماني - مر هذا النص في الهامش سابقاً - :

(فباب الوصول إلى معرفة المعاد الجسماني مسدوداً إلا على من سلك منهجنا وذهب في طريقنا). [الحكمة

المتعالية/الأسفار - الملا صدرا الشيرازي : ج ٩ ص ٢١٨٣.

(٢) شارحاً لكلمات الملا صدرا الشيرازي ، ومؤسساً لمقدمة مدعاه في هذه مسألة المعاد الجسماني عقلاً.

تطابقت عليه نوازع العقول ، لأن التكليف توجه إليها لما أودع فيها من الحياة والشعور والتميز ، ومعرفة الخير والشر ، والجيد والردى ، والتمكين من فعل الطاعات والمعاصي ، وصلاح كل الأشياء لشؤونها ، بحيث لا يختلف فيه أحد من العقلاء من المتبعين للشرائع ؛ فليس بيننا وبين الفلاسفة فيه خلاف^(١) .

قال : (وإن كان التحقيق فيه فوق ما حصلوه وضبطوه) ، وأما معاد الأجسام فلم يثبت لهم ذلك من طريق العقول ؛ لأن المعاد إنما تعلق بالأرواح ، لأنها مكلفة مشعرة مختارة ، فيصح ثوابها ونعيمها ، ويصح عقابها وتأليمها ، لأنها حية مميزة مختارة^(٢) .

وأما الأجسام ، فإنما أثبتوا معادها من جهة الشرع ، فإنه هو المثبت لمعاد الأجسام ، إذ لم يكن لها شعور ولا تميز ولا اختيار ، فلا يتوجه إليها التكليف ، ولا تنتفع بثواب ولا عقاب ، فليس في العقول ما يدل على معادها^(٣) .

(١) يبين في هذا الجزء من كلماته بأن المعاد الروحاني ثابت شرعاً ، ولا خلاف فيه بين أهل الشرائع ، أو بين المتكلمين والفلاسفة ، أو بينه وبينهم أيضاً .

(٢) يبين في هذا الجزء من كلماته بأن المتكلمين والفلاسفة لم يستطيعوا إثبات المعاد الجسماني عقلاً ، وإنما استطاعوا إثبات المعاد الروحاني عقلاً .

(٣) يبين في هذا الجزء من كلماته بأن المتكلمين والفلاسفة أثبتوا المعاد الجسماني من ناحية الشرع فقط . وهذا الهامش وما سبقه هو ما أثبتناه في الفصول السابقة (الفصل الثاني ، والفصل الثالث) .

وقد صرح بهذا المعنى المصنف في شواهد الربوبية ، وهنا أشار إلى ذلك بقوله : (محشورة يوم القيامة كما وردت به الشريعة الحقّة)^(١) (٢) .

ثم يذكر جوهر مدعاه - وهو أنه المثبت للمعاد الجسماني عقلاً - قائلاً : (وأما الحشر فلا يرتابون فيه ؛ إلا أن حشر الأرواح قام عليه الدليل العقلي والنقلي عندهم . وأما حشر الأجساد فلم يثبتوه إلا من النقل ، وقالوا : إن العقل لا يدل عليه ، ونحن قد أشرنا إليه من جهة العقل ... بحيث يكاد يصل إلى حد الضرورة من جهة العقل)^(٣) .

ويأتي كذلك تلميذه السيد كاظم الرشتي ويؤكد ما ادعاه أستاذه قائلاً : (بل هو الذي أنكر على المنكرين لهذا المعاد ، وأبطل شبههم ، وأثبت المعاد الجسماني بالبدن الجسماني الدنيوي بالبراهين القطعية من العقلية والنقلية ، مع اعتراف الحكماء بالعجز عن البرهان العقلي على المعاد الجسماني ، واكتفائهم بما نطقت به الشريعة من إثباتها)^(٤) .

(١) يبين في هذا الجزء من كلماته بأن الملا صدرا الشيرازي هو أحد أولئك الذين أثبتوا المعاد الروحاني شرعاً وعقلاً ، وأما المعاد الجسماني فلم يتوصل إليه إلا من جهة الشرع ، أما من جهة إثبات كلفيته عقلاً فقد عجز عن ذلك . وهذا ما أثبتناه في الفصل السابق (الفصل الرابع) .

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي : ج ٢ ص ١٤٨ .

(٤) رسالة في جواب الشيخ علي بن قرين "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ١٢ ص ٤٦٥ .

وفي مدعى الشيخ الأوحـد الأحسائي في إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً ؛ ثلاث نقاط يجب أن ينظر إليها جيداً ، وهي :

النقطة الأولى : إن مقدمة مدعاه ، وهي اتفاق المتكلمين والفلاسفة في المعاد الروحاني شرعاً وعقلاً ، وكذلك المعاد الجسماني شرعاً ، وعجزهم عن إثبات كيفيته عقلاً ؛ قد ثبتت صحة ذلك مما بيناه في أبحاث الفصول السابقة ؛ فلم يأت في قوله بما يدل على عكس النتائج التي توصلنا إليها.

النقطة الثانية : يتضح من كلماته أنه من القائلين بالمعاد الروحاني من جهة الشرع والعقل ، ومن القائلين أيضاً بالمعاد الجسماني من جهة الشرع ؛ فهو كباقي الفلاسفة الإلهيين ؛ أي : إنه لم يخالفهم في هذه الجهات أبداً ، وإن كان استدلاله على ذلك مغايراً لما جاء من طرفهم من الناحية البرهانية الحكمية^(١).

(١) وبناءً على ذلك ، فلا داعي لبيان رأي الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد من ناحية ثبوت المعاد الروحاني شرعاً وعقلاً ، وثبوت المعاد الجسماني شرعاً ، وإنما محط البحث سيكون فقط في الأمر الأساسي ، أو فيما أدعاه ، وهو إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً ، ولأنه هو أساس الخلاف في هذه المسألة كما مر في أبحاث الفصول السابقة ، وأيضاً ، على أساس هذا الأمر جاء عنوان هذا الكتاب "المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي".

النقطة الثالثة: وهي التحقيق في صحة أو صدق جوهر مدعاه في إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً ؛ وهذه النقطة هي الأساس في هذا الفصل ، وعليها ستقوم مطالبه.

ومن هنا ، تضمن هذا الفصل أربعة مطالب ؛ وهي :
الأول : مختصر سيرة الشيخ الأوحـد الأحسائي .

الثاني : مسألة المعاد الجسماني وتكفير الشيخ الأوحـد الأحسائي .
الثالث : بعض نصوص الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني .

الرابع : مسألة المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي .

المطلب الأول: مختصر سيرة الشيخ الأوحـد الأحسائي

نحن على يقين تام من أن الشيخ الأوحـد الأحسائي (من رجالات الشيعة اللامعين الذين أخذوا بأسباب المعرفة والفكر، والفلسفة والكلام، والفقه والعرفان، هذا إلى جانب تمرسه بالطب والرياضيات والنجوم والكيمياء وعلم الأعداد، والكلمات والحديث والأصول)^(١) وغيرها.

وبالرغم من أن التعريف عن سيرته الذاتية موكل إلى كتب التراجم^(٢)؛ إلا أنه من الواجب الوقوف ولو بالمختصر على ذلك؛ ليكون لدينا تصورٌ عن مكانته في مسرح الفكر الإسلامي.

(١) فلاسفة الشيعة - عبد الله نعمة: ص ١١٣.

(٢) على الرغم من تضارب أقوال المؤلفين نحو شخصية الشيخ الأوحـد (أعلى الله مقامه)، وما جاء به من أفكار حكيمية تميزت بميزات عديدة منها: مخالفته لمن سبقه من الحكماء والفلاسفة، واستخدامه مصطلحات حكيمية جديدة لم تكن موجودة في ساحة الفكر الحكمي أو الفلسفي - استنبطها من رواياتهم عليه السلام؛ - قد أدى إلى إثارة الغموض لدى بعض الباحثين والقارئـين في حكمته؛ إلا أن هناك الكثير من المترجمين قد أعطوه مكانته المناسبة بين عظماء الإمامية، فترجم حياته الكثير من كتب التراجم، وذكره الكثير من الكتب في مؤلفاتهم - حتى الذين حاربوه وصفوه بمحاسن الأخلاق، وبالمكانة العلمية السامية في مؤلفاتهم -؛ بل وقد انفردت رسائل وكتب خاصة في سيرته ومكانته العلمية. انظر: إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - د. حسين محفوظ. وانظر: أعلام هجر - الأستاذ السيد هاشم محمد الشخص.

وقد جاء مختصر سيرته في نقاط ، وهي :

النقطة الأولى : سيرته بخط قلمه الشريف

(حين يكتب مؤرخ حياة أحد الأعلام يستقي معلوماته من كتاب شخص ما ، وتلك المعلومات خاضعة في الأغلب إما لزيادة... وإما لنقصان. أما حين يكتب العالم قصة حياته بيده فالأمر يختلف ، ذلك لأنه هو لا غيره يعرف دقائق حياته... وهو حين يفعل هذا تنزل الكتابة صورة حية يرفّ فيها ماء الصدق وحرارة العافية)^(١).

وهذا ما حدانا إلى نقل سيرته الذاتية بخط قلمه الشريف.

يقول الشيخ الأوحى الأحسائي :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد.. فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين ، بن إبراهيم ، بن صقر ، بن إبراهيم ، بن داغر - غفر الله لهم أجمعين - ، بن رمضان ، بن راشد ، بن دهيم ، بن شمروخ ، آل صقر ، وهو كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير ، وشيخهم وبه يفتخرون وإليه ينتسبون.

(١) العلامة الجليل أحمد بن زين الدين الأحسائي في دائرة الضوء - علي محمد أسبر: ص ٣٥.

قعد داغر في بلدنا المعروف بالمطيرفي^(١) من الأحساء وترك البادية، ومنّ الله عليه بالإيمان وله الحمد والمنة ليستنقذنا من الضلالة، وكانت أولاده كلهم من الشيعة الاثني عشرية، إلى أن أخرجني وخلصني من الأرحام والأصلاّب، حتى أخرجني إلى الدنيا وله الفضل والحمد والشكر. فخرجت في وقت قد انتشر الجهل وعمّ الناس، خصوصاً في بلدتنا لأنها نائية عن المدن، وليس فيها أحد ممن يدعو إلى الله وعبادته، ولا يعرف أهلها شيئاً من الأحكام، ولا يفرقون بين الحلال والحرام. وكان مما تفضل عليّ ﷺ أن رزقني ذرية^(٢) كرمهم الله بالعلم، وكان كبيرهم سنّاً وعلماً هو الابن الأعز محمد تقي - أعزه الله وهداه وجعلني من المنية فداه -، التمس مني أن أذكر بعض أحوالي في حالة الصغر، وفي حال التعلم لتكون كالتاريخ، فأجبته إلى ما التمس مني. كانت ولادتي في السنة السادسة والستين بعد المئة والألف من الهجرة (١١٦٦هـ)، في شهر رجب المرجب.

(١) من قرى الأحساء الشمالية، وهي قرية متوسطة المساحة، تبعد عن الهفوف - عاصمة الأحساء - (٩ كم)،

ولا زال فيها مسجد ومنزل الشيخ الأوحّد (أعلى الله مقامه) إلى الآن.

(٢) كان للشيخ الأوحّد (أعلى الله مقامه) أربعة أولاد: الشيخ محمد تقي، الشيخ علي نقي، الشيخ عبدالله،

الشيخ حسن. [الشيخية - الطالقاني: ص ٥٣].

وعلى رأس السنتين من ولادتي جاء مطر شديد، وأتت بلادنا سيول من الجبال، حتى كان عمق الماء في المكان المرتفع من بلادنا ذراعين ونصف تقريباً، وفي ذلك اليوم تولد المرحوم المبرور أخي الشيخ صالح^(١) - تغمد الله برحمته، وأسكنه بجوحة جنته -.

وفي اليوم الثالث وقعت بيوت بلدنا كلها، ولم يبق فيها إلا مسجدها، وبيت لعمتي فاطمة الملقبة (بجبابة) - رحمة الله عليها -، وكان عمري حينئذ سنتين، وأنا أذكر هذه الواقعة.

وعلى مختصر القصة قرأت القرآن وعمري خمس سنين، وكنت كثير التفكير في حالة طفولتي، حتى أنني إذا كنت مع الصبيان أَلْعَب معهم كما يلعبون؛ ولكن كل شيء يتوقف على النظر أكون فيه مقدمهم وسابقهم، وإذا لم يكن معي أحد من الصبيان أخذت في النظر والتدبر، وأنظر في الأماكن الخربة والجدران المنهدمة، أتفكر فيها وأقول في نفسي: هذه كانت عامرة ثم خربت.

وأبكي إذا تذكرت أهلها وعمرانها بوجودهم، وأبكي بكاء كثيراً، حتى أنه لما كان حسين بن سياب الباشا حاكم الأحساء، وتألّب عليه

(١) الشيخ صالح بن زين الدين الأحسائي، ولد في الأحساء عام (١١٦٨هـ)، وتوفي في كرمانشاه عام

(١٢٤٠هـ)، وهو أصغر من الشيخ الأحسائي.

العرب ، وأتى محمد آل عزيز وحاصروا الباشا ، وقتلوا الروم وأخذوا الأحساء ، وحكم فيها محمد آل عزيز. وبعد أن مات حكم في الأحساء ابنه علي آل محمد ، وقتله أخوه دجين أبو عرعر ، وكان مقتله قرب عين الحوار (بالحاء المهملة) ودفن هناك ، فإذا مررت وعمري خمس سنين تقريباً بقبره أقول في نفسي : أين ملكك؟ أين قوتك؟ أين شجاعتك؟ وكان في حياته على ما يذكرون أشجع أهل زمانه ، وأشدهم قوة في بدنه ، وأتذكر أحواله وأبكي بكاءً شديداً على تغير أحوال الدنيا وتقلبها وتبدلها.

وكانت هذه حالتي إن كنت مع الصبيان في لعبهم فأنا مشغول باللعب معهم ، وإن كنت وحدي فأنا أتفكر وأتدبر.

وكان أهل بلدنا في غفلة وجهل ، لا يعرفون شيئاً من أحكام الدين ، بل كان أهل البلد صغيرهم وكبيرهم لهم مجامع يجتمعون فيها بالطبول والزمور ، والملاهي والغناء والعود والطنبور.

وكنت مع صغري لا أقدر أصبر عن الحضور معهم ساعة ، وعندني من الميل إلى طرفهم ما لا أكاد أصفه ، وأبكي وحدي شوقاً إلى ما أتيخه من أفعالهم ، حتى أكاد أقتل نفسي ، وإذا خلوت وحدي أخذت في الفكر والتدبر ، وبقيت على هذه الحال.

فلما أراد الله سبحانه إنقاذي من تلك الحالات اجتمعت مع رجل من أقاربنا، من المقدمين في طرق الضلالة، المتوغلين في أفعال الغواية والجهالة.

وقال: أنا أريد أنظم بعض أبيات الشعر وأريدك تعينني - هذا وأنا صغير ما بلغت الحلم..
فقلت له: أفعل.

فقعنا في خلوة، فأخذ أوراقاً صغاراً عنده يقلب فيها، وإذا فيها أبيات شعر منسوبة للشيخ علي بن حماد البحراني الأوالي^(١) - تغمده الله برحمته ورضوانه - في مدح الأئمة عليهم السلام، وهي:

لله قوم إذا ما الليل جنّهم	قاموا من الفرش للرحمن عبدا
الأرض تبكي عليهم حين تفقدهم	لأنهم جعلوا للأرض أوتادا
هم المطيعون في الدنيا لخالقهم	وفي القيامة سادوا كل من سادا
محمد وعلي خير من خلقوا	وخير من مسكت كفاه أعوادا
ويركبون مطايا لا تملّهم	إذا هم بمنادي الصبح قد نادى

فلما قرأ هذه الأبيات ألقاها وقال: الحاصل إن الذي ما يعرف النحو ما يعرف الشعر.

(١) الشيخ علي بن حماد البحراني، من العلماء الأعلام، توفي عام ٩٩٩هـ.

فلما سمعت هذا الكلام منه تذكرت أن هنالك صبيّاً - أمه بنت عم
أمي ، تغمده الله برحمته - ، اسمه الشيخ أحمد بن محمد آل ابن حسن ،
يقرأ في النحو في بلدة قريبة من بلدنا بينهما فرسخ ، عند المرحوم
الشيخ محمد بن الشيخ محسن - قدس الله روحه - .

قلت - للشيخ أحمد - : ما أول شيء يقرأ فيه من النحو .
فقال : عوامل الجرجاني .
فقلت له : أعطني أكتبها .

فأخذتها وكتبتها ، ولكنني أستحي أن أذكر لوالدي - قدس الله روحه
ونور ضريحه - ؛ لأنه كان عندي من الحياء شيء ما يتصور ، حتى إن ذلك
الحال الذي أشرت إليهم من الاشتياق إلى أفعال أولئك الفساق ما اطلع
عليه أحد إلا الله سبحانه ، فمضيت فيه إلى موضع من بيتنا يقعد فيه
والدي ووالدتي وثمرتي فيه ، وبينت بعض الأوراق التي فيها العوامل ،
وأنت والدتي - وأنا مغمض عيني كأني نائم - .

ثم أتى والدي وقال لوالدتي : ما هذه الأوراق التي عند أحمد ؟
قالت : ما أعلم .

فقال : ناولينيها . فأخذتها وأنا أرخيت أصابعي - من حيث لا تشعر
- حتى تأخذ القرطاس ، فأخذتها وأعطتها والدي - رحمه الله - .

فنظر فيها وقال : هذه رسالة نحو ، من أين له هذه؟

قالت : ما أدري .

فقال : رديها مكانها .

فردتها وألنت أصابعي - من حيث لا تشعر - فوضعتها في يدي
وبقيت قليلاً ، ثم تمطيت وانتبهت وأخفيت القرطاس ، كأني أحب أن
لا يطلع عليها .

فقال لي والدي : من أين لك هذه الرسالة النحوية؟

قلت : كتبتها .

فقال لي : تحب أن تقرأ في النحو؟

فقلت : نعم .

وجرت (نعم) على لساني من غير اختياري - وأنا في غاية
الحياء ، كأن قلبي نعم من أقبح الأشياء - ، ولكن الله - وله الحمد والشكر -
أجراها على لساني من غير اختياري .

فلما كان من الغد أرسلني مع شيء من النفقة إلى البلد التي فيها
الرجل العالم ، أعني الشيخ محمد بن الشيخ محسن القرين ، ووضعتني
مع ذلك الصبي - الذي تقدم ذكره - وهو الشيخ أحمد - رحمه الله - ،

فكان شريكى في الدرس عند الشيخ محمد، وقرأت العوامل والأجرومية عنده.

ورأيت في المنام رجلاً كأنه من أبناء الخمس والعشرين سنة، أتى إليّ وعنده كتاب، فأخذ يُعرِّف لي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(١)، مثل خلق أصل الشيء؛ يعني هيولاه، فسوى صورته النوعية، وقدر أسبابه فهداه إلى طريق الخير والشر، يعني من هذا النوع، وإن لم يكن خصوص ما ذكرته، فانتبهت وأنا منصرف الخاطر عن الدنيا، وعن القراءة التي يعلمناها الشيخ؛ لأنه إنما يعلمنا: زيد قائم، زيد: مبتدأ، وقائم: خبره.

وبقيت أحضر المشايخ ولا أسمع لنوع ما سمعت في المنام من ذلك الرجل شيئاً. وبقيت مع الناس بجسدي، ورأيت أشياء كثيرة لا أقدر أحصيها منها:

أنى رأيت في المنام كأنى أرى جميع الناس صاعدين على السطوح يتطلعون لشيء، فصعدت أنا سطح بيتنا، وإذا أنا أرى شيئاً أتى مما بين المغرب والجنوب، وهو معلق بالسمااء بطرف منه، وطرف آخر متدل كالسرادق وهو مقبل إلينا - أنا والناس كلهم -، وكلما قرب منا انحط

(١) سورة الأعلى: (٣-٢).

إلى جهة الأسفل ، حتى وصل إلينا ، وكان أسفل ما منه ما كان عندي وقبضته بيدي ، وإذا هو شيء لطيف لا تدركه حاسة اللمس بالجسم إلا بالبصر ، وهو أبيض بلوري يكاد يخفى من شدة لطافته ، وهو حلق منسوجة على هيئة نسج الدرع ، ولم يصل إليه أحد من تلك الخلائق المتطلعين إليه غيري.

ورأيت ليلة أخرى : كأن الناس كلهم يتطلعون على السطوح - كالرؤيا الأولى - إلى شيء نزل من السماء وقد سدّ جهة السماء ، إلا أن جميع أطرافه متصلة بالسماء ووسطه منخفض ، ولم يصل إليه من تلك الخلائق أحد غيري ؛ لأن أخفض ما في وسطه المتدلي هو الذي وصل إليّ ، فقبضته بيدي ، فإذا هو غليظ ثخين.

ورؤي لي - أيضاً - : كأن جبلاً عالياً إلى عنان السماء ، وحوله من جميع جوانبه رمال سيّالة ، وكل الخلائق يعالجون في صعوده ، ولم يقدر أحد منهم أن يصعد منه قليلاً ، وأتيت أنا وصعدته كلمح البصر ، بأسهل حركة إلى أعلاه ، وأمثال ذلك من الأمور الغريبة التي أعجز عن إحصائها.

ثم إنني رأيت ليلة : كأنني دخلت مسجداً ، فوجدت فيه رجالاً ثلاثة ، وشخص آخر يقول لكبير الثلاثة : يا سيدي كم أعيش ؟

فقلت : من هؤلاء؟ ومن هذا الذي تسأله؟

فقال : هذا الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فمضيت إليه وسلمت عليه وقبلت يده ، وتوهمت أن الذين معه الحسين وعلي بن الحسين عليه السلام .

فقال عليه السلام : هذا علي بن الحسين ، وهذا الباقر عليه السلام .

فقلت : أنا يا سيدي كم أعيش؟

فقال : خمس سنين أو أربع سنين ، أو قال : خمس سنين وأربع سنين .

فقلت له : الحمد لله .

فلما علم مني الرضا بالقضاء قعد عند رأسي ، وذلك كأني حين إظهار الرضا بما قال نائم على قفائي ، ورأسي إلى جهة القطب الجنوبي ، وهم عليه السلام قيام على جانبي الأيمن ، كالمصلين على الميت ، إلا أن الحسن عليه السلام مما يلي رأسي ، فلما أظهرت الرضا بالقضاء قعد عند رأسي ، ووضع فمه على فمي ، فقال له علي بن الحسين عليه السلام : أصلح إن كان في فرجه خراب .

فقال الحسن عليه السلام : الفرج لا يخاف منه وإن أعقمه الله ، فإنما يخاف من القلب ، فتعلقت به فوضع يده على وجهي وأمرها على صدري ،

حتى وجدت برد يده الشريفة في قلبي . ثم كأني أنا وهم قيام ، فقلت له : يا سيدي أخبرني بشيء إذا قرأته رأيتكم . فقال لي :

كن عن أمورك معرضا	وكل الأمور إلى القضا
ولربما اتسع المضيق	وربما ضاق الفضاء
ولرب أمر متعب	لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء	فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميل	فقس على ما قد مضى

ثم قال :

رب أمر ضاقت النفس به	جاءها من قبل الله فرج
لا تكن من وجه روح آيسا	ربما قد فرجت تلك الرتج
بينما المرء كئيب دنف	جاءه الله بروح وفرج

وكان يقرأ من الأول فقرة ، ومن الثاني فقرة ، فقلت : وكيف هذا؟ فقال عليه السلام : قد يستعمل في الشعر هكذا!

فقلت : يا سيدي هل رأيت القصيدة التي أولها :

ألا انظرن يا خليلي بين أحوالي في أيها هو أحلى لي وأحوى لي

فقال : رأيتها وهي عجيبة إلا أنها ضائعة ، وذلك إنما قال عليه السلام ذلك لأنني نظمتهما في التغزل.

فقلت له : إن شاء الله تعالى أنظم في مدحكم قصيدة . ثم إنني أحببت انصرافهم لئلا أنسى هذه الأبيات ، وثقة مني بوعده عليه السلام .
ثم إنني ذات ليلة قعدت آخر الليل لصلاة الليل ، وكان قريب بلدنا بلد اسمها (البابة) وفيها نخلة طويلة جداً ، ما رأيت منذ خلقت نخلة طولها وعليها حمامة راعبية وهي تنوح ، فذكرتني تلك الرؤيا ومن رأيت ، فنظمت القصيدة في مدحهم عليهم السلام ، التي أولها :

بي العزا عز وجل الوجل وماج مدمعي بما احتمل
وهي موجودة .

والحاصل ثم إنني بقيت أقرأ الأبيات كل ليلة وأكررها ولا أراهم عليهم السلام كم شهر .

ثم إنني استشعرت أنه عليه السلام ما يريد مني قراءة الأبيات ، وإنما يريد مني التخلص بمعانيها ، فتوجهت إلى الإخلاص في العبادة وكثرة الفكر ، والنظر في العالم ، وكثرة قراءة القرآن ، والاعتبار والاستغفار في الأسفار .

فرأيت منامات غريبة عجيبة في السماوات وفي الجنات ، وفي عالم الغيب والبرزخ ، ونقوشاً وألواناً تبهر العقول .

ثم انفتح لي رؤيتهم عليه السلام ، حتى إني أكثر الليالي والأيام أرى من شئت منهم ، على ما أختار منهم الذي أراه عليه السلام . وإذا رأيت أحداً منهم وانتبهت وانقطع كلامي قبل تمامه ، رجعت في النوم ورأيت ذلك الذي رأيته عند منقطع كلامي حتى أتممه ، وإذا ذكر لي أحد من الناس أن إذا رأيته تسأل لي الدعاء ، رأيت كذلك . وقد ذكر لي أخي الشيخ صالح أن إذا رأيت القائم عليه السلام فأسأله لي الدعاء ، فرأيت القائم عليه السلام وقلت له : يا سيدي إن أخي صالحاً يسألك الدعاء ، فدعاه وقال : في زوجته ولد ، ثم حملت زوجته بزين الدين ابنه .

وكنت في أول انفتاح باب الرؤيا رأيت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فسألته عن مسائل فأجابني ، ثم وضع فمه الشريف في فمي وبقي يجّ عليّ من ريقه وأنا أشرب وهو ساخن ، إلا أنه ألدّ من الشهد قدر نصف ساعة ، وكل ذلك وأنا أشرب من ريقه .

ثم بعد كم سنة رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقلت : يا سيدي أريد منك أن أخلع الدنيا أصلاً ، بحيث لا أعرف . فقال : هذا أصلح .

فشددت عليه في الطلبة فتغافلني ومضى عني من حيث لا أشعر ، ففتشت عليه ثم وجدته وقلت له : أنا أريد منك هذا الطلب . فقال :

يمكن بعد حين ، فتغيب عني فطلبت فوجدته وشدت عليه مراراً ، فمرة يقول : هذا أصلح ، ومرة يقول : بعد حين .

فلما آيست من مطلبي قلت له : إذن زودني ، فرفع يمينه الشريفة وأراد أن يمسخ بها على وجهي وصدري .
فقلت له : ما أريد هذا .

فقال لي : ما تريد ؟

قلت : أريد تسقيني من ريقك ، فوضع فمه على فمي ومج عليّ من ريقه ما ألدّ من الشهد ، وأبرد من الثلج ، إلا أنه قليل ، وكنت وهو عليه السلام قائمين فضعفت لشدة اللذة وبرد الماء فقعدت ، ثم قمت وهو يضحك من قعودي وضعفي ، وسقاني مرة أخرى كالأولى ثم مضى .

والحاصل أنني رأيت أكثر الأئمة عليهم السلام وظني كلهم ، إلا الجواد عليه السلام .
فإني متوهم في رؤيته . وكل من رأيت منهم يجيبني في كل ما طلبت ، إلا مسألة الانقطاع ، فإن جوابهم لي فيه كجواب النبي صلى الله عليه وآله .

وكنت مدة إقبالي سنين متعددة ما يشته عليّ شيء في اليقظة إلا وأتاني في المنام ، وأشياء ما أقدر ضبطها لكثرتها .

وأعجب من هذا ما أرى في المنام إلا على أكمل ما أريده في اليقظة ، بحيث يفتح لي جميع ما يؤيد أدلته ويمنع ما يعارضه .

وبقيت سنين كثيرة على هذه الحال ، حتى عرفني الناس ، واشتغلت بهم عن ذلك الإقبال ، وانسد ذلك الباب المفتوح ، فكنت الآن ما أراهم عليه السلام إلا نادراً من الأحوال .

وكان من جملة هذه الأمور النادرة أنني رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس مشحون من العلماء والأجلاء ، فلما أقبلت قام عليه السلام فقعدت عند النعل .

فقال : أقبل ما هذا مكانك ، فقمتم ثم قعدت قريباً .

فقال : أقبل . ولم يزل عليه السلام يقربني حتى أقعدني في جانبه ، فكان مما سألته : هل يجوز بيع الصبرة؟
فقال : لا .

ثم ذكرت له حاجتي ، فقال : أنا ما في يدي شيء .

فقلت له : نعم ، ولكنني أتيت إليك من الذي بيني وبينك أريد مما أعرف من مقامك عند الله . فلما قلت له ذلك قال : إن شاء الله يكون بعد حين .

وكنت في تلك الحال دائماً أرى منامات وهي إلهامات . فإني إذا خفي عليّ شيء رأيت بيانه ولو إجمالاً ، ولكنني إذا أتاني بيانه في الطيف وانتبهت ظهرت لي المسألة بجميع ما يتوقف عليه من الأدلة ،

بحيث لا يخفى عليّ أحوالها ، حتى إنه لو اجتمعت الناس ما أمكنهم يدخلون عليّ شبهة فيها ، فأطلع على جميع أدلتها .

ولو أوردوا عليّ ألف منافع ، وألف اعتراض ظهر لي محاملها وأجوبتها بغير تكلف ، ووجدت جميع الأحاديث كلها جارية على طبق ما رأيت في الطيف ؛ لأن الذي أراه في المنام معاينة لا يقع فيه غلط .

وإذا أردت أن تعرف صدق كلامي فانظر في كتبي الحكمية ، فإنني في أكثرها في أغلب المسائل خالفت جل الحكماء والمتكلمين ، فإذا تأملت في كلامي رأيته مطابقاً لأحاديث أئمة الهدى عليهم السلام ، ولا تجد حديثاً يخالف شيئاً من كلامي .

وترى كلام أكثر الحكماء والمتكلمين مخالفاً لكلامي ولأحاديث الأئمة عليهم السلام ، حتى بلغ منهم الحال إلى أن أكثرهم ما يعرفون كلام الإمام عليه السلام ، ولكن إذ أردت البيان فانظر بعين الإنصاف لتعرف صحة ما ذكرت ، فإنني ما أتكلم إلا بدليل منهم عليهم السلام .

ولقد كان بيني وبين الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عصفور البحراني - رحمهم الله - بحث كثير ، وأكثر الإنكار عليّ ، ثم انصرفنا .

فلما جاء الليل رأيت مولاي علي بن محمد الهادي - عليه وعلى آباءه الطيبين وأبنائه الطاهرين أفضل الصلاة وأزكى السلام - ، فشكوت إليه حال الناس ، فقال عليه السلام : اتركهم وامض فيما أنت فيه .

ثم أخرج إليّ أوراقاً على حجم الثمن ، وقال : هذه إجازاتنا الاثنا عشر ، فأخذتها وفتحتها وإذا كل صفحة مصدرة : بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعد البسملة إجازة واحدة منهم عليه .

وكان مما أمروني به ووعدوني به ووصفوني عليه السلام به ، ما لا يصدق به كل من سمع استعظماً له ، وإني لست أهلاً له ، حتى إني قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : من القائل بذلك؟

فقال : أنا القائل .

فقلت : يا سيدي أنت تعرفني ، وأنا أعرف نفسي ، أني لست أهلاً لذلك ، فلأي سبب قلت ذلك؟

فقال : بغير سبب .

فقلت : بغير سبب!

فقال : أمرت أن أقول كذا .

فقلت : أمرت أن تقول كذا .

فقال: نعم، وأمرت أن أقول إن (ابن أبي مدريس) من أهل الجنة، وكان رجلاً من أهل بلدنا من جهال الشيعة.
وقال - أيضاً -: وأمرت أيضاً أن أقول إن (عبد الله الغويدري) من أهل الجنة.

فقلت: عبد الله الغويدري من أهل الجنة!
فقال: لا تغتر بأن ظاهره خبيث، فإنه يرجع إلينا ولو عند خروج روحه.

وكان عبد الله الغويدري رجلاً عشاراً من أهل السنة والجماعة، ولم نسمع منه شيئاً من الخير، إلا أنه كان يحب جماعة من السادة من أقاربنا، ويخدمهم ويعظمهم ويكرمهم غاية الإكرام.
ثم بعد مدة تكلمت بهذا الكلام بمحضر جماعة من الشيعة، فقال شخص منهم اسمه عبد الله ولد ناصر العطار، وكان بينه وبين عبد الله الغويدري صداقة ومؤاخاة، فقال: عبد الله الغويدري شيعي.
فقلنا: ليس بشيعي.

فقال: والله إنه شيعي، ولا يطلع عليه إلا الله وأنا، وهو رفيقي وأنا أعرفه.

والحاصل من الاتفاق أن طوائف من البوادي، اعتدوا على طائفة من الشيعة من أهل القطيف، ووقع بينهم حرب، واستعان الشيعة بأهل الأحساء عسكرياً لإعانة أهل القطيف على البوادي، وكان من جملة من خرج معهم عبد الله الغويدري، فقتل في جملة من قتل، فختم له بالشهادة في الدفاع عن المؤمنين.

والحاصل أن من الأمور الغريبة تعبير ما ذكرت من الرؤيا التي تقدم ذكرها، فإنه مما لا يحسن بيانه، خصوصاً للجهال. وأما أنا فإن افتريته فعليّ إجرامي.

ولقد ورد عن الباقر عليه السلام، أنه قال: «ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا، وأخلص في معرفتنا، وسئل مسألة إلا ونفشنا في روعه تلك المسألة»^(١). ولقد فتح الله أشياء ما أعرف أصفها للناس، وكل ذلك من التخلق بتلك الآيات المتقدمة. فأنت وفقك الله إذا أردت شيئاً فأقبل على الله على النحو الذي أمر به الشارع عليه السلام، وتفهم قول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٣)،^(٤).

(١) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة - الشيخ جواد الكربلائي: ج ٤ ص ٣٧٢.

(٢) سورة البقرة (١٥٢).

(٣) سورة التوبة: (٦٧).

(٤) نقل هذه السيرة الميرزا محمد تقی بن الملا محمد حجة الإسلام المامقاني، من نسخة نقلت من خط الشيخ الأوحده الأحساني. وأخرجها د. حسين علي محفوظ في عام (١٣٧٦هـ) تحت عنوان "سيرة الشيخ الأحساني قدس".

النقطة الثانية: سيرته العلمية

كان الشيخ الأوحّد الأحسائي من الرعيل الأول بين كبار علماء الشيعة الإمامية^(١)، وقد انصب جهده العلمي في جوانب عديدة منها:

الجانب الأول: إجازاته

هاجر الشيخ الأوحّد الأحسائي إلى العراق في سنة (١١٨٦ هـ)، وتنقل بين النجف وكربلاء^(٢)، ونال العديد من الإجازات من أعظم العلماء آنذاك، ومنهم:

١- السيد محمد مهدي الطباطبائي^(٣)، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩ هـ)^(٤).

٢- الشيخ حسين آل عصفور البحراني^(٥)، وتاريخ إجازته عام (١٢١٤ هـ)^(٦).

(١) لم يعرف للشيخ الأوحّد الأحسائي أساتذة، كما لم يذكر هو في ترجمته لنفسه غير الشيخ محسن القرين.

(٢) الشيخية - الطالقاني: ص ٣٥.

(٣) وهو من أكابر علماء عصره، علماً وأديباً، تخرج عليه جمع من أعظم الفقهاء وعمد الطائفة، وهو جد أسرة (آل بحر العلوم) العلمية في النجف، ولد في كربلاء عام (١١٥٥ هـ)، وتوفي في النجف عام (١٢١٢ هـ). [منتهى المقال في أحوال الرجال - للشيخ أبي علي الحائري: ص ٣١٤].

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٢٥٥.

(٥) هو زعيم المدرسة الإخبارية، وشيخ علمائها، وأحد المجازين من عمه الشيخ يوسف البحراني، صاحب كتاب (الحدائق الناضرة)، توفي عام (١٢١٦ هـ). [أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٢٧ ص ١٣٦-١٢٨].

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٨٨.

٣- الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي^(١)، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)^(٢).

٤- السيد علي الطباطبائي، صاحب (كتاب الرياض)^(٣)، لم يرد تاريخ لإجازته^(٤).

٥- السيد ميرزا مهدي الشهرستاني^(٥)، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)^(٦).

٦- الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني^(٧)، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٥هـ)^(٨).

(١) وهو من أعظم علماء الشيعة، واجتمعت حكومتا آل قاجار في إيران وآل عثمان في تركيا على إكباره، ولم يتحدث تاريخ الزعامة الدينية في النجف عن نظيره في المكانة العلمية والعملية، ولد عام (١١٥٦هـ)، وتوفي عام (١٢٢٨هـ). لأعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٥ ص ٤١٨-٤٣٥.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٦٥.

(٣) وهو أحد الفقهاء الأثبات، والعلماء الخالدين، وجهابذة الرأي الأفاضل، تخرج على يديه العديد من العلماء: الشيخ محمد المازندراني، والسيد أبو قاسم الخونساري، والشيخ أسد الله التستري، وأبنيه السيد محمد والسيد مهدي الطباطبائي... وغيرهم. ولد عام (١١٦١هـ)، وتوفي عام (١٢٣١هـ). لقصص العلماء - للتكايني: ص ١٢٩-١٣١.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٢١٩.

(٥) من أكابر فقهاء كربلاء وزعمائها الدينيين في عصره، وبيت الشهرستاني من الأسر العلمية الكربلائية التي أنجبت الكثير من العلماء، توفي عام (١٢١٦هـ). للكنى والألقاب - للمحدث القمي: ج ٢ ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٥٣.

(٧) وهو من علماء عصره وأدبائه، ولكن التاريخ ظلّمه كألوف غيره، لاسيما من أبناء منطقته وطائفته.

[طبقات أعلام الشيعة - الطهراني: ج ٢ ص ٨٠-٨١].

(٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٤١.

وقد طبعت هذه الإجازات مستقلة في النجف الأشرف عام (١٣٩٠هـ) بشرح وتعليق الدكتور حسين علي محفوظ^(١).

ولا بأس بذكر بعض المقتطفات القصيرة من تلك الإجازات وثناء العلماء عليه ؛ لبيان مكانته الشخصية ورفعته العلمية والعملية عندهم. قال الميرزا مهدي الشهرستاني - في إجازته له - :

(... حيث إن الشيخ الجليل والعمدة النبيل ، والمهذب الأصيل العالم الفاضل ، والباذل الكامل المؤيد المسدد الشيخ أحمد الأحسائي - أطال الله بقاءه ، وأقام في معارج العز وأدام ارتقاءه - ، ممن رتع في حياض العلوم الدينية ، وكرع من حياض زلال سلسيل الأخبار النبوية ، وقد استجازني فيما صحت لي روايته وثبتت لدي درايته ، من معقول ومنقول وفروع وأصول ، حسبما جرى عليه السلف والخلف من علمائنا الأبرار ، من الشرف والانتظام في سلك الرواة عن الأئمة الأطهار... ولما كان دام عزه وعلاه أهلاً لذلك ، فسارعت إلى إجابته ، وإنجاح طلبته ، لما كان إسعاف مأموله فرضاً لفضله وجودة فطنته ، فأقول : إنني قد أجزت له أدام الله علاه أن يروي عني ...) ^(٢).

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - د. حسين علي محفوظ : ص ٥.

(٢) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - د. حسين علي محفوظ : ص ١٩.

وقال السيد محمد مهدي الطباطبائي - في إجازته له :-
 (...) وكان ممن أخذ بالخط الوافر الأسنى ، وفاز بالنصيب المتكاثف
 الأهنى ، زبدة العلماء العاملين ، ونخبة العرفاء الكاملين ، الأخ الأسعد
 الأمد ، الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي - زيد فضله ومجده ،
 وعلا في طلب العلا جده .. وقد التمس مني أيده الله تعالى الإجازة في رواية
 الأخبار ، الواردة عن الأئمة الأطهار - عليهم سلام الله أناء الليل
 والنهار - عني وعن مشائخي الأعظم الأجلة ، ووسائطي إلى رؤساء
 المذهب والملة ، فسارعت إلى إجابته ، وقابلت التماسه بإنجاح طلبته ، لما
 ظهر لي من ورعه وتقواه ، وفضله ونبله وعلاه ، فأجزت له وفقه الله
 لسعادة الدارين وحباه بكل ما تقر به العين ، رواية الكتب (...) ^(١).

وقال الشيخ حسين آل عصفور البحراني - في إجازته له :-
 (...) التمس مني من له القدم الراسخ في علوم آل بيت محمد
 الأعلام ، ومن كان حريصاً على التعلق بأذيال آثارهم - عليهم الصلاة
 والسلام - ، أن أكتب له إجازة ، كما هي الطريقة الجارية بين العلماء في
 جميع الأصقاع والأعوام ، لحصول التبرك بطرق التحمل المغروسة في
 قلوب العلماء ، حدائق الثبوت المروية برواشح إفاضاتهم على

(١) نفس المصدر السابق : ص ٢٩ .

الاستمرار والدوام ، وهو العالم الأجد ذو المقام الأنجد ، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، ذلَّ الله له شوامس المعاني ، وشيّد به قصور تلك المباني ، وهو في الحقيقة حقيق بأن يجيز ولا يجاز ، لعراقته في العلوم الإلهية على الحقيقة لا المجاز ، ولسلوكة طريق أهل السلوك وأوضح المجاز ...^(١).

وقال السيد علي الطباطبائي - في إجازته له - :
(... إنّ من أغلاط الزمان ، وحسنات الدهر الخوان ، اجتماعي بالأخ الروحاني والخل الصمداني ، العالم العامل والفاضل الكامل ، ذي الفهم الصائب والذهن الثاقب ، الراقي أعلى درجات الورع والتقوى والعلم واليقين ، مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي - دام ظله العالي - . فسألني بل أمرني أن أجيز له ما صحت لدي إجازته ، واتضح لي روايته ، من مصنفات علمائنا الأبرار .. فأجزت له رواية جميع ذلك ، وأن يروي عني ..)^(٢).

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - حسين علي محفوظ : ص ٤٣ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٢٣ .

وقال المحقق الشيخ عبد الحسين الأميني ^(١) - في حقه - :

(أحد فطاحل العلماء يروي عن سيدنا بحر العلوم ، والشيخ كاشف الغطاء ، والسيد صاحب الرياض ، والسيد مهدي الشهرستاني ، والشيخ أحمد البحراني ، ويروي عنه صاحب الجواهر ، والحاج ميرزا إبراهيم الكلباسي صاحب الإشارات) ^(٢) .

وقال الشيخ الميرزا محمد باقر الخوانساري ^(٣) - في حقه - :

(... ترجمان الحكماء المتألهين ، ولسان العرفاء المتكلمين ، غرة الدهر وفيلسوف العصر ، العالم بأسرار المباني والمعاني ، شيخنا أحمد بن الشيخ زين الدين بن الشيخ إبراهيم الأحسائي ، لم يُعهد في هذه الأواخر مثله في المعرفة ، والفهم والمكرمة والحزم ، وجودة السليقة ، وحسن الطريقة ، وصفاء الحقيقة ، وكثرة المعنوية ، والعلم بالعريية ، والأخلاق السنية والشيم المرضية والعلمية والعملية ، وحسن التعبير

(١) هو العلامة الشيخ عبد الحسين بن الشيخ أحمد بن المولى نجف علي الشهير بالأميني ، صاحب كتاب (الغدير) ، ولد عام (١٣٢٠هـ) ، وتوفي عام (١٣٩٠هـ) في طهران ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف .

(٢) شهداء الفضيلة - الشيخ عبد الحسين الأميني : ص ٣١١ .

(٣) الميرزا محمد باقر الخوانساري الأصفهاني بن الفقيه الميرزا زين العابدين بن المحدث الفقيه السيد أبي القاسم بن الفقيه السيد حسين بن الفقيه المتبحر المير أبي القاسم جعفر المشتهر بالمير الكبير ، وهو من العلماء المشهورين والفقهاء العظام ، ولد في بلدة خوانسار عام (١٢٢٦هـ) وتوفي عام (١٣١٣هـ) .

والفصاحة، ولطف التقرير والملاحظة، وخصوص المحبة والوداد، لأهل بيت الرسول الأجداد...^(١).

وقال الشيخ عباس القمي^(٢) - في حقه -:

(الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني، الحكيم المتأله، الفاضل العارف العالم العابد، المحدث الماهر والشاعر، وصاحب شرح الزيارة، وشرح الحكمة العرشية لملا صدرا، وشرح التبصرة للعلامة، والرسائل الكثيرة، والذي توفي في أوائل سنة (١٢٤٣هـ) في سفر الحج، ودفن خلف البقعة المباركة لأئمة البقيع - صلوات الله عليهم أجمعين - . وزرت قبره وكان مكتوباً على لوح مزاره الشريف:

تضيء به القلوب المدلهمة	لزين الدين أحمد نور علم
ويأبى الله إلا أن يتمه ^(٣)	يريد الجاحدون ليطفئوه

(١) روضات الجنات - الخوانساري: ج ١ ص ٩٧.

(٢) الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي رحمه الله تعالى، صاحب كتاب (مفاتيح الجنان)، وهو من العلماء المشهورين بتهديب النفس وقيم الأخلاق والعلم، ولد في قم عام (١٢٩٤هـ) وتوفي عام (١٣٥٩هـ).

(٣) أعلام هجر - السيد هاشم الشخش: ج ١ ص ١٨٣. عن الفوائد الرضوية.

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء^(١) :

(... ثم لما انتشرت كتبه ورسائله بعد حياته اختلف الناس فيه بين غالٍ وقال، بين من يقول بركنيته، وبين من يقول بكفره، والتوسط خير الأمور، والحق أنه من أكابر علماء الأمامية وعرفائهم، وكان على غاية من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة، كما سمعناه ممن نثق به (...)^(٢).

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي^(٣) :

(ناموس الدهر وتاج الفخر وعلامة العصر، موضح الحقيقة والطريقة، ومحبي الشريعة على الحقيقة، الحكيم الرباني والعارف السبحاني، والفريد الذي ليس له ثانٍ، أعلم العلماء ورئيس الحكماء وقدوة الفقهاء، العارف بالله والمقتفي في مطالبه لأولياء الله، والمتخلق

(١) هو الشيخ محمد حسين بن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، ولد في النجف الأشرف عام (١٢٩٤هـ)، وتوفي عام (١٣٧٣هـ). وعائلة كاشف الغطاء من العوائل العلمية العريقة التي تزعمت الحركة الدينية في النجف لمدة قرن وثمانين سنة.

(٢) الآيات البينات - محمد حسين كاشف الغطاء: ص ١١١.

(٣) الشيخ عبد الله بن معتوق بن درويش بن معتوق بن عبد الحسين بن الحاج مرهون البلادي القطيفي التاروتي، من العلماء البارعين ومراجع الدين، من أشهر المستجيزين منه آية الله المعظم المولى الميرزا موسى الحائري الإحقاقي. ولد عام (١٢٧٤هـ)، وتوفي عام (١٣٦٢هـ).

بأخلاق الروحانيين، والمتمسك بجبل الله المتين، عماد الملة والدين، العلم الأوحدي الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي طاب ثراه (...)^(١).
وقال الشيخ الميرزا علي التبريزي^(٢):

(الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، فخر الأعلام وذخر الأيام، تاج الدهر وناموس العصر، العلامة الأوحدي والفاضل الفهامة الأجد، العالم الرباني والفاضل الكبريائي الصمداني... وكان قدسٌ قليل النطق كثير الصمت، لو نطق فبالحق ولو سكت فعن الباطل، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، مرتاضاً زاهداً، معرضاً عن الدنيا وأهلها، ساعياً في إظهار ما أراد الله من التدبر في آيات النفس والآفاق...) (٣).

الجانب الثاني: تلاميذه

تصدر الشيخ الأوحدي الأحسائي للتدريس في المعقول والمنقول سنيماً طويلاً في كربلاء والنجف والبصرة، وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوین وطهران وكرمانشاه، وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء

(١) أعلام هجر - السيد هاشم الشخص: ج ١ ص ١٨٤.

(٢) الشهيد ثقة الإسلام، الميرزا علي بن الميرزا موسى التبريزي، أحد مشاهير العلماء في العهد القاجاري، ولد عام (١٢٧٧هـ)، وتوفي عام (١٣٣٠هـ).

(٣) مرآة الكتب - التبريزي: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦١.

والبحرين ، وغيرهما من مدن الخليج. وقد تخرج على يديه العديد من العلماء وأهل الفضل في تلك الفترة ، وكان من أهم تلامذته :

١- السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي^(١) ، وهو من أوائل تلامذته ، المتوفى عام (١٢٥٩هـ).

٢- الميرزا حسن بن علي^(٢) ، الشهير بـ (كُوهر) ، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

٣- السيد عبدالله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني ، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

(١) هو آية الله العظمى السيد محمد كاظم بن محمد قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الموسوي المدني الكربلائي ، ترجع أسرة السيد الرشتي إلى عائلة الزُبارة ، وهي بطن كبير من السادة العلوية ، ولد في مدينة رشت ، واختلف في تاريخ ولادته ؛ ف قيل في عام (١٢٠٥هـ) ، وقيل في عام (١٢١٢هـ). وقد خلف ثروة فكرية ضخمة في مختلف المواضيع الإسلامية ، كالعقيدة ، والتفسير ، والفقه ، والأصول ، والعلوم الغريبة ، وعلم الحرف ، وغير ذلك. دس له والي بغداد نجيب باشا سماً في القهوة ، وتوفي عام (١٢٥٩هـ). لرسالة صعودية نزولية (مجموعة رسائل) - الرشتي : ج ٢ ص ٢٣٤. الأنساب - السمعاني : ج ٣ ص ١٢٨. الشيخية - الطالقاني : ص ١١٨-١٣٢. الإجازة - الحائري : ص ٨٦.

(٢) هو آية الله العظمى الميرزا حسن بن علي القزاجه داغي التبريزي ، الشهير بـ كُوهر ، ولد في بلدة (أوج دبين) وهي قرية من قرى (قزاجه داغ) من محال آذربيجان. وقد حظي عند أستاذه الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه) بمكانة رفيعة ، ومنزلة عظيمة. تولى المرجعية في العراق بعد وفاة السيد كاظم الرشتي قدس سره عام (١٢٥٩هـ) .. توفي في مكة المكرمة عام (١٢٦٦هـ). [الشيخية - الطالقاني : ص ٢٢٤-٢٢٧].

٤- الشيخ محمد بن الحسين المامقاني التبريزي^(١)، المعروف بـ (حجة الإسلام)، المتوفى عام (١٢٦٩هـ).

٥- الشيخ الملا هادي بن المهدي السبزواري، صاحب كتاب (المنظومة)، المتوفى عام (١٢٨٩هـ).

٦- السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي، المتوفى عام (١٢٢٧هـ).

٧- الشيخ علي نقى بن الشيخ أحمد الأحسائي، المتوفى عام (١٢٤٦هـ).

٨- الشيخ محمد تقى بن الشيخ أحمد الأحسائي.

وغيرهم الكثير من العلماء والفضلاء.

وقد نال بعضهم إجازة من الشيخ الأوحى (أعلى الله مقامه)،

ومنهم:

١- الشيخ أسد الله التستري الكاظمي، صاحب كتاب (المقابس)،

المتوفى عام (١٢٣٤هـ).

(١) هو آية الله العظمى الشيخ محمد بن الحسين بن زين العابدين بن علي بن إبراهيم المامقاني التبريزي، عرف بالزهد والورع وعزوفه الشديد عن الدنيا ولذاتها، وهو من الذين ناظروا الباب وحكموا بكفره، توفي في تبريز عام (١٢٦٩هـ) ودفن في مزار السيد إبراهيم الواقع في محلة شتران دوه جي. [الشيخية - الطالقاني: ٢٢٨-٢٣٠].

٢- الشيخ إبراهيم الكلباسي ، صاحب كتاب (الإشارات) ، المتوفى عام (١٢٦١هـ).

٣- السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي ، المتوفى عام (١٢٥٩هـ).

٤- الميرزا حسن بن علي ، الشهير بـ (كوهـر) ، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

٥- السيد عبد الله بن السيد محمد شبررضا الحسيني ، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

٦- الشيخ مرتضى الأنصاري ، صاحب كتاب (المكاسب) ، المتوفى عام (١٢٨١هـ).

٧- الشيخ محمد بن الحسين المامقاني التبريزي ، المتوفى عام (١٢٦٩هـ).

٨- الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي ، المتوفى عام (١٢٤٦هـ).

٩- الشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي .

١٠- الشيخ محمد حسن النجفي ، صاحب كتاب (جواهر الكلام) ، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

النقطة الثالثة : مصنفاته

خلف الشيخ الأوحدي الأحسائي العديد من الآثار الفكرية في مختلف العلوم والمعارف ، من كتب ورسائل وشروحات وأجوبة وغيرها^(١) .
وقد اختلف في عددها :

فيذكر آية الله المولى المعظم الميرزا عبد الرسول الحائري الأحقائي^(٢) في كتابه "التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحدي" ، ما يقرب من (١٧٣) مصنفًا للشيخ الأحسائي مع شرح مبسط لمحتوياتها^(٣) .

ويذكر رياض طاهر في فهرسته لتصانيف الشيخ الأوحدي الأحسائي : (أن مجموع ما صدر عن المترجم من رسائل وكتب وخطب

(١) ذكر - المعاصر - الأستاذ الدكتور حسن الشيخ في كتابه (آخر الفلاسفة) : أن مصنفات الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (أعلى الله مقامه) قد بلغ عددها (١٨٥) ، من مصنف ورسائل وأجوبة وشروحات وقصائد وغيرها ، وهو أعلى عدد تم رصده لمؤلفاته (أعلى الله مقامه) حتى الآن . آخر الفلاسفة - د. حسن الشيخ : ص ٥٥.

(٢) هو المرجع الديني الراحل المولى آية الله المعظم الميرزا عبد الرسول بن الميرزا حسن بن الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر بن الأخوند محمد سليم الحائري الإحقيقي الأسكوثي ، له العديد من المؤلفات ، أشهرها : "الولاية" ، "التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحدي" ، "تفسير الثقلين" . ولد في الكويت عام (١٣٤٨هـ) ، وتوفي في عام (١٤٢٤هـ) .

(٣) التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحدي - الميرزا عبد الرسول الحائري الأحقائي : ج ١ ص ٢٢٩ .

وفوائد وقصائد (١٥٤)، ومجموع جوابات المسائل (٥٥٥) مسألة، من مخطوط ومطبوع على الأقل^(١).

ويذكر الشيخ أبو القاسم الكرمانى^(٢) في كتابه: (أن مجموع آثار الشيخ أحمد تبلغ (١١٥) رسالة، و(٥) خطب، و(٣٥) فائدة، ومراسلة واحدة، تقع في (٣١) مجلداً، فُقد منها (١١) مجلداً^(٣)).

وأهم مصنفاته وأوضحها لفكره أربعة كتب هي:

١- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

٢- شرح العرشية، لصدر الدين الشيرازي.

٣- شرح المشاعر، للشيرازي أيضاً.

٤- الفوائد وشرحها.

وغير ذلك من الرسالة التي اشتملت على الكثير من إبداعاته

الحكمية.

(١) فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي - رياض طاهر: ص ٣.

(٢) هو الحاج أبو القاسم خان بن الحاج زين العابدين خان بن الحاج محمد كريم خان القاجاري الكرمانى،

ولد في كرمان عام (١٣١٤هـ)، وتوفي عام (١٣٨٩هـ). [الشيخية - الطالقاني: ص ٢٦٦-٢٦٩].

(٣) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مشائخ عظام - الشيخ أبو القاسم الكرمانى: ص ٧٣٥.

النقطة الرابعة: وفاته

توفي الشيخ الأوحى الأحسائي في يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة عام (١٢٤١هـ) في منطقة تسمى (هدية) بين المدينة ومكة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم السلام ^(١).

(١) الدين بين السائل والمجيب - الميرزا حسن الأحقائي: ج ١ ص ١١٠.

المطلب الثاني: تكفير الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني

لم تكن سبل التواصل في السابق متاحة ومتوفرة بالصورة التي هي عليه اليوم ، بحيث يستطيع الإنسان من خلال قنوات التواصل التعرف بسهولة على المدن البعيدة ، وعلى قاطنيها البارزين الذين ساهموا في بناء حضارات بلدانهم في شتى الأصعدة ، وبالأخص والعلماء منهم .

فكانت سفرات الشيخ الأوحـد الأحسائي التي تخللها الإقامة في مدن الحواضر العلمية آنذاك ؛ ككربلاء والنجف والكاظمية وأصفهان - وغيرها ، وكذلك في المدن الأخرى التي مر - أو أقام - بها أثناء ترحاله ؛ كالبحرين والبصرة وسامراء ويزد وكرمان شاه - وغيرها ، أحد أهم الأسباب التي ساهمت في تألق نجمه في الأوساط العلمية ، وذياع صيته بين عامة الناس .

إذ إن للقاءاته بكبار رجال أهل العلم والفضل ، ومجالسه التي كان يعقدها للخاصة وللعمامة لإقامة الدروس ، وللنظر في حاجاتهم ، ولغير ذلك من الأمور التي مثلت أجزاء هامة في كيان كل سفراته ، حملت أوقاتها أحداثاً تاريخية سُجلت في سطور سيرته ؛ كتسابق طلبة العلم

لحضور درسه ، وتقديم أساتذتهم إياه لإمامة الجماعة في مساجدهم الخاصة^(١) ، وكاستقبال الناس له حين وصوله ، وحرارة توديعهم له في حين انصرافه ؛ بل إن بعضهم كان يرجوه للبقاء مدة أطول بين أكنافهم وهو محاط بالعناية والرعاية من قبلهم^(٢) .

فليس من الغريب أن يصل اسم الشيخ الأوحّد الأحسائي بعد كل هذه الشهرة التي حظي بها إلى أعتاب مسامع حاكم إيران في زمانه ، السلطان فتح علي شاه القاجاري^(٣) ؛ فيعجب به قبل أن يراه ، ويصر إصراراً شديداً على لقائه ، فتتوالى منه الدعوات التي اضطر على أثرها الشيخ الأوحّد الأحسائي - بعد إصراره بالرفض - بتلبية طلبه .

فخرج لزيارته من يزد في موكب ضخم انتشر خبر مسيرته بسائر أرجاء البلاد الإيرانية - وغيرها- ، وجرى له التكريم والتعظيم

(١) يقول الميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي : (وكان الشيخ الأحسائي إذا ورد قرية أو مدينة قَدَّمَه علماءها في الصلوات المكتوبة ، وخلقوا له دروسهم إجلالاً لشأنه ، وكانت تعطل أغلب الحوزات التدريسية لحضور العلماء والطلبة في مجلس العالم الرباني لجهة الاستفادة ، والعلماء والأشراف كانوا يتمنون وروده في منازلهم مفتخرين بذلك) لنزهة الأفكار "ترجمة لكتاب / كلمة أي إزهرا در رد مزدوران استعمار" - ميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي : ص ٤٥٠ .

(٢) دليل المتحيرين - السيد كاظم الرشتي : ص ٢١-٢٣ .

(٣) هو فتح علي شاه القاجاري ، ولد في مدينة دامغان سنة (١١٨٣ هـ) ، ثاني سلاطين الدولة القاجاري ، توفي بأصفهان سنة (١٢٥٠ هـ) .

والاستقبال المنقطع النظير في كل المدن التي مر بها ، وخص كذلك باستقبال موكب السلطان والوزراء والأمراء والأعيان وكبار رجال العلم قبيل وصوله بلاط قصر الشاه في طهران^(١).

وبعد وصوله ، سعى السلطان إلى تعظيمه وتبجيله وإنزاله منزلة الكرامة والاحترام الذي لا يوصف ، وطلب منه البقاء بجانبه في طهران ؛ ولكن الشيخ الأوحـد الأحسائي رفض ذلك فراراً من الزعامة وتبعاتها ، وبغضاً للشهرة ؛ فعاد إلى يزد باحترام بعد أن أبدى له السلطان مكانة خاصة لم يشاركه فيها أحد من فطاحل علماء إيران ، فعظم حاله أكثر في نفوس بقية الحكام ورجال الدين والعامـة على كافة طبقاتهم ، وأذعن له الكثير منهم بالتقليد^(٢).

وفي الوقت الذي كانت فيه مكانة الشيخ الأوحـد الأحسائي تزداد يوماً بعد يوم ، وراثته تتوسع في الأرجاء رغم إعراضه عنها ، كانت المؤامرات الخفية تحاك له من طرف بعض المبغضين له ، والخائفين على مناصبهم ومطامعهم الدنيوية ؛ فشهرته قد بلغت مبلغاً يجعلهم يتعجلون في الإطاحة به.

(١) دليل المتحيرين - السيد كاظم الرشتي : ص ١٩ .

(٢) الشيخية - السيد محمد حسن الطالقاني : ص ٦٥-٦٨ .

ولكن الأمر الذي كان يوقفهم هو: من يقدم نفسه لهذه المهمة الخطيرة، فيـدك بشخصية كشخصية الشيخ الأوحـد الأحسائي؟ فالإطاحة به في ذروة المكانة الجماهيرية التي وصل إليها على الصعيد الحكومي والشعبي ليس بالأمر الهين^(١).

فاستغل خصومه الموقف الذي حصل بينه وبين الشيخ محمد تقي البرغاني^(٢) لإشعال فتيل محاربته لتحقيق لهم غايتهم.

حيث إنه لما كان متوجهاً لزيارة العتبات المقدسة في إيران مر على بلدة قزوین، فاعتقد الشيخ محمد تقي البرغاني الذي كان يحتل منصب الزعامة الأعلى وكرسي الرئاسة الدينية فيها آنذاك أنه سينزل في داره من دون دعوة؛ إلا أنه أجاب دعوة تلميذه الأقل منصباً - من البرغاني في قزوین - وهو الشيخ عبد الوهاب القزويني^(٣)، فنزل في داره لما دعاه واستقبله قبل وصوله^(٤).

(١) شيخخكري بايخري - مرتضى جهار دهى: ص ٢٣.

(٢) قتله البابية قزوين في سنة (١٢٦٣هـ)، ولقب بالشهيد الثالث. [أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ١٩٧].

(٣) هو الشيخ عبد الوهاب بن محمد علي القزويني، من تلامذة الشيخ والمجازين منه، توفي عام (١٢٦٠هـ).

(٤) الشيخية - الطالقاني: ص ٩٧.

ولما توافد العلماء والأعيان والعوام على دار القزويني لزيارة الشيخ الأوحـد الأحسائي كان في مقدمتهم البرغاني الذي قال له معاتباً: "إنني أعلم العلماء هنا، وكان من اللازم عليك أن تنزل في داري بدون الحاجة إلى دعوة".

فأجاب الشيخ الأوحـد الأحسائي قائلاً: "إن دعوة المؤمن محترمة شرعاً وإن لم يكن أعلم، وأنا تابع للشرع لا للأعلمية"^(١).
فحقد البرغاني^(٢) على الشيخ الأوحـد الأحسائي من هذا الموقف، إذ اعتبر ذلك خطأ من قدر منزلته ومكانته؛ وهكذا بدأ يتحين الفرصة للإطاحة به.

وكالعادة حينما يحل الشيخ الأوحـد الأحسائي في أي مدينة من المدن أثناء سفراته يتم تقديمه للصلاة في مساجدها، ويفتح المجال لأهلها فيستمع إلى قضاياهم، ويجيب على تساؤلاتهم، ويشرع كذلك في طرح المحاضرات والدروس لعلمائها وعوامها.

(١) شيخخكري بايخكري - مرتضى جهار دهى: ص ٢٣.

(٢) قد يتساءل البعض: لماذا يحقد البرغاني على الشيخ الأوحـد الأحسائي من موقف كهذا؟ فما الضير إذا لم ينزل في داره! الجواب: لقد كان للشيخ الأوحـد الأحسائي مكانة علمية واجتماعية، وكذلك مكانة مرموقة في البلاط القاجاري، ونزوله في دار البرغاني سيزيد من رصيده شهرة البرغاني ومكانته، وسيسلط المزيد من الأضواء على شخصيته؛ فالأمر كما يحدث اليوم فيما لو نزلت شخصية هامة في منزل أحد الناس، فسوف يكون هناك نصيب كبير من أضواء الأعلام المتسلطة على صاحب المنزل.

وبينما هو على ذلك في درسه ، أخذ بالاسترسال في طرح أفكاره ومعتقداته في قزوين بصورة طليقة من دون أية قيود أو احترازات ، تناول فيها هذه المسائل الأربع : مسألة العلم ، مسألة العلل ، مسألة المعراج ، ومسألة المعاد.

فاغتنم البرغاني الفرصة للانتقام منه ، وقام بإضافة وتحريف بعض معاني كلماته ونشرها بين العوام ، مدعياً فيها أن للشيخ الأوحـد الأحسائي آراء مخالفة للضروريات الشرعية ؛ كالغلو في الأئمة ، وإنكار المعاد الجسماني. فكفر البرغاني الشيخ الأوحـد الأحسائي^(١).

وازداد الأمر سوءاً حينما بادل الشيخ الأوحـد الأحسائي زيارة البرغاني له ، فنزل في داره ضيفاً مع عدد من العلماء.

ومع تلك الجموع وبين أطراف الحديث سأله البرغاني عن رأيه في المعاد الجسماني ، وهل هو موافق لرأي الملا صدرا الشيرازي؟

فأجاب الشيخ الأوحـد الأحسائي : " رأيي مخالف له " .

وأوضح له رأيه في ذلك المجلس ، وكيف أن المعاد يكون بالجسد الثاني (الجسد الأصلي) المتكون من العناصر الحسية لأرض عالم هورقليا ، وهو غائب في الجسد الأول المتكون من المواد العنصرية

(١) شيخخكري بابيكري - مرتضى جهار دهلي : ص ٢٣-٢٤ .

لأرض عالم الدنيا، وأكد له مراراً على أن المعاد هو هذا الجسد المرئي الملموس في الدنيا، غير أنه يكسر ويصاغ صيغة لا تحمل معها الفساد^(١).

إلا أن البرغاني استخدم حيلة تشابه المصطلح الذي استعمله كلاهما - الملا صدرا الشيرازي والشيخ الأوحـد الأحسائي - في مسألة المعاد الجسماني "مصطلح هورقلياً"^(٢)؛ لإقناع الحاضرين بأن لهما نفس الرأي؛ أي: إنه نسب للشيخ الأوحـد الأحسائي القول بالمعاد الهورقليائي (الروحاني أو المثالي)، كقول الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد الجسماني عقلاً.

فقال له: "الجسد الهورقليائي غير الجسد العنصري الذي يعاد في يوم القيامة"^(٣).

(١) رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٤٧٥.

(٢) استخدم الملا صدرا الشيرازي هذا المصطلح في كتبه، كما في قوله: (العالم العنصري الذي فيه جابلقا وجابر صا ثم إلى هورقلياً أفلاك عالم المثال). [المبدأ والمعاد - الملا صدرا الشيرازي: ص ٥٢٢]. واستخدم الشيخ الأوحـد الأحسائي هذا المصطلح أيضاً كما سيأتي لاحقاً، ولكن المرادات فيه تختلف بينهما.

(٣) إن استخدام الفلاسفة والحكماء وغيرهم لمصطلح هورقلياً في مسألة المعاد وغيرها لا يعني ذلك بأن لهم نفس الرأي، فهناك فرق كبير بين رأي الملا صدر الشيرازي في المعاد وبين رأي الشيخ أحمد الأحسائي وإن استخدم كلاهما هذا المصطلح في نفس المسألة.. ولمعرفة مراد الشيخ أحمد الأحسائي من مصطلح هورقلياً، انظر كتابنا (عالم هورقلياً عند الشيخ الأوحـد أحمد ابن زين الدين الأحسائي)، فقد بحثنا هذا الأمر بصورة وافية.

فأجابه الشيخ الأوحـد الأحسائي - بناءً على ما يقصده من معنى هورقلياً في رأيه في مسألة المعاد -: "وهذا هو عين مرادي".

فاشتد النزاع في ذلك المجلس ، وانتهى بمخاصمة القوم للشيخ الأوحـد الأحسائي .

ولما انفض مجلسهم اختلف موقفهم معه ؛ فبعدما كان محاطاً بالجموع ومقديماً للإمامة في الصلاة لم يذهب معه في تلك الليلة إلى المسجد إلا تلميذه الشيخ عبدالوهاب القزويني .

فحاول حاكم قزوين الشاه زادة ركن الدولة علي نقي^(١) التدخل وإيجاد حل حاسم للموقف ، فأقام مأدبة جمع عليها الشيخ الأوحـد الأحسائي والشيخ تقي البرغاني مرة أخرى ؛ إلا أن محاولته لم تثمر في تصفية الأمور ورد الأوضاع إلى نصابها ؛ إذ إن البرغاني ما زال مصراً على تكفير الشيخ الأوحـد الأحسائي في هذه المسألة بالذات (مسألة المعاد الجسماني).

فاشتعلت النار التي كان ينتظرها خصومه ؛ فما إن كفره البرغاني إلا وثارت الزوبعة حوله ، ومنها انتشر خبر تكفيره في سائر الأقطار^(٢) .

(١) لم أجد ترجمة له .

(٢) قصص العلماء - التنكباني : ص ٢٦٢٥ .

وهكذا انطلقت شرارة أولى المؤاخذات عليه ، وهي تكفيره في مسألة المعاد الجسماني ، فإنها النقطة الجوهرية في بداية الصراع الذي نشب ضده ، وأبرز ما تذرعه به خصومه في كيل التهم إليه في عصره ، وهي كذلك المؤاخذه التي باتت في صدارة دولا ب الزمان السالف بعد هذه الحادثة كمحارب يعتكف فيه كل من يهدف للمساس بسلامة عقيدته ومذهبه ؛ فنجد جميع الكتابات والخطابات - وغيرهما - المصوغة لعدائه تكاد لا تخلو منها.

وبغض النظر الآن عن مكانة خصومه ، وتوجهاتهم وتطلعاتهم في تكفيره في مسألة المعاد الجسماني ؛ فهناك عدة أمور وجب لفت النظر إليها في صلب موضوع هذا المطلب ، وهي :

الأمر الأول : من المعلوم أن الشيخ الأوحـد الأحسائي كُفِّرَ في غير مسألة المعاد الجسماني ، أو أخذ عليه عدة مؤاخذات أخرى - جميعها باطلة^(١) - ، كما في مسألة الغلو في الأئمة المعصومين عليهم السلام ، ومسألة العلم ، ومسألة المعراج ، وغيرها^(٢).

(١) انظر / كتاب إحقاق الحق - للميرزا موسى الحائري الإحقاقي ، فقد أورد المسائل التي كفر فيها الشيخ الأوحـد الأحسائي ، وأجاب عنها بإجابات شافية وكافية في رد جميع الشبهات حولها.

(٢) انظر كتاب : فتاوى في الشيعة - جمع وإعداد : السيد مهدي الموسوي : قم - دار زين العابدين ، الطبعة الأولى (٢٠١٦م).

ولكن ؛ لماذا انطلق خصومه من هذه المسألة بالذات في تكفيره؟
ولماذا تحتل دائماً المرتبة الأولى في العداء ضده؟
الجواب: لقد ذكرنا سابقاً أجزاءً من المكانة التي حظي بها الشيخ
الأوحى الأحسائي ، وحتماً إن الإطاحة بشخصية كهذه تحتاج إلى أمر له
مزايا فريدة ، ولم يتوفر ذلك إلا في مسألة المعاد الجسماني ؛ إذ إنها:
١- إن الإيمان بالمعاد الجسماني من الضروريات التي يجب على
المسلم الاعتقاد بها في أصول العقيدة ، أما المسائل الأخرى التي أخذت
على الشيخ الأوحى الأحسائي^(١) ، فإن البعض قد يراها ليست من
ضروريات الإيمان ؛ لأنها - لدى من يرى بذلك - تقع صغرى في المسائل
الاعتقادية ، وليس في كبرها.

فمثلاً: الكل يرى أنه من الواجب والضروري الإيمان بإمامة الأئمة
الاثني عشر عليهم السلام ؛ لأن الإمامة أصل من أصول العقيدة ، أما مقاماتهم
النورانية وما تشتمل عليه من أمور كالولاية التكوينية مثلاً ؛ فإن البعض
يرى الإيمان بها ليس من الضروريات المذهبية^(٢) ، بل يكفي في المعرفة

(١) كمسألة الغلو في الأئمة عليهم السلام (التفويض) ، ومسألة كونهم العلل الأربع وما يرتبط بذلك كالولاية
التكوينية والتشريعية ، ومسألة المعراج ، وغيرها.

(٢) فلسفات إسلامية - الشيخ محمد جواد مغنية: ص ١٦٤ . التنقيح في شرح العروة الوثقى - تقرير بحث السيد
الخوئي / تأليف: الميرزا علي التبريزي الغروي: ج ٢ ص ٧٤.

والإيمان الاعتقاد بكبرى القضية الكبرى - وجوب الاعتقاد بإمامتهم عليهم السلام ، وإن كان المعرفة والإيمان بغير ذلك من صغرياتها مما يرقى العبد في مراتبه^(١).

فأثر مسألة المعاد الجسماني من هذه الناحية أبلغ في الإطاحة به ؛ لأنها من الضروريات المتفق عليها عند الجميع ، على خلاف غيرها من المؤاخذات التي أخذت عليه ؛ لكون البعض لا يراها كذلك.

٢- تعتبر مسألة المعاد الجسماني من المسائل العقائدية الصعبة في ساحة الفكر بشكل عام ، وقد مر بنا في تحقيقات الفصول السابقة كيف أن فطاحة المعقول - كابن سينا مثلاً - عجزوا عن إثبات كيفيتها عقلاً ؛ فما بالك بالذين هم أدنى رتبة في التحقيق كعوام الناس . ولهذه المزية ؛ أي : لصعوبتها ، ولدقتها ، ولاحتوائها على العديد من الأمور المستعصية على الجميع ، كالنظريات المختلفة ، والمصطلحات ، وغيرهما ؛ أصبح التضييل فيها أكثر جدوى وتأثيراً من غيرها.

٣- بغض النظر عن الأدلة والإثباتات التي جاءت من الناحية الشرعية في إثبات كيفية المعاد الجسماني ؛ فإن فهم الدليل العقلي واستنباطه منها ليس متاحاً للجميع ، بل مقتصرأ على الأملعي

(١) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية - الشيخ فاضل الصفار : ج ١ ص ٢٤ .

الأوحدى ، العالم العارف بأدلة الحكمة الموصلة إلى حقائق الأشياء على ما هي عليه .

٤- عدد الأدلة والإثباتات الشرعية التي جاءت في المسائل الأخرى التي أخذت على الشيخ الأوحد الأحسائي ؛ أكثر وأوضح بكثير في النصوص الشرعية - الكتاب والسنة - من عددها ووضوحها في إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً .

الأمر الثاني : من الواضح أن مستوى النقد الفلسفي لدى بعض خصوم الشيخ الأوحد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني ؛ افتقر بشكل كبير إلى الموضوعية الدقيقة الواجب توفرها في الصناعة الجدلية ؛ وذلك لأن :

١- البعض من منتقدي الشيخ الأوحد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني قد غفل - وخصوصاً اليوم - عن أمر هام في طيات مسارها التاريخي ، وهو الأساس الذي أسند إليه أمر تكفيره فيها سابقاً . حيث إنه من الثابت تاريخياً ، أن الشيخ البرغاني - ومن سقط فريسة لمنطلق عدائه - استخدم حجة المماثلة المستندة على قول الملا صدرا الشيرازي الذي كان ثابتاً لديهم قوله بالمعاد الهورقليائي (أو المعاد الروحاني) لتكفير الشيخ الأوحد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني ؛

واليوم نجد بعض الذين يكون العداء للشيخ الأوحـد الأحسائي في هذه المسألة يقرون ويسلمون برأي الملا صدرا الشيرازي فيها.

والناظر المنصف في هذه الحجة يسأل عن أمر هذه الاحتمالات :

الأول : إن جاء إقرارهم وتسليمهم برأيه من باب أنه يقول - أي : الملا صدرا الشيرازي - بالمعاد الروحاني ؛ فلا يحق لهم خصومة الشيخ الأوحـد الأحسائي في ذلك ، على فرض تماثل الرأيين .

الثاني : إن جاء إقرارهم وتسليمهم برأيه من باب أنه يقول بالمعاد الجسماني من الناحية الشرعية - كما حققناه سابقاً ؛ فلا يحق لهم أيضاً خصومة الشيخ الأوحـد الأحسائي ؛ لأنه قائل به أيضاً من هذه الناحية . بل إن جميع الفلاسفة الإلهيين يقرون ويسلمون بالمعاد الجسماني شرعاً ، إمكاناً وإثباتاً لكيفيته ، وقد مر ذلك في تحقيقنا سابقاً .

الثالث : إن جاء إقرارهم وتسليمهم برأيه من باب أنه قائل به عقلاً ؛ فدونهم خرط القتاد .

وعلى ذلك ، فإن اتخاذهم لرأي الملا صدرا الشيرازي للإطاحة بالشيخ الأوحـد الأحسائي ، لهو أكبر دليل على عدم تمكنه - الملا صدرا الشيرازي - من إثبات كيفيته عقلاً ، وهو من المتفق عليه سابقاً وحالياً كما مر في أقوال العلماء في رأيه الحقيقي .

٢- من المعلوم أن هناك جمعاً من الفلاسفة الإلهيين ذهبوا إلى القول بالمعاد الروحاني ، والكثير منهم له عبارات صريحة بذلك ؛ بل لبعضهم عبارات أصرح في إنكار المعاد الجسماني ولم يتخذ ذلك كحجة ومبرر يسوغ لمن أراد تكفيرهم أو التشهير بهم ؛ بل ما نجده هو التماس الأعذار للبعض منهم ، وتوجيه عباراتهم إلى ناحية المرادات المتطابقة مع ما جاء به الشرع. في حين أن الشيخ الأوحى الأحسائي لم يذهب إلى القول بالمعاد الروحاني فقط ، ولا توجد له عبارات في إنكار المعاد الجسماني لا من قريب ولا من بعيد ، بل إنه انتقد القائلين بغير ذلك ؛ فكيف يحكم عليه بإنكار المعاد الجسماني دون غيره؟ ويتخذ هذا الأمر كحجة وذريعة للإطاحة به؟

فهذه تعتبر فجوة عظيمة في نقدهم تبين أن هناك عداءً أعمى يؤخذ عليه الشيخ الأوحى الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني - وغيرها - ، ولا يمكن اعتبارها في الطروحات النقدية العلمية ، ولا في غيرها ؛ لعدم جري القاعدة على الجميع دون استثناء.

الأمر الثالث : إن عدم التخصصية الدقيقة في حقل الفلسفة ، والاعتماد على السطحية في الفهم الفلسفي من دون سبر أغوار المسائل

والتمييز بينها ؛ سيؤدي حتماً إلى الاضطراب في الوصول إلى حقيقة الآراء بشكل أو بآخر.

ومسألة المعاد بشكل عام وإن كانت مسألة دينية بحتة ؛ إلا أن الفلسفة تناولت أطرافها بعمق ، وشرعت فيها المصطلحات والنظريات العديدة.

وبما أن الشيخ الأوحّد الأحسائي من الفلاسفة الإلهيين الذين أرسوا قواعد لمدرسة خاصة بهم ، وهؤلاء لهم ذوق خاص في فنهم يجرون عليه عباراتهم كما هو الحال في جميع العلوم والفنون ؛ إلا أنه اتخذ منهجاً حكماً خاصاً به أيضاً ، اشتمل على مبانٍ ومصطلحات^(١) لم تكن معهودة في الفلسفات السابقة^(٢).

فعدم الإلمام بخطاب الجانب الفلسفي بشكل عام ، وبمبانيه ومرتكزات حكمته ، وبمذاقه وأسلوبه الحكمي بشكل خاص ؛ سيؤدي

(١) انظر / كتاب شرح الفوائد للشيخ الأوحّد الأحسائي ، فقد بين فيه جملة كبيرة من مباني منهج مدرسته ، وكذلك الكثير من المصطلحات الخاصة التي استخدمها.

(٢) يقول الشيخ الأوحّد الأحسائي راداً على من لم يفهم كلماته في مسألة المعاد الجسماني بسبب اصطلاحه الخاص : (أما بعد ، فيقول أحمد بن زين الدين ، أعلم أيها الناظر في كتيبي ورسائلي ، أنني - بعون الله وتوفيقه - ما كتبت فيها إلا ما فهمته على نحو اليقين أنه مذهب أهل العصمة عليهم السلام ، وما تتوهمه مخالفاً من كلامي فليس منافياً لدليل العقل والنقل معاً ؛ ولكنه اصطلاح غير مأنوس عندك). لرسالة في بيان اصطلاح المصنف في الجسم والجسد "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي : ج ٣ ص ٥٠٥.

حتماً إلى عدم فهم الدقائق والحقائق في المسائل التي تعرض لها، ومنها نظريته في مسألة المعاد الجسماني^(١).

وتحقيقات جملة كبيرة من ناقيديه في هذه المسألة لا تخلو من قصر الباع في مشربه، وعلى ذلك لا يمكن استظهار رأيه الحقيقي من كلماتهم، ولا يمكن القبول بالحكم ما دام مفتقراً إلى أحد الركائز الهامة في أساسيات النقد العلمي، وهو التخصصية العميقة المفضية إلى الاطمئنان.

(١) يقول الشيخ الأوحدي الأحسائي: (أما بعد: فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين، إن بعض الأخوان أنهى إليّ اعتراضاً من بعض العلماء الأعلام على بعض كلمات لي في بيان أحوال الإنسان وذكر الأجسام والأجساد فيما يتعلق بأمر المعاد، والأصل في الاعتراض عدم معرفة مرادي من كلامي). لرسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٥٣ ص ٤٦٩.

المطلب الثالث: بعض نصوص الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني

كل من لديه إمام بنظريات ومذاق الشيخ الأوحـد الأحسائي الحكمي ، يدرك أنه في جميع كلماته التي ساقها في مسألة المعاد الجسماني - وغيرها - ، لم يكن متحفظاً عن التصريح برأيه الحقيقي ، أو مراوفاً في حين بيانه ، وكذلك لم يتبرأ أو يتراجع عنه بعد تكفيره ؛ كما اعتقد بذلك البعض ومنهم السيد محمد حسن الطالقاني^(١) في كتابه الشيخية^(٢).

بل إن رأيه في جميع كلماته السابقة هي هي ، لها معنى واحد وإن اختلفت في أسلوب الطرح ، أو في درجة البيان والوضوح ؛ وذلك لأجل أمور من أهمها مراعاة المقام العلمي للسائل من حيث وجوب إظهار العبارة أو الاكتفاء فقط بالإشارة ، وكذلك موطن الحديث وما يرتبط به مقدماً وتالياً من الأفكار ، وغير ذلك.

(١) هو السيد محمد حسن بن عبد الرسول بن مشكور آل الطالقاني النجفي ، ولد في سنة (١٣٥٠هـ) وتوفي في سنة (١٤٢٤هـ) ، رجل دين له العديد من المؤلفات من أهمها : الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها ، سعادة المتألق في توضيح حاشية المنطق ، التواريخ المنظومة ، وغيرها .

(٢) انظر / الشيخية - الطالقاني : ص ٢٦٠-٢٥٧ .

وحتى نقف على هذا الأمر، وجب نقل بعض نصوصه في مسألة المعاد الجسماني^(١).

النص الأول: رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني

يقول الشيخ الأوحى الأحسائي: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين: إن بعض الأخوان أنهى إليّ اعتراضاً من بعض العلماء الأعلام على بعض كلمات لي في بيان أحوال الإنسان، وذكر الأجسام والأجساد فيما يتعلق بأمر المعاد، والأصل في الاعتراض عدم معرفة مرادي من كلامي؛ فطلب مني بيان ذلك في وقت كنت في أهبة السفر، ولا توجه لي بفكر ولا نظر، ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور، وإلى الله ترجع الأمور، وجعلت عبارته أصلح الله أحواله متناً، وجوابي له شرحاً أو كالشرح؛ ليتبين به المراد، ومن الله التوفيق والسداد.

(١) للشيخ الأوحى الأحسائي نصوص كثيرة في بيان رأيه الحقيقي في مسألة المعاد الجسماني، نقلنا محل الشاهد منها، وجاء النص الأول مطوَّلاً لتكفي بما فيه مما أعرضنا عن نقله في غيره من النكات الجانبية المبينة للدقائق والحقائق في رأيه.

قال : نستدعي من رئيس المشائخ ، وقطب الأفاضل ، أن يبين لنا توضيح ما اعترض على بعض الأجوبة المنسوبة إلى جنابكم عن سؤال المعاد الجسماني .

فقد ذكرتم في الجواب : أن للإنسان جسمين وجسدين ، والجسد الثاني مركب من العناصر الأربعة الموجودة في عالم الطبيعة المحسوسة ، وفي المعاد بعد الموت لا تعود الروح إلى هذا البدن العنصري الطبيعي المركب من الأخلاط الأربعة إذ لا حس له ولا شعور .

أقول : اعلم هداك الله تعالى إني ما ذكرت إلا ما هو رأي الأئمة عليهم السلام ، ومن يعترض إنما اعترض على الأئمة عليهم السلام ؛ فلذا قال ما قال ، مع أنني لم أقل من هذا شيئاً ؛ ولكنه ما فهم مرادي .

ومعنى كلامي ومرادي هو : أن الإنسان له جسدان وجسمان : الجسد الأول مركب من العناصر الأربعة المحسوسة ، وهو الآن في هذه الدنيا عبارة عن الكثافة العارضة ، وفي الحقيقة هو الجسد الصوري ، ومثاله الخاتم من الفضة مثلاً ، فإنه إذا كان عندك خاتم من فضة فإن صورته هي استدارة حلقته ، وتركيب موضع الفص المركب منه مثلاً ، فإذا كسرتة وأذبتة وجعلته سبيكة ، أو سحلتة بالمبرد وجعلته سحالة ، ثم بعد ذلك صغت تلك الفضة - أعني السبيكة أو السحالة -

خاتماً على هيئته الأولى ، فإن الصورة الأولى التي هي الجسد الصوري لا تعود ؛ ولكن صغته على صورة كالأولى ، فهذا الخاتم في الحقيقة هو ذلك الخاتم الأول بعينه من حيث مادته ، وهو غيره من حيث صورته .

ونعني بالجسد العنصري الذي هو الكثافة البشرية هذه الصورة التي هي الجسم الصوري ؛ لأن اعتقادنا الذي ندين الله به ، ونعتقد أن من لم يقل به ليس بمسلم ، هو أن هذا الجسد الذي هو الآن موجود محسوس بعينه هو الذي يعاد يوم القيامة ، وهو الذي يدخل الجنة أو النار ، وهو الخالد الذي خلق للبقاء ، وهو الذي نزل إلى هذه الدنيا من ألف ألف عالم حتى وصل إلى التراب ، ثم أخذ ليصعد من النطفة والعلقة والمضغة والعظام ، وهكذا صاعداً في مقابلة تلك العوالم ألف ألف رتبة من الترقى إلى آخرها لا انتهاء له ، فهي باقية بقاء الله سبحانه بلا نهاية .

فهذا الجسد المحسوس هو بعينه المعاد ، وهو بعينه متعلق الثواب والعقاب ، لا يشك في ذلك إلا من يشك في إسلامه ؛ لأن هذا من أصول الإسلام ، ولكن أصله مادة نورية كلما نزلت جمدت مثل الحجر الأسود الذي كان في الأصل ملكاً فلما نزل كان حجراً ، ومثل

جبرائيل عليه السلام الذي هو جوهر مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية، فإذا نزل لبس صورة دحية الكلبي أو غيره.

فكذلك هذا الجسم كان نورياً مجرداً عن المادة العنصرية والمدة الزمانية، فأخذ يتنزل إلى أن وصل إلى الزمان والعناصر فلبس هيئتها وكثافتها، أعني الصورة المعبرة عنها بالمادة العنصرية والكثافة البشرية، مثل الماء الذي هو لطيف، فإذا جمد لبس الصورة الثلجية، فإذا ذاب عاد إلى أصله من غير أن يختلف إلا محض الصورة المعبر عنها بالجسد العنصري، فإذا جمد ذلك الماء مرة ثانية لم يعد إليه الجمود الأول، وليس جموداً ثانياً، مع أنه بعينه هو ذلك الماء لم يتغير مع أنه قد تغير جموده.

وهذا هو مرادنا بذهاب الجسد الأول الذي لا يعود، فالموجود في الدنيا بعينه، وهو المرئي بالبصر هو جسد الآخرة بعينه؛ لكنه كسر في أرض الجرز وأرض القابليات، وصيغ في العقول معنى، ثم صيغ ذلك المعنى في رتبة الأرواح رقيقة، ثم صيغت في النفوس نفساً، ثم كسرت في الطبيعة طبيعة، وحصصت حصصاً في جوهر الهباء، وتعلقت بها الصور في المثال، ثم كسرت في محدد الجهات، ومنه إلى الرياح، ومنه إلى السحاب، ومنه إلى المطر والأرض والنبات، ثم صيغت نطفة ثم

علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم كسي لحماً وأنشئ خلقاً آخر فكان إنساناً في هذه الدنيا، ثم كسر في القبور، ثم يصفى في الأرض، بمعنى أن الأرض تأكل جميع ما فيه من الغرائب والأعراض والكثافات المعبر عنها بالجسد العنصري، ويخرج يوم القيامة هذا الجسد بعينه، أعني الموجود في الدنيا بعينه هو الذي يخرج يوم القيامة بعد أن يصفى.

ومعنى قولنا: بعد أن يصفى هو أن يذهب عنه الجسد العنصري، ومعنى قولنا: هو أن يذهب عنه الجسد العنصري، يعني يذهب عنه الكثافات الغريبة، وهي الصورة الأولى؛ لأنه إذا صيغ ثانياً لا تعود الصورة أولى، فافهم.

فهذا مرادي وأبرأ إلى الله تعالى من غير هذا، وهذا هو مذهب أئمة الهدى عليهم السلام، إن افتريته فعلي إجرامي، وأنا بريء مما تجرمون، وروى الطبرسي في الاحتجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، بسنده إلى حفص بن غياث قال: شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقال: ما ذنب الغير؟ فقال عليه السلام: (ويحك هي هي، هي غيرها)، قال: فمثل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا، قال: (نعم، أرايت لو أن رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها؛ فهي هي، وهي غيرها).

وفي تفسير علي بن إبراهيم قيل لأبي عبد الله عليه السلام: كيف تبدل جلودهم غيرها؟ قال: (أرأيت إذا أخذت لبنة فكسرتها ثم صيرتها تراباً ثم ضربتها في قالب، أهي كانت أم غيرها، إنما هي ذلك وحدث تغير آخر، والأصل واحد) انتهى.

وهذا بهذا المعنى كثير في الأخبار، مع أن الله تعالى قال: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، وهو يريد أنها إذا احترقت أعادها بعينها؛ إلا أن صورتها الأولى ذهبت، وأحدث صورة غيرها مثل الأولى بحيث صدق بها التغير، مثل ما مثلنا لك في الخاتم، مع أنه هو بعينه حقيقة مع صدق التغير، فافهم.

وأما قوله: والجسد الثاني مركب من العناصر الأربعة الموجودة في عالم الطبيعة المحسوسة؛ فهو غلط، ومعاذ الله أن أقول ذلك، ولكن المعارض غفل عن قولي؛ فليراجع.

وإنما قلت: إن الجسد الثاني هو الباقي في القبر مستديراً إلى أن يخلق منه ثانياً، كما خلق أول مرة مثل ما مثلت بالخاتم، فإنه صيغ من الفضة، وبعد أن كسر ذهبت الصورة والهيئة التي هي بمنزلة الجسد الأول، أعني العنصري، وهو الكثافة الغريبة التي هي ليست في الحقيقة من الإنسان.

ألا ترى أن زيدا يمرض ويضعف حتى لا يبقى منه قدر من اللحم، وهو زيد لم ينقص ولم يتغير، ويصح ويسمن حتى يكون عشرين مناً، وهو زيد، ثم يمرض ويذهب كل ذلك اللحم، وهو زيد، فهذا الزايد والناقص بحكم الثوب تلبسه وتخلعه، ولا يتعلق به شعور ولا إحساس، وفي الحقيقة هو الصورة والكثافة، وهو الجسد الأول الفاني؛ لأنه إنما لحقه في هذه الدنيا.

وأما الجسد الثاني فهو مركب من عناصر أربعة، لكنها ليست من هذه العناصر الزمانية المعروفة الفانية؛ بل هي من عناصر باقية جوهرية، وهي من عناصر هورقليا في الإقليم الثامن الذي فيه الجنتان المدهامتان وجنان الدنيا، وإليها تأوي أرواح السعداء من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، وهذا هو الجسد الثاني، وهو الباقي، وهو الذي نزل إلى الدنيا ولبس الكثافة البشرية العنصرية، وهو بعينه الجسد الموجود في هذه الدنيا؛ إلا أنه عليه غبار ووسخ يعبر عنه بالفارسية بالجرّك وهو البشرية، وهو من العناصر المحسوسة، ويوم القيامة يعود كل شيء إلى أصله.

وهذه الكثافة ليست من الجنة حتى تعود إليها، وإنما هي من هذه الدنيا، فإذا انتقل عاد كل شيء إلى أصله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - في

حديث الأعرابي - للأعرابي عند سؤاله عن النفس فقال: يا مولاي ما النباتية؟

فقال: (قوة أصلها الطبائع الأربع، بدء إيجادها عند مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطائف الأغذية، فعلها النمو والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة)، الحديث.

فافهم قوله عليه السلام: عود ممازجة لا عود مجاورة، حيث دل كلامه عليه السلام على أن كل شيء يعود إلى أصله.

وأصرح منه ما رواه في أصول الكافي بسنده عن الكلبي النسابة قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: ما تقول في المسح على الخفين؟ فتبسم ثم قال: (إذا كان يوم القيامة ورد الله كل شيء إلى بيته، ورد الجلد إلى الغنم، فترى أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم)، الحديث.

والحاصل، أن عود كل شيء إلى أصله مما لا خلاف فيه، فإذا ثبت أن الكثافة من هذه العناصر، وأن الإنسان إنما تعقلت به في هذه الدنيا، وأنه إذا عاد إلى أصله كل شيء لم تصحبه الكثافة إلى الجنة، فمن يشك في هذا من المسلمين، فنسأل الله أن يصلح وجدانه.

ولا تظن أنا إنما نقول: بأن الجسم لا يعود لأنه هذا قول منكري البعث من الكفار وغيرهم، وإنما نريد بالجسد الثاني غير العنصري الذي هو الكثافة.

فالعبرة الحق أن هذا الجسد الموجود في الدنيا هو بعينه جسد الآخرة، فمن قال غير ذلك فليس بمسلم، لكننا نسمي هذا الجسد ونقسمه على أربعة أقسام، فنقول: هذا الإنسان له جسدان وجسمان: فالجسد الأول: من العناصر المحسوسة، ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا؛ لأنه إذا مات وكان تراباً ذهبت هذه الصورة، فإذا أعيد على هذه الصورة بعينها ليست هي الأولى، مثل ما مثلنا لك في الخاتم، ومثل ما مثل الإمام عليه السلام باللبننة، وهذه الصورة هي الجسد الأول الذي لا يعود، وهو مخلوق من العناصر المحسوسة، وهو الكثافة. والجسد الثاني: هو الباقي وهو الذي يعود وهو مخلوق من عناصر هُورقلياً، أعني العالم الذي قبل هذا العالم؛ معناه: ملك آخر، وهذا اسم لتلك الأفلاك، وفي أرضها بلدان جابرسا وجابلقا.

والجسم الأول: هو الذي يلبسه الروح في البرزخ ما بين الموت إلى نفخة الصور الأولى، فإذا نفخ في الصور وبطل كل روح وكل متحرك أربع مئة سنة؛ طهر ذلك الجسم عن أوساخ البرزخ وكثافته بالنسبة إلى

عالم الآخرة، وهذه الكثافات هي مرادنا من الجسم الأول الذي لا يعود. ويبقى الجسم الثاني الجوهرى الصافي حتى تحله الروح وتمضي معه إلى الجسد الثاني بين أطباق الثرى؛ فتدخل بجسمها فيه، فيخرج في النشور من القبور والحساب بجسمه وجسده الصافين، وهما هذا الجسم والجسد الموجود في الدنيا؛ وإنما يطهر، لعن الله من قال بغير هذا فافهم، فإن من لا يفهم المراد الحق من هذه العبارات المكررة المرددة لا ينتفع بغيرها^(١).

النص الثاني: من الرسالة الخاقانية

يقول الشيخ الأوحى الأحسائي: (اعلم أن الذي يلحق بالجنة جنة الدنيا هو الذي يقبضه الملك، وهو الإنسان الحقيقي. وأصل وجوده مركب من خمسة أشياء: عقل، ونفس، وطبيعة، ومادة، ومثال. فالعقل في النفس بما فيها في الطبيعة، والكل في المادة، والمادة بما فيها إذا تعلق بها المثال تحقق الجسم الأصلي، وهو الغائب في العنصري المركب من العناصر الأربعة: النار والهواء والماء والتراب.

(١) رسالة في جواب بعض الأخوان المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٣

وهذا العنصري هو الذي يبقى في الأرض ، ويفنى ظاهره فيها ، وهو ينمو من لطائف الأغذية ، وإنما قلت يفنى ظاهره في الأرض ؛ لأن باطنه يبقى ، وهو الجسد الثاني ، وهو من عناصر هورقليا الأربعة ، وهي أشرف من عناصر الدنيا سبعين مرة ، وهذا هو الذي يتنعم ؛ لأن المؤمن بعد الحساب في قبره يخد له خدّاً من قبره إلى الجنة التي في المغرب يدخل عليه منها الروح والريحان ، وهو قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، والذي يتنعم بهذا الروح هو الجسد الثاني الذي هو العنصري في هورقليا ، وهو في باطن الجسد الأول الظاهري الذي هو من العناصر المعروفة^(١) .

النص الثالث : من رسالة في بيان اصطلاحه في الجسم والجسد

يقول الشيخ الأوحـد الأحسائي : (إن للإنسان جسدين وجسمين : وإن الجسد الأول يتكون من العناصر من كل ما تحت فلك القمر ، يخلق كل شيء من حرارته إلى النار ، ومن هوائه إلى الهواء ، ومن مائه إلى الماء ، ومن ترابه إلى التراب ، وهذا لا يرجع ، فهذا كتبت لأهله ، ومرادي منه والله الشاهد على أنه الجسد التعليمي ، والجسم التعليمي ،

(١) الرسالة الخاقانية "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ الأوحـد الأحسائي : ج ٣ ص ٢٨٧-٢٨٨ .

وهو ذو الأبعاد الثلاثة من دون مادة ؛ كالصورة في المرآة فإنها عرض ، والأعراض الغريبة التي ليست من ذوات الشيء لا تعاد منه ، ألا ترى إلى جلد كتابك إذا كان أحمر ثم عاد يوم القيامة إلى الشاة لا تعود الحمرة معه لأنها أجنبية من الجلد ومن الشاة.

ولا يقال : إنك قلت من العناصر ، وهو يدل على أن المراد الجواهر ؛ لأننا نقول : كل ما في هذه الدنيا مما تحت فلم القمر كلها من العناصر جواهرها وأعراضها ، والأعراض الغريبة من الشيء كلها من العناصر ، ومع ذلك لا تعاد يوم القيامة مع ذلك الشيء إلا سمعته ما كتبت في كثير من كتبي ، فإني كتبت أن الجسم الذي يعاد يوم القيامة لو وزن بهذا المرئي الموجود في الدنيا الملموسة لم ينقص عن هذا الذي في الدنيا قدر ذرة ، ولو كان مرادي به الجسم أو جزءاً منه ولم أرد العرض لكان المبعوث ينقص إذا وزن البتة ، وإن خفي عليك فهم مرادي فانظر في هذه المسألة في كتب العلماء ، كالتجريد وشرحه للعلامة ، وكتب المجلسي مثل حق اليقين ، وغيرهما مما هو متفق عليه بينهم ، وقد أشار سيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث الأعرابي إلى تلك الفضلات التي قال العلماء إنها لا تعاد ، قال عليه السلام حين سأله الأعرابي فقال له : يا مولاي ما النباتية؟ قال : (قوة أصلها الطبايع الأربع ، بدء إيجادها عند

مسقط النطفة ، مقرها الكبد ، مادتها من لطائف الأغذية ، فعلها النمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتولدات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة) ، إلخ. وهو معروف عند أهل الفن ، ومقول لا راد له منهم ، وإلى هذا المعنى الذي أشار إليه ﷺ هو مرادي في قلبي : إنه يلحق كل شيء من حرارته إلى النار ، ومن هوائه إلى الهواء ؛ إلخ. والحاصل ، العاقل المنصف يعرف من هذا الكلام ونحوه اعتقادي في ضميري وفي جميع كتبي ، ولعنة الله على من يعتقد غير هذا الذي كتبه هنا^(١).

النص الرابع : من كتابه شرح العرشية

يقول الشيخ الأوحى الأحسائي : (إن زيدا له جسدان وجسمان : الجسد الأول : هو الظاهر المؤلف من العناصر الأربعة السفلية ، وفيه يشارك الشجر ، وهذا بعد الموت يتلاشى في قبره شيئا فشيئا ، وكل ما تحلل منه شيء لحق بأصله فيمتزج به ، فتلحق ترايته بالتراب فيمتزج به ، وتلحق مائته بالماء فيمتزج به ، وتلحق هوائته بالهواء فيمتزج به ، وتلحق نارته بالنار فتمتزج بها.

(١) رسالة في بيان اصطلاح المصنف في الجسم والجسد "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٣ ص ٥٠٦-٥٠٥.

والجسد الثاني: في غيب الأول، وهو من هورقليا نزل منه، وكل ما انفصل منه وتفرق قرّ في قبره في استدارة محلة وبنيته، حتى تتفرق جميع أجزائه، فيكون في قبره مستديراً، وهو الطينة التي عنها الصادق عليه السلام، بقوله: «تبقى طينته التي خلق منها مستديرة»، ومعنى استدارتها أن تكون أجزاء رأسه مما يلي رأس قبره، وتليها أجزاء رقبته، وتليها أجزاء صدره، وتليها أجزاء بطنه، وتليها أجزاء رجله، حتى لو أكله السمك، أو السباع، أو قطع ووضع في مواضع مختلفة، أو خولف ترتيب أعضائه المقطعة في قبره إذا تفككت أجزاء هذا الجسد الأول من الأجزاء العنصرية وخلصت؛ ترتبت في قبره على هذا الترتيب.

ولو لم يقبر ترتبت في قبره، إذ المراد بالقبر الموضع الذي أخذت منه تربته التي ماثها الملك في نطفتي أبيه وأمه، وما لم يتخلص منها يجمعه الماء النازل من بحر صاد، عند قرب نفخة الصور الثانية، نفخة الفزع، وهذا الجسد تلبسه الروح يوم القيامة.

فإن قلت: ظاهر كلامك هذا أن الجسد الأول لا يعاد، ويلزم منه القول بنفي المعاد الجسماني؟

قلت : ليس حيث تذهب ، لأننا نريد بالجسد الثاني المعاد ، هو هذا الجسد المرئي الملموس بعينه ، وهو جسد الآخرة ، ولكنه يكسر ويصاغ صيغة لا تحمل الفساد والخراب .

وهذه الصيغة الدنيوية تفسد ، فإذا كسرت ذهبت الصورة الأولى ، المعبر عنها بالعناصر التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام ، كما تقدم في حديث النفوس ، قال عليه السلام في النفس النباتية في الإنسان : «فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت ، عود ممازجة لا عود مجاورة» .

والحاصل : نريد بالجسد الأول العنصري ، الأعراض الدنيوية ، فإن الجسد الثاني الذي يحشر فيه لما نزل إلى الدنيا لحقته أعراض عنصرية ، كالثوب إذا لبسته لحقه وسخ عارض ليس منه ، فإذا غسلته ذهب أعراضه ، ولم يذهب منه شيء أبداً ، فتأمل وافهم مذهب أئمتك وهداتك عليهم السلام .

والجسم الأول تخرج به الروح إذا قبضها ملك الموت ، وتبقى فيه إلى نفخة الصور الأولى نفخة الصعق ، وهو المؤلف لقواها في عالم البرزخ ، فإذا نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الصعق ، خلعتهم وبطلت ، وهو أيضاً كالجسد الأول ، عارض من جملة أعراض البرزخ ، لأنه صورة كما مثل الصادق عليه السلام ، كما تقدم : «باللينة

تكسرها»، فإذا جعلتها تراباً ذهب صورتها الأولى، فإذا صغتها في قالبها الأول، خرجت هي بعينها، وباعتبار هي غيرها، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

ولا يجوز في العدل أن يؤتى لهم بجلود غير جلودهم، فتكون معذبة من غير ذنب منها بل بذنب غيرها؛ وإنما هي الأولى بعينها، لكنها لما احترقت ذهب صورتها الأولى، وهي عرض، فلما أعيدت صدق عليها أنها غيرها، باعتبار تغير الصورة وتجدها، مع أنها هي من حيث المادة؛ فالجسد الأول هو الصورة العنصرية، والجسم الأول هو الصورة البرزخية.

ومثاله: إذا كسرت خاتمك، ثم صغته خاتماً كالأول، فإنه لم يذهب منه شيء، فهو هو، وإنما خلع عرضاً، فالعرض هو الجسد الأول في الدنيا، والعرض الثاني هو الجسم الأول في البرزخ. فالنفس مغايرة للجسد الأول الفاني، وللجسد الثاني الباقي، وللجسم الأول الفاني. وأما الجسم الثاني فهو هو، وهو هي^(١).

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٤٨-٢٥٠.

النص الخامس : من كتابه شرح الزيارة الجامعة

يقول الشيخ الأوحـد الأحسائي : (إن الإنسان له جسدان وجسمان : فأما الجسد الأول فهو ما تألف من العناصر الزمانية ، وهذا الجسد كالثوب يلبسه الإنسان ويخلعه ، ولا لذة له ولا ألم ولا طاعة ولا معصية ، ألا ترى أن زيداً يمرض ويذهب جميع لحمه حتى لا يكاد يوجد فيه رطل لحم ، وهو زيد لم يتغير ، وأنت تعلم قطعاً ببديتهك أن هذا زيد العاصي ، ولم تذهب من معاصيه واحدة ؛ ولو كان ما ذهب منه أو له مدخل في المعصية لذهب أكثر معاصيه بذهاب محلها ومصدرها. وهذا مثلاً زيدٌ المطيع لم تذهب من طاعته شيء إذ لا ربط لها بالذهاب بوجه من الوجوه ، لا وجه عليّه ، ولا وجه مصدرية ولا تعلق ، ولو كان الذاهب من زيدٍ لذهب بما يخصه من خير وشر ، وكذا لو عفن وسمن بعد ذلك هو زيد بلا زيادة في زيدٍ بالسمن ولا نقصان فيه بالضعف لا في ذات ولا في صفة ولا في طاعة ولا في معصية).

إلى أن قال : (وأما الجسد الثاني : فهو الجسد الباقي ، وهو الطينة التي خلق منها ويبقى في قبره ، إذا أكلت الأرض الجسد العنصري وتفرق كل جزء منه ولحق بأصله ، فالنارية تلحق بالنار ، والهوائية تلحق بالهواء ، والمائية تلحق بالماء ، والترابية تلحق بالتراب ، يبقى

مستديراً كما قال الصادق عليه السلام، وقال علي عليه السلام في النفس النباتية :
«فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَتْ عود ممازجة لا عود مجاورة»،
وعنى بها الجسد العنصري الذي ذكرنا.

وأما الثاني الباقي هو الذي ذكره الصادق عليه السلام، تبقى طينته التي
خلق منها في قبره مستديرة ؛ أي : مترتبة على هيئة صورته ، أجزاء
رأسه في محل رأسه ، وأجزاء رقبتة في محلها ، وأجزاء صدره في محله ،
وهو تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّآ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ، وهذا الجسد هو
الإنسان الذي لا يزيد ولا ينقص ؛ يبقى في قبره بعد زوال الجسد
العنصري عنه الذي هو الكثافة والأعراض ، فإذا زالت الأعراض عنه
المسماة بالجسد العنصري لم تره الأبصار الحسية ، ولهذا كان رميماً
وعدماً لم يوجد شيء ، حتى قال بعضهم : إنه يعدم ، وليس كذلك ،
وإنما هو في قبره إلا أنه لم تره أبصار أهل الدنيا لما فيها من الكثافة ، فلا
ترى إلا ما هو من نوعها ، ولهذا مثل به الصادق - صلوات الله عليه - بأنه
مثل سحالة الذهب في دكان الصائغ ؛ يعني أن سحالة الذهب في دكان
الصائغ لم ترها الأبصار ، فإذا غسل التراب بالماء وصفاه استخرجها .
كذلك هذا الجسد يبقى في قبره هكذا ، فإذا أراد الله سبحانه بعث
الخلائق أمطر على كل الأرض ماء من بحر تحت العرش أبرد من الثلج

ورائحته كرائحة المني يقال له صاد، وهو المذكور في القرآن، فيكون وجه الأرض بجزراً واحداً فيتموج بالرياح وتتصفي الأجزاء، كل شخص تجتمع أجزاء جسده في قبره مستديرة؛ أي: على هيئة بنيته في الدنيا، أجزاء الرأس، ثم تتصل بها أجزاء الرقبة، ثم تتصل أجزاء الرقبة بأجزاء الصدر، والصدر بالبطن، وهكذا، وتمازجها أجزاء من تلك الأرض، فينمو في قبره كما تنمو الكمأة في نبتها، فإذا نفخ إسرافيل في الصور تطايرت الأرواح، كل روح إلى قبر جسدها فتدخل فيه فتنشق الأرض عنه كما تنشق عن الكمأة فإذا هم قيام ينظرون، وهذا الجسد الباقي هو من أرض هورقليما، وهو الجسد الذي فيه يحشرون ويدخلون به الجنة أو النار).

إلى أن قال: (وأما الجسمان فالأول: هو ما تخرج به الروح وهو مع الروح ويفارق الجسد الباقي، والموت يحول بينهما، وهو مع الروح في جنة الدنيا عند المغرب، وتأتي فيه إلى وادي السلام وتزور فيه بيته ومحل حفرته. وروح المنافق مع ذلك الجسد في نار الدنيا عند مطلع الشمس، وعند غروبها تأوي فيه إلى برهوت، وتسري فيه في وادي الكبريت في المركبات المسخوطات الملعونات).

وذلك حال الفريقين إلى نفخة الصعق، ثم تبطل الأرواح فيما بين النفختين وتبطل كل حركة من الأفلاك، ومن كل ذي روح ونفس حيوانية أو نباتية، وذلك مدة أربعمئة سنة ثم يبعثون في الأجسام الثانية، وذلك لأن تلك الأجسام تصفى وتذهب كثافتها، وهي الأجسام الأولى كما قلنا في الأجساد حرفاً بحرف، ويحشرون في الأجساد الثانية، وهي هذه التي في الدنيا بعينها لا غيرها وإلا لذهب معها ثوابهم وعقابهم، ولكن هذا الجسم الذي في الدنيا هو بعينه هذا المرئي لطيف وكثيف^(١).

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحدي" - الشيخ أحمد الأحساني: ج ٤ ص ٣٨٣.

المطلب الرابع: مسألة المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي

أشرنا سابقاً إلى عدم الخلاف بين الشيخ الأوحـد الأحسائي وبين المتكلمين والفلاسفة - وغيرهم - في أمر ثبوت وإثبات المعاد الروحاني شرعاً وعقلاً.

أما المعاد الجسماني فذكرنا أيضاً بأنه لا خلاف بينه وبينهم في ثبوته وإثباته من الناحية الشرعية ، أما من الناحية العقلية فقد طرح فيه الشيخ الأوحـد الأحسائي مدعى تكون من جزأين ، وهما :

الجزء الأول : عجز المتكلمين والفلاسفة عن إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً ؛ وقد تبين صحة هذا الجزء من مدعاه في أبحاث الفصول السابقة.

الجزء الثاني : توصله في نظيرته إلى إثبات كـيفيته عقلاً.

وفي هذا المطلب ستتحقق من صدق مدعاه في الجزء الثاني ، وننظر في نظريته التي قدمها في مسألة المعاد الجسماني ، والتي اعترض البعض عليها لعدم فهم مراده منها كما سيأتي لاحقاً.

وحتى يكون لدينا إمام بكامل رأيه الحقيقي في هذا المسألة ؛ فالكلام في هذا المطلب سيقع في ثلاث نقاط ، وهي :

النقطة الأولى: نظرية الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني

لا بُدَّ أن يلاحظ أي ناظر في النصوص السابقة التي نقلت من كلمات الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني ؛ بأنه غالباً ما يبدأ ببيان نظريته بقوله : إن للإنسان جسمان وجسدان ، ويحدد بدقة موضع مراده من وقت وعاء هذه العبارة وهو عالم الدنيا ؛ أي : إن الإنسان المرئي المحسوس المشاهد الآن له جسمان وجسدان .

بعد ذلك ، يشرع في بيان مراده من الجسمين والجسدين ، وكيفية حصول ذلك لزيد الظاهر أمامك ؛ متخذاً في صورة البيان وجوهاً مختلفة .

فتارة يقسم الجسمين إلى جسم أول وجسم ثانٍ ، أو جسم عرضي وجسم أصلي ، ويقسم الجسدين إلى جسد أول وجسد ثانٍ ، أو جسد عرضي وجسد أصلي ، وتارة يذكر تنزل النفس الإنسانية في قوس النزول ؛ أي : منذ بداية خلقها في عالم الدهر ، والأكوار والأدوار التي مرت بها حتى وصلت إلى عالم الدنيا فظهرت بالصورة البشرية ، ثم يبين عودها في قوس الصعود ؛ أي : منذ موت الإنسان ، والمنازل والعوالم التي تمر بها النفس الإنسانية في عالم القبر وعالم البرزخ ،

وحتى وصولها إلى النعيم إن كان صاحبها من السعداء ، أو العذاب إن كان من الأشقياء ، وتارة يقتصر في بيانه على الجزء الهام الوارد في الاعتراض على نظريته ، وهو الجسد الفاني (العرضي) ، والجسد الباقي (الأصلي).

وجميع وجوه البيان لا تخلو غالباً من ذكر حقيقة وأصل تكون تلك الأجسام والأجساد ، وما يؤول منها إلى الزوال ، وما هو باق يعاد في يوم القيامة ، ومن إيراد الأمثلة المفصحة والدالة عن مراده ، والأدلة الحكمية والنقلية التي استند عليها في استنباطاته ، وغير ذلك من الأمور التي يسعى من خلالها إلى إيصال وتأکید معاني كلماته بحيث لا يلتبس فهمها على أي كان ؛ فيقع ضحية للاشتباه عليه ، أو الاعتراض على ما جاء به ، ومن ثم الذهاب إلى القول بإنكاره للمعاد الجسماني.

وعلى أي حال ، سيكون الوجه الذي ذكر فيه حركة النفس الإنسانية في قوس النزول ؛ أي : تنزلها ، وحركتها في قوس الصعود ؛ أي : عودتها ؛ هو المتخذ في نظرنا إلى مضمون نظريته في المعاد الجسماني للوصول إلى رأيه الحقيقي فيها.

أولاً: حركة النفس الإنسانية في قوس النزول

يذهب الشيخ الأوحـد الأحسائي إلى أن النفس الإنسانية لها وجوداً دهرى سابق على وجود الأجسام الزمانية^(١)؛ أي: إن لها نشأة غيبية قبل نشأة الشهادة الدنيوية^(٢).

ويبدأ وجودها الغيبي الإمكانى في عالم الخلق من عالم الوجود المقيد^(٣) في ظرف المجردات؛ أي في الدهر^(٤)؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾^(٥).

(١) وهذا الرأي ذهب إليه الكثير من الفلاسفة؛ كأفلاطون، وابن سينا، وغيرهما، والأدلة النقلية والعقلية تؤكد ذلك؛ أي: تؤكد أن للنفس وجوداً سابقاً على البدن أو الجسم؛ وليس كما قال الملا صدرا الشيرازي من أنها جسمانية الحدوث روحانية البقاء. [الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ٨ ص ٣٠٢].

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ١٨.

(٣) يقسم الشيخ الأوحـد الأحسائي الوجودات إلى ثلاثة؛ فيقول: (الوجود المقيد الدائر على ذلك القطب، والقطب هو الوجود المطلق؛ لأن الوجودات ثلاثة: وجود حق، وهو الله تعالى، ووجود مطلق، وهو يدور على الوجود الحق، ووجود مقيد، وهو يدور على الوجود المطلق). [شرح عبارات الشيخ علي بن فارس وأبيات للشيخ محمد بن فيروز "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٢٨٢].

(٤) يقول الشيخ الأوحـد الأحسائي: (إن الزمان في عالم الجبروت؛ أي: العقول، وعالم النفوس؛ أي: الملكوت، هو بعينه الدهر الذي يقولون إنه وعاء المجردات). [رسالة في جواب الآخوند ملا علي "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٠].

(٥) سورة الإنسان: (١).

فيتكون معناها في أوله ؛ أي : العقل من تنزل العقل الكلي (عالم العقول - عالم الجبروت) ، وصورتها في وسطه ؛ أي : النفس من تنزل النفس الكلية (عالم الصور - عالم الملكوت) ، ورقيققتها ؛ أي : الروح من البرزخ الواقع بينهما ؛ أي : من تنزل الروح الكلية (عالم الأرواح)^(١).

ثم تكسر في عالم الطبيعة ، وتحصص في عالم جوهر الهباء^(٢) ؛ فيتكون بعدها حقيقة الجسم^(٣) الأصلي للإنسان ، المخلوق من (نطفة

(١) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي : (العوالم الثلاثة : عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك ، وهذه العوالم الثلاثة هي مجموع عالم الخلق وهو الوجود المقيد). لرسالة في شرح حديث حدوث الأسماء "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ٢٦٣ ، فعالم الخلق أو عالم الوجود المقيد يتكون من ظرف المجردات وهو عالم الدهر (عالم الجبروت وعالم الملكوت) ، ومن ظرف الأجسام وهو الزمان (عالم الملك) ، كما سيأتي.

(٢) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي : (لأن الأشياء لا بد لها في صنعها من كسرين وصوغين : فالكسر الأول : في الماء الأول عند إذابته لقبول الماهية ، التي تسمى بالصورة النوعية ، والامتزاج ؛ أي : انحلال الأجزاء ، وكونها شيئاً واحداً ، وتخصيصه حصصاً مبهمة في العقل ، وأول التخلق والنمو في الروح ، وتنام العقد الأول والصوغ الأول في النفس . والكسر الثاني : في النور الأحمر ، يعني : الطبيعة ، والامتزاج والتخصيص في جوهر الهباء ، والعقد في المثال ، وهو البرزخ ، وهو أول العقد والنمو ، وتنام في هذه الدنيا . وإذا حل حلين وعقد عقدين تم إكسار الإجابة لدعوة الله عند التكليف). لشرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ١٤٩.

(٣) يعبر الشيخ الأوحى الأحسائي في نصوصه عن الجسم الأصلي بالجسم الثاني ، والجسم العرضي بالأول ، وكذلك الأمر مع الجسد الأصلي فيعبر عنه بالجسد الثاني ، والجسد العرضي بالأول ، وحتى يكون الأمر مفهوماً فسوف تقتصر فقط على كلمة الأصلي والعرضي في البيان.

معنوية، ثم نقطة ظلّية، ثم نقطة صورية، ثم نقطة طبيعية، ثم نقطة مادية^(١)؛ أي: ذات مادته الأصلية.

ثم يمر الجسم الأصلي في أثناء تنزله بعالم المثال، وهو عالم هورقليا^(٢): البرزخ^(٣) بين عالم المجردات الروحانية وعالم الزمانيات المادية المحسوسة^(٤). وهذا البرزخ يتكون عالمه العلوي من سماء وأفلاك مجردة؛ لأن وجهه ملاصق لعالم المجردات، ويتكون عالمه السفلي من عناصر لطيفة محسوسة؛ لأن أسفله ملاصق لعالم الملك اللطيف^(٥).

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ١ ص ١٤٩.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أما لفظة هورقليا، فمعناها: ملك آخر؛ لأن المراد به عالم البرزخ، وعالم الدنيا هو عالم الأجسام؛ أي: عالم الملك، وعالم النفوس عالم الملكوت، وعالم البرزخ المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت عالم آخر، فهو ملك آخر؛ يعني: إن عالم الأجسام عالم الملك، وهناك عالم ملك آخر وهو في الأقليم الثامن). لرسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٣ ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) يقول الشيخ الأوحّد الأحسائي: (وعالم البرزخ هذا ظلّ العالم الأخروي، قد مررنا عليه في النزول، ونحن الآن سائرون إلى الآخرة، ونمر عليه في الصعود). [شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٢ ص ٩١].

(٤) شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٢ ص ١٦٤.

(٥) يقول الشيخ الأوحّد الأحسائي: (وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية [يحذو حذو هذا العالم]، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان، والروائح والأصوات، وسائر الكيفيات في كونه مشتملاً على أفلاك، وتسمى تلك الأفلاك "هورقليا"، يعني ملكاً آخر، أي: عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية، وعناصر وأنواع سائر الحيوانات والنباتات، وهذه عالمه السفلي، وهو كما دلت عليه الروايات يشتمل على بلد في المشرق يقال لها: جابلقا، وعلى بلد في المغرب يقال لها: جابرسا). [شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٢ ص ١٧٨].

ومن أعلاه من أفلاكه المجردة يلبس الجسم الأصلي في أثناء نزوله الجسم العرضي^(١)، ومن أسفله من عناصر^(٢) أرضه اللطيفة المحسوسة يتكون الجسد الأصلي^(٣)؛ أي: ذات صورته الأصلية.

ثم تنزل النطفة الباطنة من عالم الروحانيات - أي: يتنزل الجسم الأصلي الكامن في الجسم العرضي الكامن في الجسد الأصلي^(٤) - بعد برزخ عالم المثال فتمر بمراتبها في عالم الشهادة؛ أي: في عالم الملك الكثيف.

(١) يقول الشيخ الأوحده الأحسائي: (الإنسان لما نزل بالجسم الأصلي الثاني الحامل للنفس ومر بعالم المثال لحقه من عالم المثال الجسم الأول، وهذا لا يعود لأنه ليس من الإنسان وإنما هو بمنزلة الوسخ الذي في ثوبك فإنك إذا غسلته ذهب الوسخ ولا يعود). لرسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٤٥١.

(٢) يقول الشيخ الأوحده الأحسائي: (فاعلم أن عالم البرزخ الواسطة بين الدنيا والآخرة، هو عالم المثال الواسطة بين عالم الملكوت وعالم الملك، ويطلقون هورقلبا على أفلاكه وما فيها من الكواكب.. ومن عناصره خلق الجسد الثاني الباقي، وهو طينته التي تبقى في قبره مستديرة). لرسالة في جواب الملا محمد الأناري "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ الأوحده الأحسائي: ج ٣ ص ٤٥٠.

(٣) يقول الشيخ الأوحده الأحسائي: (وهذا الجسد الباقي هو من أرض هورقلبا، وهو الجسد الذي فيه يحشرون، ويدخلون به الجنة أو النار). لشرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ الأوحده الأحسائي: ج ٤ ص ٣٧.

(٤) شرح العرشية - الشيخ الأوحده الأحسائي: ج ٢ ص ١٢٤-١٢٥.

كل بحسبه ؛ فالنطف المؤمنة تنزل من شجرة المزن من عليين بواسطة الملائكة، ثم إلى الرياح، إلى السحاب، إلى الماء، إلى الأرض، إلى النبات، إلى الفواكه والبقول، ومن ثم إلى النطف المؤمنة في الأرحام^(١).

أما النطف الكافرة فتصعد من شجرة الزقوم من سجين بواسطة الملك الحامل لها، إلى الريح العقيم (الأبجرة)، إلى البحر، إلى الحوت، إلى الثور، إلى النيران السبع، إلى الأراضين السبع، إلى أن تصيب البقول والشمار، ومن ثم إلى النطف الكافرة^(٢).

فمن أكل من قطرات شجرة المزن خرج من صلبه مؤمن، ولو كان الآكل لها كافراً، ومن أكل من قطرات شجرة الزقوم خرج من صلبه كافر، ولو كان الآكل لها مؤمناً، وهو مفاد قول أبي عبدالله عليه السلام: «إن في الجنة لشجرة تسمى المزن، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً، أقطر منها قطرة، فلا تصيب بقلة ولا تمرأه أكلها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً»^(٣).

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ١ ص ١٤٩.

(٢) شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٨١.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٤ ص ٨٤ ب ٣/ طينة المؤمن خروجه من الكافر وبالعكس .. ح ٨.

فإذا وصلت النطفة الباطنة إلى النباتات تغيب في النطفة الظاهرية التي يتكون منها الجسد العرضي بعد ترقيقها في مراتبها النباتية ؛ أي : من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام ثم إلى تمام الخلقة ثم إلى الحياة^(١).

وظهور نفوسها - أي : نفوس النطفة الباطنية - من غيب مركبها أو الحامل لها ، أو من غيب النطفة الظاهري - وهي الجسد العرضي المتكون من العناصر النباتية الدنيوية ، والمسمى نفسه بالنفس النباتية - يكون بالقوة في الزمان بعد ما كانت بالفعل في الدهر^(٢) ، فتظهر النفس الحسية الحيوانية الفلكية (نفس الجسم العرضي) من غيب النفس النباتية

(١) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي : (وإنما أنزلها الله تعالى من شجرة المزن ، ووقعت على النبات والبقول ، وسرت في صفو النباتات الذي تتكون منه النطفة الظاهرة ، الحاملة في غيها للنطفة الباطنة ، وترقت النطفة الظاهرة النباتية في رتبة النبات علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كساها لحماً . والنطفة الملكوتية الناطقة غيب في النباتية في أطوارها هذه ، فإذا كسيت لحماً وتمت في بشرها وشعرها ظهرت الكامنة في غيب النباتية ، وهذا الظهور هو الذي سماه أمير المؤمنين عليه السلام بالولادة الجسمانية ، وذلك إذا تم لها أربعة أشهر ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾. اشرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي : (ما بالقوة سابق في الزمان على ما بالفعل ، وما بالفعل سابق في الدهر على ما بالقوة). [الرسالة الرشدية - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٩ ص ١٣٦-١٣٧]. وانظر / شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحى الأحسائي : ج ٢ ص ١٥٧.

بالولادة الجسمانية ؛ أي : بعد أربعة أشهر^(١) ، وتظهر النفس الناطقة القدسية (نفس الجسم الأصلي والجسد الأصلي ، أو مادة وصورة الإنسان)^(٢) من غيب النفس النباتية بالولادة الدنيوية^(٣) .

وهكذا يكون للإنسان المحسوس المشاهد في الدنيا جسمان وجسدان :

أحدهما أصليان ، وهما : الجسم الأصلي : وهو مادته الأصلية (مادة النفس الناطقة القدسية) ، المتكونة من عوالم المجردات^(٤) . والجسد

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ٢ ص ٨١ .

(٢) يقول الشيخ الأوحد الأحسائي : (النفس الناطقة القدسية ، وهي الشيء ؛ أي : الإنسان حقيقته ، وأصله مركب تركيبين في الخلق الأول من وجود وماهية ، وفي الخلق الثاني من مادة وصورة ؛ أي : من وجود ثان ، وهو الخلق الأول كالخشب ، فإنه مركب من مادة وصورة نوعية ، وأما الصورة فهي الماهية الثانية كالسرير المركب من الخشب والهيئة الشخصية ، فالإنسان كالسرير ، وهو النفس الناطقة ، وهو المعبر عنه بآنا ، والمعني بآنت ، وذلك هو الذي من عرفه فقد عرف ربه) . لرسالة في جواب أبي الحسن الجيلاني "تراث الشيخ الأوحد" - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ١ ص ١١٢ .

(٣) يقول الشيخ الأوحد الأحسائي : (وقد كانت النفس الناطقة القدسية غيباً في غيب النطفة النباتية ؛ أي : نطفة معنوية نزلت من شجرة المزن من عليين ، وتعلقت بمادة النطفة الظاهرة ، لأن الناطقة كمنت في الفلكية ، والفلكية كمنت في النباتية ، والنباتية تعلقت بالنطفة الظاهرة ، وتظهر الحيوانية الحسية الفلكية بالولادة الجسمانية عند تمام الأربعة الأشهر ، وبدء إيجاد الناطقة القدسية وظهورها عند الولادة الدنيوية) . لشرح العرشية - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ٢ ص ١١٧٢ .

(٤) ليس هناك شيء مجرد عند الشيخ الأوحد الأحسائي إلا الله سبحانه وتعالى ، وكل حادث فهو مركب من مادة وصورة . [انظر / شرح العرشية - الشيخ الأوحد الأحسائي : ج ٢ ص ١١١] .

الأصلي: وهو صورته الحقيقة (صورة النفس الناطقة القدسية) المتكونة من عناصر أرض هورقليا اللطيفة الحسية^(١).

وثانيهما عرضيان، وهما: الجسم العرضي: وهو عرض لا ذات لحقه أثناء مروره بعالم البرزخ (المثال)، المتكون من أفلاك عالم هورقليا. والجسد العرضي: وهو عرض لا ذات لحقه في هذه الدنيا، المتكون من المواد العنصرية الزمانية^(٢).

ف (هذا الجسم كان نورياً مجرداً عن المادة العنصرية والمدة الزمانية، فأخذ يتنزل إلى أن وصل إلى الزمان والعناصر فلبس هيئتها وكثافتها، أعني الصورة المعبرة عنها بالمادة العنصرية والكثافة البشرية)^(٣).

ويرى الشيخ الأوحـد الأحسائي في نظريته أن الثواب والعقاب يرتبطان بالمادة والصورة الأصلية (الجسم الأصلي والجسد الأصلي)

(١) لأن جنان ونيان الدنيا الموجودة في أرض عالم هورقليا التي خلقها منها الجسد الأصلي محسوسة، فحسية الجسد الأصلي عند الشيخ الأوحـد الأحسائي ظاهر. لانظر/ شرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ١٨٠.

(٢) يقول الشيخ الأوحـد الأحسائي: (فالعرض الأول هو الجسد الأول في الدنيا، والعرض الثاني هو الجسم الأول في البرزخ). [شرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٥٠].

(٣) رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٣ ص ٤٧١.

وليس بالأعراض البرزخية (الجسم العرضي)، أو بالصورة الدنيوية البشرية (الجسد العرضي)؛ لأنها عرض ليست من ذاته، والدليل على ذلك هو تبدلها وتغيرها في كل آن، ولو ارتبطا بها لذهبا مع ذلك التبدل أو التغير؛ ولكنهما محفوظان في ذاته وأصله^(١).

فطاعة أو ذنب زيد اللذان أتى بهما في العشرين - مثلاً -، محفوظتان في مادته وصورته الأصليتان، وسوف يظلان - إن لم تزل الطاعة أو تمح المعصية - حتى الخمسين - مثلاً -، بالرغم من تبدل صورته العنصرية البشرية من الشباب إلى الكهولة، وكذلك سيحاسب عليهما في يوم القيامة وإن اضمحلت تلك الصورة؛ أي: فني جسده العرضي.

ثانياً: حركة النفس الإنسانية في قوس الصعود

إن عودة كل شيء إلى أصله في قوس الصعود من أصول نظرية الشيخ الأوحّد الأحسائي في المعاد الجسماني^(٢)؛ فيعود الجسم والجسد

(١) يقول الشيخ الأوحّد الأحسائي: (ويحشرون في الأجسام الثانية للأجسام الأصلية)، وهي هذه التي في الدنيا بعينها لا غيرها؛ وإلا لذهب معها ثوابهم وعقابهم). [شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٤ ص ٣٨].

(٢) يقول الشيخ الأوحّد الأحسائي: (فتصاعد الأشياء إلى أصولها، وكذلك كل ما في عالم الدنيا من الذوات، وأما الأعراض فكذلك، إلا أن عودها إلى المراتب نفسها، فلا تحملها المعروضات معها، لأنها لم تكن منها، بل تلزم مبادئها، ومبادئها هي المراتب، والمراتب لازمة لمقاماتها). [شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٢ ص ٤٠٠-٤٠١].

الأصليان إلى أصولهما، وكذلك يعود العرضيان منهما إلى أصولهما؛
كالتالي :

١- الجسد العرضي : إذا مات الإنسان ووضع في القبر يطل الجسد العرضي ؛ أي : تعود عناصره الأربعة إلى أصلها، وهي المواد العنصرية الدنيوية - الماء، الهواء، النار، التراب - عودة ممازجة لا عودة مجاورة، وبطلان أو فناء هذا الجسد يعني عدم عودته في يوم القيامة ؛ لأنه من كثافات الدنيا، والشيء لا يتعدى رتبة مبدئه.

وكما بينا في النقطة السابقة أن هذا الجسد لا يحمل الثواب أو العقاب، فذهابه لا يعني ذهابهما، كما هو الحال في غيره وتبدله في الدنيا.

٢- الجسد الأصلي : طينة الإنسان الأصلية، أو صورته الحاملة للثواب والعقاب، وهو الجسد المرئي المحسوس في الدنيا، ولكننا لا نراه لللطافته، ونرى الصورة الكثيفة - الجسد العرضي - التي تفنى في القبر لأنها لباسه في الدنيا، كما قال الإمام الصادق عليه السلام حينما: سُئل عن الميت يُبلى جسده؟ فقال عليه السلام: «نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تُبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق

منها كما خلق أول مرة»^(١)؛ فتأمل قوله: (لا يبقى لحم ولا عظم)، فإن فيه دلالة واضحة على ذهاب الجسد العنصري وبقاء الجسد الأصلي في القبر مستديرة يأتيه النعيم أو العذاب تبعاً لحال الجسم العرضي في البرزخ من النعيم في جنان الدنيا أو العذاب في نيرانها^(٢)؛ وهذا مفاد قول النبي الأعظم محمد ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»^(٣).

٣- الجسم العرضي: تخرج الروح بالجسم الأصلي لابسة الجسم العرضي^(٤) إلى عالم البرزخ لتنعم أو تعذب^(٥) كلٍّ بحسب عمله؛ إن

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٣ ب/ النوادر ص ٢٥١ ح ٧.

(٢) انظر / شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٨٢.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦ ص ٢٧٦.

(٤) يقول الشيخ الأوحد الأحسائي: (فإذا كانت الروح في عالم البرزخ فهي في الجسم الأصلي ولحقه جسم من البرزخ ليس منه وإنما هو عرض زائل). رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحد" - الشيخ الأوحد الأحسائي: ج ٣ ص ٤٥٢.

(٥) يقول الشيخ الأوحد الأحسائي: (إذا مات الإنسان خرجت روحه من البدن لابسة لقلبه الذي يشابه صورته في الدنيا، وهذا القالب منذ نزلت روحه ودخلت في جسده، هي لابسة له ما دامت في الدنيا، فإذا قبضها الملك خرجت به من البدن وراحت إلى جنة الدنيا جنة آدم عليه السلام المدهامتان تنعم فيها إن كان سعيداً، ونعيمه في البرزخ أقوى من نعيم الدنيا بسبعين مرة، وأشد تيقظاً وانتباهاً من أحوال الدنيا بهذه النسبة، وإن كان الميت شقيّاً راحت روحه إلى نار الدنيا التي في المشرق يعذب فيها إلى وقت غروب الشمس فتأخذهم الزبانية إلى برهوت محضرموت، وهو واد باليمن، وإذا طلعت الشمس أخذ بهم الزبانية إلى النار في المشرق). رسالة في جواب بعض العلماء في أحوال البرزخ والمملك النقلة "تراث الشيخ الأوحد" - الشيخ الأوحد الأحسائي: ج ٣ ص ٥٠٩-٥١٠.

كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر^(١) ؛ لأنه المؤلف لقواها في عالم البرزخ ، أو اللباس الذي أخذته منه في أثناء نزولها ، وتبقى فيه إلى نفخة الصعق ، ثم يبطل فيعود إلى أصله وهو الأفلاك ؛ فلا يُعاد هذا الجسم في يوم القيامة لأنه من كثافات البرزخ - وكما قلنا سابقاً إن الشيء لا يتعدى رتبة مبدئه - ، وليس له مدخلة في الثواب أو العقاب كالجسد العرضي .

٤- الجسم الأصلي : بعد ذهاب كثافة البرزخ - أو الجسم العرضي - بنفخة الصعق ، تطير الروح بالجسم الأصلي إلى قبر صاحبها فتلج في

(١) إن كان لها برزخ - لأن بعض النفوس ؛ كنفوس المجانين والبله تبقى أرواحها نائمة في قبورها إلى يوم القيامة لتزول عنهم موانع التكليف ، يقول الشيخ الأوحى الأحسائي : (السؤال في القبر إنما هو عما كلف به في دار الدنيا ، فإن كان الشخص قد عقل التكليف وعرف ما يراد منه صح عتابه ، وثبت سؤاله وحسابه ، لأنه محض الإيمان أو محض الكفر . وإن لم يعرف في دار الدنيا ما يراد منه بسره ، ولم يتبين له الهدى والضلالة ، وإن فهم ظاهر التكليف وعمل أو لم يعمل ؛ لكنه لم يعقل الأمر ، وإنما دخل فيه غيره . والسؤال إنما هو لمن عرف ليسأل عما يعرف ، فذلك ممن لم يحض الإيمان أو الكفر ، ولا يجوز أن يسأل عما لا يعرف أو يعاتب عنه ، فيلهى عنه يترك في قبره حتى تأكل الأرض ما فيه من الأعراض المانعة من فهمه للتكليف ، كالرطوبة الموجبة للبلادة المانعة من الفهم ، حتى يأتي يوم القيامة وهو كغيره في قوة التعقل ، فيجدد له التكليف ويسأل بأن يأمر بدخول النار المسماة بالفلق ، فإن أطاع دخل الجنة ، وإن عصى دخل النار . نعم ، قد يسأل بعض من لم يحض عما عرف ، وما لم يعرف يلهى عنه إلى يوم القيامة ، ولا يسأل عن الكل إلا من عقل الكل). لأحوال البرزخ والآخرة - الشيخ أحمد الأحسائي :

جسده الأصلي المستدير، فيقوم الإنسان بمادته وصورته الأصليين اللذين خلقا منهما أول مرة، وهكذا يعود كل شيء إلى أصله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٢).

وهكذا يكون المعاد عند الشيخ الأوحـد الأحسائي للمادة بتبعية الصورة^(٣).

النقطة الثانية: التحقيق في نظرية الشيخ الأوحـد الأحسائي

لقد بينا سابقاً نظرية الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني التي قال فيها: إن لهذا الإنسان المرئي المحسوس في الدنيا جسمين وجسدين، أحدهما أصلي والآخر عرضي، وأن الأعراض أو الكثافات لا تُعاد، وإنما المُعاد في يوم القيامة هو الجسم الأصلي والجسد الأصلي، وهما بعينهما جسمه الدنيوي، أو ذات حقيقة الإنسان؛ أي: مادته وصورته الحاملان للشواب والعقاب؛ ولكنه لما نزل من عال عالم الإمكان توسخ بكثافات العوالم التي مر بها - أي:

(١) سورة الأنعام: (٩٤).

(٢) سورة الأعراف: (٢٩).

(٣) شرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٧٤.

بالجسد العرضي في الدنيا ، وبالجسم العرضي في البرزخ ، فلما زالت عنه الكثافات - في القبر للجسد العرضي ، وبنفخة الصعق للجسم العرضي - بالكسر ليصاغ صيغة البقاء الأبدية ؛ يُعاد الإنسان كما خلق أول مرة بمادته وصورته الأصليتين ؛ هذا باختصار جوهر نظريته .

وكما مر في مبحثنا سابقاً في أثناء الحديث عن مسألة المعاد الجسماني عند المتكلمين ، نجد أن أساس جوهر نظرية الشيخ الأوحـد الأحسائي كان مطروحاً بين جملة الأقوال أو الآراء ؛ فهو لم يخالفهم في ذلك . وقد صرح بهذا الأمر في كلماته التي قال فيها : (وإن خفي عليك فهم مرادي فانظر في هذه المسألة في كتب العلماء ، كالتجريد وشرحه للعلامة ، وكتب المجلسي مثل حق اليقين ، وغيرهما مما هو متفق عليه بينهم)^(١) .

وكذلك اتخذ تلميذه السيد كاظم الرشتي هذه الحجة أيضاً ليؤكد على عدم مخالفة أستاذه للمتكلمين - وغيرهم - ممن قال بعودة الأجزاء الأصلية دون الأجزاء العرضية الغربية.^(٢)

(١) رسالة في بيان اصطلاح المصنف في الجسم والجسد "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ الأوحـد الأحسائي : ج ٣ ص ٥٠٦٥٠٥ .

(٢) انظر / رسالة في الرد على من رد على الشيخ (اع) في مسألتني المعاد والعلم "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ٨ ص ٥٤٦٥٤٠ .

واتخذها كذلك الميرزا موسى الإحقاقي^(١) في كتابه إحقاق ، فوضع فصلاً كاملاً أورد فيه كلمات بعضهم.

حيث قال في بدايته : (قد صرح جملة من أصحابنا العظام ، وعلمائنا الأعلام ، بالمقصود والمرام ، وما عليه الهمة والاهتمام ، من عود عين هذه الأجساد الدنيوية التي هي الأجزاء الأصلية ، وعدم عود الأجزاء الفضلية التي ليست من الأجساد الأصلية ؛ بل هي أجزاء غريبة ، وأعراض طارية ليس لها مدخل بالجسد الأصلي بوجه من الوجوه ، ويفهم من كلمات بعضهم أنه هو المتفق عليه بين المسلمين)^(٢).

ثم قال بعدما أورد كلمات بعض الأعلام : (والشيخ الأوحّد - رحمه الله - يعبر عن هذه الأجزاء الفضلية بالجسد العنصري مرة ، والجسد الأولى أخرى ، ويقول : إنها لا تعود ، ويعبر أيضاً عن الأجزاء الأصلية التي عبر بها الأصحاب عما به تشخص الشخص ، ومدار

(١) هو الميرزا موسى بن محمد باقر بن محمد سليم الحائري الإحقاقي الإسكوي ، ولد في كربلاء عام (١٢٧٩هـ) ، أحد المراجع العظام ، لقب بالإحقاقي نسبة إلى كتابه الشهير "إحقاق الحق" ، وصار لقباً لذريته من بعده ، من أشهر مؤلفاته : البوارق ، تنزيه الحق ، العناوين ، وغيرها ، توفي عام (١٣٦٤هـ) ، ودفن في كربلاء.

(٢) إحقاق الحق - الميرزا موسى الإحقاقي : ص ٤٩ .

الثواب والعقاب واللذة والألم بالجسد الأصلي مرة ، والجسد الثاني أخرى ، ويقول : إنه هو الذي يعود ، ويخلد في الجنة أو النار . فهو - رحمه الله - كما ترى لم يقل إلا ما قاله المسلمون ، ففي أي كلام خالفهم؟^(١).

فالشيخ الأوحى الأحسائي لم يخالفهم في ذلك ، وإنما بين وفصل حقيقة هذا الأمر .

بمعنى آخر ، أثبت كيفية المعاد الجسماني عقلاً في إعادة الأجزاء الأصلية دون العرضية ، أو حول الرأي من مجرد فرضية إلى نظرية مثبتة بالأدلة . وهذا هو الإبداع الحكمي الذي تفرد به في هذه المسألة ، وجاء على أثره رشق سهام الاعتراض عليه ؛ لأن هناك أموراً ليست واضحة على الأذهان في نظريته ، ومنها أمران هاما وجب التحقيق فيهما :

الأمر الأول : في تصور الجسدين

إن تصور الكيفية التي جاءت في نظرية الشيخ الأوحى الأحسائي ، من أن هذا الإنسان المرئي المشاهد في الدنيا الآن له جسمان وجسدان ؛ قد يكون صعباً على بعض الأذهان .

(١) إحقاق الحق - الميرزا موسى الإحقاقي : ص ٥٦.٥٥ .

بمعنى آخر، كيف يكون لهذا الإنسان جسمان وجسدان، ونحن لا نشاهد إلا شيئاً واحداً وهو الجسد العنصري أو الصورة البشرية؟ وحتى نستطيع تصور ذلك؛ لابد أن ندرك أن الأمر جار على مجرى الحديث الفلسفي أو الحكمي، وليس على مجرى تصور أذهان العوام، فمن البديهي أن التصورات الفلسفية بنيت على أفكار ومصطلحات معينة يجب أن تفهم حتى تدرك كلمات أصحابها. ولو نظرنا إلى تصور الشيخ الأوحـد الأحسائي في نظريته، فسوف نجده تصوراً يمكن هضمه والوصول إليه بسهولة، وإن تمت صياغته على غط العقلية الفلسفية.

ومثال ذلك الكهرباء والهواء:

فالكهرباء شيء موجود محسوس؛ ولكننا لا ندركه إلا بالآثار الكثيفة؛ فحينما نضيء المصباح نتيقن بأن هناك كهرباء بالرغم من أنه لا يمكننا رؤية حقيقة ذاته للطافته. والهواء كذلك هو شيء موجود محسوس؛ ولكننا لا نراه إلا حينما تلتصق به ذرات الغبار الكثيفة. وكذلك هو الأمر في تصور الجزء اللطيف الكامن - أي: الجسد الأصلي - في الجسد العنصري، فهو شيء موجود ولا نراه لأننا ننظر بالعين الكثيفة فنشاهد ما يتوافق مع حقيقتها؛ ولذا بين الشيخ الأوحـد

الأحسائي ذلك في قوله : (هذا الجسم الذي في الدنيا هو بعينه هذا المرئي لطيف وكثيف)^(١) ، واللطيف قال فيه : (لم تره أبصار أهل الدنيا لما فيها من الكثافة ، فلا ترى إلا ما هو من نوعها)^(٢) .

فعدم رؤية الشيء لا يعني ذلك عدم القدرة على تصويره ؛ فكم من الأشياء اللطيفة التي نتصورها ونتيقن بوجودها ولا نراها.

الأمر الثاني : في مصطلح هورقليا

لم يعطَ مصطلح "هورقليا" - أو عالم المثال - الذي ارتبط بمسألة المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي من حيثة معينة^(٣) النظر الدقيق في نظريته ؛ وهذا من الأمور التي أدت إلى نسبة القول إليه بالمعاد بالجسم الهورقليائي ، أو المعاد المثالي.^(٤)

ولو تفحصنا كلماته جيداً ، فسوف نجد بيانه الصريح والواضح من هذا المصطلح ، والبعد الشاسع بين مراده ، وما نسب إليه ، ومن ذلك :

(١) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ الأوحـد الأحسائي : ج ٤ ص ٣٨.

(٢) شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحـد" - الشيخ الأوحـد الأحسائي : ج ٤ ص ٣٦.

(٣) وهي أرض هورقليا التي خلق من عناصرها الجسد الأصلي.

(٤) انظر / الشيخية - الطالقاني : ص ٢٥٨. فتاوى في الشيخية - السيد مهدي الموسوي :

١- إن هذا المصطلح ليس من مخترعاته ، فقد أشار إلى أنه لفظة من اللغة السريانية ، وهي لغة الصابئة في زمانه^(١) ، وقد استخدمه غيره من العلماء كالملا صدرا الشيرازي^(٢) .

٢- إنه أطلق هذا المصطلح للإشارة إلى أمور ثلاثة ، يجب التمييز بينها بدقة ، وتحديد الواقع منها في مسألة المعاد الجسماني عن غيره^(٣) ، وهي :

الأول : هورقلييا : هو عالم المثال بشكل مطلق ؛ أي : عالم البرزخ ، كما في قوله : (إن الشخص بحقيقته وطينته الأصلية ، نزل بتمامه من عالم هورقلييا ، وهو عالم البرزخ)^(٤) .

(١) يقول الشيخ الأوحّد الأحسائي : (وأما أنه من أي لغة : فهي من اللغة السريانية ، وهي لغة الصابئة الآن ، وهم في هذا الزمان يسمون بالصبّة ، وهم الآن في البصرة ونواحيها كثيرون - لعنهم الله -). [رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي : ج ٣ ص ٤٥٠].

(٢) المبدأ والمعاد - الملا صدرا الشيرازي : ص ٥٢٢ .

(٣) يقول السيد كاظم الرشتي : (وأما هورقلييا فله فيه اصطلاحان : مرة يطلق ويريد به عالم المثال ، وهو عالم البرزخ الذي تأوي إليه الأرواح بعد الموت . ومرة يطلق ويريد به صفو عالم الأجسام الثابت الباقي الغير المتغير تغير سائر الأعراض والأوساخ). [رسالة في الرد على من رد على الشيخ (ع) في مسألتي المعاد والعلم "جواهر الحكم" - السيد كاظم الرشتي : ج ٨ ص ٥٢٤].

(٤) شرح العرشية - الشيخ الأوحّد الأحسائي : ج ٢ ص ٣٧٥ .

ولا مشاحة في استخدامه ما دام أنه أراد به عالم البرزخ الذي تأوي إليه الأرواح بعد الموت لتنعم أو تعذب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١)؛ فهو مما خلاف فيه بين العلماء، فالكثير منهم قد أثبت وجود هذا العالم، وتحدث عنه في مصنفاته.

الثاني: هورقليا: هو أفلاك أو سماء عالم المثال الذي خلق من نفوسها الجسم العرضي^(٢)، كما في قوله: (هورقليا، أعني العالم الذي قبل هذا العالم؛ معناه: ملك آخر، وهذا اسم لتلك الأفلاك، وفي أرضها بلدان جابرسا وجابلقا. والجسم الأول: هو الذي يلبسه الروح في البرزخ ما بين الموت إلى نفخة الصور الأولى، فإذا نفخ في الصور وبطل كل روح وكل متحرك أربع مئة سنة طهر ذلك الجسم عن أوساخ

(١) سورة المؤمنون: (١٠٠).

(٢) وهو الذي ذكرنا بأن له النفس الحسية الحيوانية الفلكية، وللجسد العرضي النفس النباتية، وللجسم والأصلي النفس الناطقة القدسية، حيث يقول الشيخ الأوحـد الأحسائي: (وأما النفس الحساسة فهي قوة فلكية - كما ذكرنا سابقاً -، وإن كانت النباتية مركباً لها لأنها إنما تتعلق بها وتشرق عليها؛ إلا أن النباتية من العناصر، والحساسة ليست من العناصر، وإنما هي من المجردات المقارنة؛ إلا أنها تعد من أسفل المجردات المقارنة؛ لأنها من نوع البرازخ.. على كل حال، ليست من نوع النباتية؛ لأن النباتية اسقطصها العناصر، منها بدئي وإليها تعود، والحساسة من نفوس الأفلاك، منها بدئت وإليها تعود). اشرح العرشية - الشيخ الأوحـد الأحسائي: ج ٢ ص ١٢٢.

البرزخ وكثافته بالنسبة إلى عالم الآخرة، وهذه الكثافات هي مرادنا من الجسم الأول الذي لا يعود^(١).

وهذا الجسم لم يربطه الشيخ الأوحّد الأحسائي بمسألة المعاد الجسماني لا من قريب ولا من بعيد؛ بل بين بأنه من كثافات البرزخ التي تعود إلى أصلها بعد نفخة الصعق، ولا يحشر به الإنسان في يوم القيامة؛ لأن مبدأه ومنتهاه هو رتبة كونه، وهو عالم البرزخ.

كما أن عودة الأرواح إلى الأجسام في عالم البرزخ، بمعنى أنها تلبس الجسم الهورقليائي أو الجسم العرضي ما دامت موجودة هناك، لا ينطبق على مصداق المعاد المنظور إليه، فقد بينا سابقاً بأن هناك مصاديق لعودة الأرواح إلى الأجسام، ومنها لا تنطبق على مصداق المعاد في يوم القيامة؛ ومنها عودتها في البرزخ لتتعم أو تعذب.

الثالث: هورقليا: هو أرض عالم هورقليا الذي خلق من عناصره الجسد الأصلي، كما في قوله: (وهو الجسد الثاني، وهو من عناصر هورقليا الأربعة، وهي أشرف من عناصر الدنيا سبعين مرة)^(٢).

(١) رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ أحمد الأحسائي:

ج ٣ ص ٤٧٥.

(٢) الرسالة الخاقانية "تراث الشيخ الأوحّد" - الشيخ الأوحّد الأحسائي: ج ٣ ص ٢٨٨.

وقد بين بأن هذا الجزء السفلي من عالم هورقليا - أي : أرضه - لطيفة محسوس ، وكل ما فيها كجابلقا وجابرصا ، وجنان الدنيا ونيرانها ، أو يخلق من عناصرها فهو كذلك ؛ أي إنه لطيف محسوس^(١) . فهذا الجسد الأصلي اللطيف هو الجسم المرئي المشاهد ؛ ولكنه لبس الجسد الكثيف في عالم الدنيا فصعبت رؤيته ، وهو المعاد في يوم القيامة بصورة الثواب أو العقاب^(٢) .

والبعض اتخذ من مصطلح هورقليا كحجة عليه ، وقال بأنه قائل بالمعاد المثالي أو الهورقليائي ؛ ولم يدققوا في أن عالم المثال هو برزخ ، أو واسطة بين عالمين ، أعلاه ملاصق لعالم المجردات ، وأسفله ملاصق لعالم الملك اللطيف ، لأن عالم الملك ينقسم إلى عالم ملك كثيف ، وعالم ملك لطيف (أرض هورقليا التي خلق من عناصرها الجسد

(١) يقول الشيخ الأوحده الأحسائي : (تحشر إلى ربها في البرزخ كلا بعمله ؛ لأن هذا العالم منقسم إلى جنة محسوسة ، فيها نعيم السعداء ، من أكل وشرب ونكاح وشهوة ووقاع ، وكل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . وإلى نار محسوسة ، فيها عذاب الأشقياء ، من حميم وزقوم ، وحيات وعقارب) . [شرح العرشية - الشيخ الأوحده الأحسائي : ج ٢ ص ١٨٠] .

(٢) يقول الشيخ الأوحده الأحسائي : (وهذا هو الجسد الثاني ، وهو الباقي ، وهو الذي نزل إلى الدنيا ولبس الكثافة البشرية العنصرية ، وهو بعينه الجسد الموجود في هذه الدنيا ؛ إلا أنه عليه غبار ووسخ يعبر عنه بالفارسية بالجرك ، وهو البشرية ، وهو من العناصر المحسوسة) . لرسالة في جواب بعض الأخوان المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحده" - الشيخ الأوحده الأحسائي : ج ٣ ص ٤٧٣] .

الأصلي^(١)، وجميع عالم الملك من الزمانيات، وليس من المجردات الروحانية^(٢)؛ فهذا الجسد الأصلي الذي قال بعودته ليس مثالياً مجرداً ليقال بأنه قائل بالمعاد المثالي، بل هو جسد محسوس ولكنه لطيف.

النقطة الثالثة: العلم الحديث يثبت تحلل الجسد العنصري وبقاء الجسد الأصلي

ظهرت محاولات للعلم الحديث في تفسير العديد من المسائل الغيبية، والبث والتحقق مما قدمته النتائج الفلسفية في مواضعها. ومن تلك المسائل - على سبيل المثال -:

مسألة وجود الخالق، حيث توصل الكثير من العلماء من خلال قوانينهم العلمية كقانون الديناميكا الحرارية؛ إلى أنه لا بد أن يكون

(١) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي: (لأن عالم الملك قسمان؛ سفلي: وهو عالم الدنيا المشاهد، وعلوي؛ وهو هورقليا، أي: عالم الملك الثاني). لشرح العرشية - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٢ ص ١٩٩.

(٢) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي: (وعالم البرزخ المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت عالم آخر، فهو ملك آخر، يعني أن عالم الأجسام عالم الملك؛ وهنا عالم ملك آخر وهو في الأقليم الثامن، أسفله على محدد محدد الجهات في الرتبة لا في الجهة، إذ لا شيء وراء محدد محدد الجهات، ولا وراء له؛ ولكن عالم هورقليا أسفله على أعلى فلك الأطلس في الرتبة والصورة التي تراها في المرآة من أسفل ذلك العالم). لرسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٣

لهذا الكون من بداية ، ومبدئ (خالق) له ماهية تخالف ماهية الماديات الكثيفة (المخلوقات)^(١).

ومسألة المعاد الجسماني ، حيث أثبتت الحقائق العلمية بعض جوانب الإعجاز العلمي لما جاء في النصوص الشرعية ؛ ومنها :

أولاً: تحليل الجسد العنصري

أثبت علماء العلم الحديث من خلال أبحاثهم التجريبية أن جسد الإنسان بعد موته وتحلله^(٢) يصير تراباً مشابهاً تماماً في شكله وتركيبه الكيميائي لتراب الأرض^(٣).

وهذا يوافق ما ذكره الشيخ الأوحى الأحسائي - وبعض المتكلمين الذين قالوا بذهاب الأجزاء الغريبة وإعادة الأجزاء الأصلية - في الأصل الذي بنا عليه نظريته في المعاد الجسماني عقلاً ، وهو اضمحلال الجسد العنصري (الصورة البشرية) ؛ أي : عودة عناصره الأربعة - الماء والهواء التراب النار - إلى أصلها وهو تراب الأرض ؛ لأن منها خلقت وإليه

(١) انظر/ كتاب "الله يتجلى في عصر العلم" ، تأليف/ نخبة من العلماء الأمريكيين ، تحرير/ جون كلوفرمونسما ، ترجمة/ الدكتور: الدمرداش عبدالمجيد سرحان.

(٢) لا يقصدون بتحلله انعدامه ، وإنما هذا الرمي - أي : جسده المتحلل - يعود إلى أصله.

(٣) الاستنساخ جرمية العصر - محمد نبيل الشواني : ص ١٥.

تعود، للقاعدة المسلم بها وهي عودة كل شيء إلى أصله الذي خلق منه^(١).

وكذلك وجدوا أن جسد الإنسان في ظروف معينة قد يتوقف تحلله، ولا ينتهي إلى التراب، ولكن تستبدل مواده بمواد أخرى في التربة كأملح السليكون^(٢)؛ فيؤدي ذلك إلى حفظه، ويصير بعد مرور آلاف السنين أحفورة صخرية أو معدنية؛ بسبب استبدال المواد العضوية بالأملح المعدنية الموجودة في التربة^(٣)؛ ولذا تسمى بقايا أجساد الكائنات الحية بالأحافير^(٤).

(١) يقول الشيخ الأوحى الأحسائي: (وهو البشرية، وهو من العناصر المحسوسة، ويوم القيامة يعود كل شيء إلى أصله. وهذه الكثافة ليست من الجنة حتى تعود إليها، وإنما هي من هذه الدنيا، فإذا انتقل عاد كل شيء إلى أصله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث الأعرابي - للأعرابي عند سؤاله عن النفس فقال: يا مولاي ما النباتية؟ فقال: (قوة أصلها الطبايع الأربع، بدء إيجادها عند مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطائف الأغذية، فعلها النمو والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة)، الحديث. فافهم قوله عليه السلام: عود ممازجة لا عود مجاورة، حيث دل كلامه عليه السلام على أن كل شيء يعود إلى أصله.. فإذا ثبت أن الكثافة من هذه العناصر، وأن الإنسان إنما تعقلت به في هذه الدنيا، وأنه إذا عاد إلى أصله كل شيء لم تصحبه الكثافة إلى الجنة.. وهذه الصورة هي الجسد الأول الذي لا يعود، وهو مخلوق من العناصر المحسوسة، وهو الكثافة). رسالة في جواب بعض الأخوان المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحى" - الشيخ الأوحى الأحسائي: ج ٣ ص ٤٧٤.

(٢) ملح السليكون هو عنصر من مكونات صخور الطبقة الخارجية لقشرة الأرض، كما أنه من أهم العناصر المكونة لصخور الطبقة الداخلية في القشرة الأرضية.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي - أحمد شوقي إبراهيم: ج ٢ ص ١٤٨.

(٤) الأحافير: هي تحول المواد العضوية في الأجساد الميتة المطمورة تحت التربة إلى مواد صخرية أو معدنية.

وهذه النتيجة من مصاديق ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى :
﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ
حَدِيدًا ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ
قَرِيبًا﴾^(١) ؛ حيث بينت هذه الآية أن هذه التحولات وإن طرأت على
جسد الإنسان فإن الله سبحانه وتعالى قادر على إعادته في يوم القيامة.

ثانياً : بقاء الجسد الأصلي

كذلك توصل العلماء إلى أن جسد الإنسان مكون من خلايا
جسدية كثيفة ، وهذه تتحلل في القبر (الجسد العنصري) ؛ أي : تعود
إلى أصلها - كما ذكرنا سابقاً - ، وخلايا جسدية لطيفة لا تبلى ولا
تموت ، ويمكن من خلالها إعادته في يوم القيامة.

وجميع التجارب التي أقاموها للوصول إلى هذه الحقيقة تركزت في
عظمة العصعص (عُجْب الذنب) ؛ حيث قاموا بسحقها ، ثم غليها في
درجات حرارة مرتفعة ولفترات طويلة ، ثم بدراستها تبين أن فيها خلايا
لم تتأثر بالسحق أو الإحراق ، وبقيت حية.^(٢)

(١) سورة الإسراء: (٤٩-٥١).

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية - زغلول النجار: ج ١ ص ١٠٨.

وقد اقتصررت تلك التجارب على عظمة العصعص من عظام جسم الإنسان ؛ لأن علم الأجنة أوضح في العقود المتأخرة من القرن العشرين أن خلق الجنين يبدأ بالنطفة الأمشاج ، ومن ثم تبدأ بالانقسامات والتكوين إلى أن يظهر خيط دقيق يحدد مؤخرة الجنين من مقدمته ، وهذا الخيط يعرف باسم الخيط البدائي أو الأولى ، الذي منه يتكون الجهاز العصبي وجميع أعضاء الجسم بالتدرج ، وبعد تمام تكون جميع أعضاء وأجهزة الجنين يتراجع هذا الخيط البدائي بالتدرج إلى مؤخرة جسم الجنين ، حتى يستقر في نهاية العمود الفقري في منطقة عظمة العصعص .

وبعد موت الإنسان ، البعض من العلماء ذهب إلى عدم تحليل عظمة العصعص^(١) ، والبعض الآخر ذهب إلى أنها تبلى مثلها مثل جميع عظام الجسم.^(٢)

ولكنهم - على كلا الرأيين - اتفقوا في أن هذه العظمة سواء بقت أو بليت لا تزال تحمل الخيط البدائي الذي خلق منه الإنسان ، ومنه سيعاد جميع جسمه في يوم القيامة .

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية - زغللول النجار : ج ١ ص ١٠٤-١٠٦ .

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي - أحمد شوقي إبراهيم : ج ٢ ص ١٥٠ .

فالأمر باختصار: أنهم يرون أن هناك خطأً بدائياً خلق منه الإنسان، وخلايا هذا الخيط الذي استقر في عظمة العصعص لا تبلى ولا تموت - سواء تحللت تلك العظمة أو بقيت - ؛ وفي يوم القيامة الإعادة تكون من هذه الخيط لجميع الجسم.

وقد ذهب الكثير منهم لذلك من باب التوفيق بين العلم والحديث المروي من طرق العامة، الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب)^(١).

ولكن، قد يؤخذ هنا إشكال على هذا الرأي العلمي، وهو: إن جميع النصوص الشرعية التي وردت في الإعادة الجسمية لا يظهر منها الإعادة التدريجية للجسم؛ بل الإعادة الدفعية؛ أي: إن هذا الجسم يعود دفعة واحدة في يوم القيامة؛ وليس إعادته من قبيل خلقه تدريجياً من ذلك الخيط البدائي.

والإشكال ينحل إذا عممت تلك الخلايا الجسدية الباقية على جميع جسم الإنسان، دون الاقتصار على خلايا عظمة العصعص فقط، وقد ذهب إلى ذلك البعض الآخر من علماء علم الحديث، ومنهم العاملة الروسية (البشكاي)، حيث أعلنت في عام (١٩٥١م) أن

(١) صحيح مسلم: ح ٥٣٨٨ ك/ الفتن وأشراط الساعة.

هناك نوعاً من الخلايا ناقلة للحياة، تبقى في موضع الخلايا المتأكلة من جسد الإنسان في التراب، وأنه ليس هناك شيء يموت كله؛ بل يموت بعضه، وتظل هناك خلايا تحمل مشعل الحياة^(١).

فإذا ثبت ذلك، يمكن أن يقال بأن هذه الخلايا الباقية من وجهة نظر العلم، هي الطينة الأصلية للإنسان (الجسد الأصلي) من وجهة نظر الدين التي تبقى في القبر بعد تحلل الجسد العنصري، كما روي عن عمار بن موسى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئل عن الميت يبلى جسده.

(قال: نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة)^(٢).

ومن المثير أن الشيخ الأوحاد الأحسائي تعرض في حديثه عن مسألة المعاد إلى عظمة العصعص (عجب الذنب)، وبين الأقوال الواردة فيها من جهة نظر الفلاسفة - قبل أن يتوصل العلم الحديث إلى ذلك -،

(١) عقيدتنا - الشيخ عبدالله نعمه الجزائري: ص ٣١٦.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥٧ ص ٣٥٨ ح ٤٤ ب / ٤١ بدء خلق الإنسان في الرحم إلى آخر أحواله.

وذهب إلى أن المراد منها هي الجسد الأصلي ، أو الخلايا اللطيفة الباقية التي أثبتها العلم الحديث .

حيث قال : (وهذا الجسد هو الطينة التي تبقى في قبره مستديرة ، وهو الذي نسميه بالجسد الثاني .

ومعنى كونها مستديرة ؛ أن تلك الأجزاء وإن تفرقت في بطون السباع أو الطير أو حيتان البحر ، فإنها بعد تخلصها من الموانع ، وهي الأعراض والأجزاء الغريبة ، تستدير في قبرها ، أعني الموضع الذي أخذت منه ترتبه ، التي مزجت بنطفتي أبيه وأمه عند تخلقه .

وكيفية استدارتها أن يترتب في ذلك الموضع ، بوضع ترتبها في خلقتها الأولى في الدنيا ، فتكون أجزاء الرأس فوق أجزاء الرقبة مترتبة ، وأجزاء الرقبة فوق أجزاء الصدر وهكذا ، وإن صح ما نقلوه من أنه عليه السلام قال : (إن الجسد يبلى إلا عجب الذنب فإنه لا يبلى حتى يخلق منه كما خلق أول مرة) ، فهو كناية عن هذه الطينة . وروا أيضاً عنه عليه السلام أنه قال : (آخر ما يبلى عجب الذنب) ، وهذه تدل على فناء عجب الذنب .

والحاصل ، أنك عرفت المراد ، فعلى قولهم بتلك الرواية اختلفوا في تأويلها ، مع اتفاقهم على معناها اللغوي ، من أن المراد به العظم الذاتي عند المقعدة ، المسمى بالعصص .

فقال بعضهم : إن المراد بعجب الذنب هذا العظم المستدير الظاهر ، وأنه لا يبلى ؛ لأنه للجسد أصل تركب الجسد عليه ، كجؤجؤ السفينة ، وهو لا يبلى حتى يخلق الجسد منه ، كما خلق أول مرة .^(١)
وقيل : كذلك ؛ إلا أنه يبلى عملاً بالظاهر من الرواية الثانية ؛ إلا أنه آخر ما يبلى ، لأنه أول ما خلق^(٢) ...

وقوله : (وقد اختلفوا في معناه أيضاً)^(٣) ، فيه أن معناه لم يختلفوا فيه ؛ لأن معناه أنه هو العصص ، وإنما اختلفوا في تأويله ، فقيل : هو

(١) يشير الشيخ الأوحى الأحسائي إلى أن هناك قولين في العصص (عجب الذنب) ، الأول : أنه لا يبلى ، وهو القول الذي ذهب إليه الرأي الأول من علماء العلم الحديث ، وفي إشارته نقطة هامة وهي : إن هذه المسألة تناولها الفلاسفة قبل علماء العلم التجريبي ، ولكن كما ذكرنا سابقاً بأنهم كانوا يقيمون التجارب على المسائل الغيبية للوصول إلى حقيقتها ، ولإثبات النتائج الفلسفية أيضاً .

(٢) وهنا يشير الشيخ الأوحى الأحسائي إلى القول الثاني : وهو أن العصص يبلى ، وهو القول الذي ذهب إليه الرأي الثاني من علماء العلم الحديث كالعالم الروسية البشكاي . ولكن كما ذكرنا بأنهما في كلا الرأيين يفندان أصل النظرية وهي بقاء نوع من الخلايا اللطيفة بعد ذهاب الخلايا الكثيفة .

(٣) كلمات الملا صدرا الشيرازي .

الأجزاء الأصلية ، وعلى فرض صحة الحديث فهذا القول أصح وجوه التأويل .

وإنما قلت : أصح وجوه التأويل لأن الذي ينبغي أن يكون هذا تفسيره لا تأويله ، لكن هذه الأجزاء لا يطلق عليها عجب الذنب ، إذ لو صح لكانت فيه إشارة إلى أن الشخص من حقيقته أشياء غير ما يسمى عجب الذنب تبنى عليه ، تتم حقيقته منهما ، فلما أريد به كل ما يبقى ، امتنع أن يراد به بعض الحقيقة ، وإذا أريد به كل الحقيقة ، ما حسن إطلاق عجب الذنب عليه^(١) ...

والحق أن الإنسان له جسدان وجسمان ، الجسد الأول والجسم الأول عارضان له من مراتب تنزلاته ، وليس من حقيقته ، فهما داخلان بلا حاجة ، وخارجان من غير فقدان ..

والثاني جسده الأصلي الذي هو منه وإليه ، وهذا الجسد هو الباقي ؛ لأنه نزل به إلى الدنيا ، ويرحل به منها ، وهو البدن نفسه ، وهو

(١) يشير الشيخ الأوحد الأحسائي إلى أن المراد بعجب الذنب هو تمام الجسد الأصلي وليس جزء منه ، لينحل الإشكال الذي ذكرناه سابقاً - في بعض نظر علماء العلم الحديث - من أن الإعادة ليست تدريجية من خلايا عظمة العصعص بل دفعية ، أي : إن تمام خلايا جسم الإنسان تعود ، وليس فقط الخلايا الموجودة في عجب الذنب تعود فتتكون منها باقي الأعضاء .

المحشور والمُعَاد، وهو الطينة التي تبقى في قبره مستديرة؛ فإن صح حديث عجب الذنب، فالمراد منه هذا الجسد^(١).

وعلى أي حال، أياً كان الأمر في هذه المسألة، فإن الشيخ الأوحَد الأحسائي سبق علماء العلم الحديث في بيان حقيقة عظمة العَصْعَص، وما أثبتته بعضهم في أمرها ما هو إلا تأكيداً للأصل الذي بنى عليه نظريته في المعاد الجسماني، وهو ذهاب الجسد العنصري وبقاء الجسد الأصلي.

(١) شرح العرشية - الشيخ الأوحَد الأحسائي: ج ٢ ص ٣٩١-٣٩٤.

الخاتمة

بعد انتهائنا من هذه الدراسة التي تعد بلا شك ، أقل من أن تحيط بأبعاد مسألة المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد الأحسائي التي احتواها منهج مدرسته ، يجدر بنا إبراز النتائج الهامة في رأيه الحقيقي التي استطعنا الوصول إليها من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

يعد الشيخ الأوحـد الأحسائي مجدداً للحكمة الإسلامية ، حيث استطاع من خلال استنباطاته المستندة على القرآن والسنة والعقل المستنير بنورهما ، وكذلك منهجية الاستقلال الفكري الممزوجة بالروح النقدية ؛ إعادة صياغة الحكمة الإسلامية بنسق تميز به عن غيره ، وقدم الكثير من الحلول للمشكلات التي استمرت حتى عصره ، ومنها مشكلة إثبات كيفية المعاد الجسماني عقلاً.

وبما مر كله ، فنقول في خاتمة دراستنا عن خلاصة رأي الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد الجسماني :

من المسائل التي كُفِّرَ فيها الشيخ الأوحـد الأحسائي هي مسألة المعاد الجسماني ، وقد تبين لنا من خلال الأبحاث السابقة أن المعارضين عليه لم يقع جانب اعتراضهم عليه في المعاد الروحاني عقلاً وشرعاً ، ولا في

المعاد الجسماني شرعاً ؛ فهو كما ذكرنا مراراً بأنه من المتفق عليه بين جميع الملمين. وأن الخلاف في مسألة المعاد جاء في كيفية إثبات المعاد الجسماني عقلاً ، وأن الشيخ الأوحـد الأحسائي قدّم نظرية الجسمين والجسدين التي أثبت من خلالها المعاد الجسماني بالبرهان الحكمي ؛ حيث أصر وأكـد مراراً على أن ما ذهب إليه هو مراد الشرع في ذلك ، وهو أن المَعَاد هو المادة بتبعية الصورة ؛ أي : المادة الأصلية التي نزل بها الإنسان من عال عالم الإمكان ، وأن الجسد العنصري الكثيف لا دخل له بمسألة المعاد الجسماني ؛ لأنه وسخ أو كثافة عالم الدنيا التي تضمحل بعد الموت ، ويبقى الجسد الأصلي الحامل للثواب والعقاب في القبر مستديراً ، وفي يوم القيامة تلج الروح بجسمها الأصلي - بعد خلع كثافة البرزخ (الجسم العرضي) في قبر الإنسان فيعاد بمادته وصورته الأصليين اللذين كان الإنسان بهما في عالم الدنيا ؛ هذا هو خلاصة رأيه في مسألة المعاد الجسماني عقلاً.

وكل باحث ملم بحقيقة أطراف هذه المسألة من الناحية الشرعية والفلسفية وغيرهما ؛ يدرك أن ما جاء به الشيخ الأوحـد الأحسائي حقاً في إثبات عقلانية المعاد الجسماني ، وأن هذا يعد في الواقع أكبر إنجاز

حقق في بحث هذه المسألة المعضلة التي تركت العقول صرعى والأفكار حيارى.

وأما جانب اعتراضات المعارضين عليه ؛ فلو سلمنا جدلاً بعدم تعقلهم لنظريته ، فإن الأمر لا يصل إلى درجة تكفيره ؛ وذلك لأنه :

١- يبقى حمل جانب ثبوت وإثبات المعاد الجسماني أمراً مسلماً عنده من الناحية الشرعية ، بغض النظر عن نظريته في الجانب العقلي .

٢- اعترافه الصريح بعقيدته في مسألة المعاد الجسماني ، ومنها :

أ- ما قاله في رسالة له في اصطلاحه على الجسد والجسم : (أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي ، أنه قد اشتبه على بعض الناظرين في كتبي حتى ظنوا الظنون التي لا يجوز احتمالها لعدم معرفتهم بالفن وعدم أنسهم بما جرى عليه الاصطلاح ، ولأسباب أخر .

فأشار عليّ بعض المؤمنين أن أذكر مجمل ما اشتبهوا فيه ، وأذكر ما أعتقد في ذلك وأدين الله به ؛ عسى أن يكون أولئك إنما قالوا بما فهموه فيقوم بذلك الحجة ، وما أذكره إلا ما يعلمه الله أنه هو اعتقادي الذي أدين به ، وأنه مرادي من عباراتي كلها التي يتوهم فيها بعض من نظر فيها ؛ لأن تلك العبارات أرسلناها على نمط اصطلاح أهل ذلك الفن ؛

فلأجل ذلك لا يعرف المراد منها أكثر من نظر فيها، خصوصاً طالب التأويل، وعلى عهد الله أن أذكر مرادي من مضمونها صريحاً.. ومن ذلك اعتقاد المعاد للنفوس والأجسام والأجساد، بأن الله سبحانه يبعث من في القبور، أما معاد النفوس فظاهر، وأما الأجسام والأجسام فالاعتقاد أن هذه الأجساد والأجسام الموجودة في الدنيا الملموسة المرئية جميعاً تعاد بعينها حتى إن كل شخص يعرفه باسمه وصورته في الدنيا؛ فلا تبقى ذرة من الأجساد والأجسام من جميع المكلفين إلا وتعاد بعينها كما قال تعالى: ﴿وَأِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

فقوله: أتينا بها يعني بعينها الموجودة في الدنيا الملموسة، فتعود إلى محلها من جسد، ويجب الإيمان بذلك مجملاً لا مفصلاً، مثل قولنا: تعود إلى محلها من الجسد يل الواجب اعتقاد عود كل جزء من جسد المكلف وجسم الموجود في الدنيا، فمن زعم أن قدر ذرة من أجساد المكلفين وأجسامهم لا يعيده الله ولا يبعثه حتى يتصل بصاحبه؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. كتبت هذا والله سبحانه يشهد علي أنه اعتقادي سابقاً ولا حقاً، والله على ما أقول وكيل، وكتب أحمد بن زين الدين الهجري الأحسائي، ثامن ذي القعدة سنة (١٢٤٠هـ). أقول

هذا اعتقادي الذي أدين الله به يوم العرض عليه ، وقد خاب من أفترى^(١).

ب - ما قاله في رسالة كتبها إلى تلميذه الشيخ عبدالوهاب القزويني بعد عودته - من إيران - إلى العراق (كربلاء):

(بسم الله الرحمن الرحيم: إلى جناب عالي الجناح، ولب الألباب، الداخِل في الخيرات من كل باب، أهدي جميل التحية والسلام، أصلح الله أحواله وبلغه آماله في مبدئه ومآله بجرمة محمد وآله، أمين رب العالمين. أما بعد، فإن سألتكم عن محبكم وداعيكُم فأنا أحمد الله إليكم، أما أنا من جهة نفسي ظاهري وباطني في راحة، وأما الناس من جهتي فقد اختلفوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اختلفوا، ولكن الله يفعل ما يريد. جاء الورع الزاهد الشيخ متقي...؟ وأراد أن يطعن على جنابك، فلم يجد غير أنه نظر في بعض كتبي في قلبي: "إن للإنسان جسدين: الأول: يعاد يوم القيامة وهو الجسد الأصلي، والثاني: أعني العارضي الذي ليس للإنسان، وإنما هو عرض لحق المكلف من الأكل والشرب، وليس من حقيقته، وإنما هو في نفس الأمر جسد تعلمي أو بمحكمه، وإن قلت: إنه من

(١) رسالة في بيان المصنف في الجسم والجسد "تراث الشيخ الأوحَد" - الشيخ الأوحَد الأحسائي: ج ٣

العناصر فإن كل ما تحت فلك القمر من العناصر الجواهر والأعراض". ونفخ الشيطان في قلبه، فقال: إنه كفر، وهذا كافر، والمولى عبد الوهاب صلى خلف الكافر، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، خوفاً على دارهم العجم والهند، حتى قالوا: إنك تقول إن الذي خلق السماوات والأرض علي بن أبي طالب عليه السلام، وحكموا بنجاسة الأرض التي أطوها، وبنجاسة حضرة الحسين عليه السلام؛ لأنني أدخل عليه للزيارة، والأمر أعظم مما تسمع، وبذلوا الأموال على ذلك القريب والبعيد تشييداً لتكفيري ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾...

ولكن متى كنت كافراً جاهلاً بالميعاد، وأنا أدعي أنه ما أحد - كذا عرف مثلي، وقد وقف علماء العرب والعجم كلهم عليها، فما طعن فيها إلا جاهل بمعنى قلبي، أو معاند منكر للحق، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قال أحدكم لأخيه يا كافر كفر أحدهما»، لكن يا شيخ حسبي الله وكفى به شهيداً، إن الله يقول في كتابه الحق: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، والحاصل: أنا أقول حسبي الله

وكفى ، ليس وراء الله منتهى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،
وسلام على من يعزّ عليك ، وخصّ نفسك بالسلام^(١).

تم بحمد الله بحثنا في هذا الكتاب
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
الشيخ إبراهيم القديم
الأحساء
١٤٤٤/٩/٢٣ هـ

(١) شيخيكري باييكري - مرتضى جهار دهى : ص ٢٨ .

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحوال البرزخ والآخرة - الشيخ أحمد الأحسائي : دار المحجة البيضاء ، الطبعة الرابعة (١٤٣٠هـ).
- ٣- أديان العالم - د. سميث هوستن : حلب - دار الجسور الثقافية ، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م).
- ٤- أعلام هجر من الماضين والمعاصرين - السيد هاشم الشخص : قم - مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ).
- ٥- أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين : بيروت - دار المعارف للطبوعات ، (١٩٨٣م).
- ٦- أسرار الآيات - الملا صدرا الشيرازي / ترجمة وتعليق : محمد خواجهوي : إيران - مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي ، الطبعة الأولى (١٣٦٣هـ ش).
- ٧- إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - تحقيق / الدكتور حسين محفوظ : بغداد (١٣٧٦هـ).
- ٨- إحقاق الحق - الميرزا موسى الأسكوي : الكويت - مكتبة الإمام الصادق عليه السلام العامة ، الطبعة الرابعة (١٤٢١هـ).

٩- إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي : القاهرة - المطبعة العثمانية ،
(١٩٣٣م).

١٠- إنجيل متى - بنيامين بنكرتين : الطبعة الثالثة (١٩٨١م).

١١- ابن سينا ومذهبه في النفس - فتح الله خليفة : بيروت ، (١٩٧٤م).

١٢- ابن سبعين - بد العارف / تحقيق : جورج كتورة : بيروت - دار
الأندلس ، (١٩٧٨م).

١٣- الله يتجلى في عصر العلم - نخبة من العلماء الأمريكيين / تحرير :
جون كلوفر مونسيما / ترجمة : الدكتور الدمرداش عبدالمجيد سرحان :
بيروت - دار القلم.

١٤- آخر الفلاسفة - الدكتور حسن محمد الشيخ : بيروت - مؤسسة
الفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

١٥- الأخلاق - أرسطو / ترجمة : إسحاق بن حنين / تحقيق :
د. عبدالرحمن بدوي : الكويت - وكالة المطبوعات ، الطبعة الأولى
(١٩٧٩م).

١٦- الأدب والدين عند قدماء المصريين - أنطوان زكريا : مصر - مطبعة
المعارف ، (١٩٢٣م).

- ١٧- الأديان في تاريخ شعوب العالم - سيرغى توكارييف / ترجمة: أحمد فاضل: دمشق - الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).
- ١٨- الأربعين في أصول الدين - الإمام الفخر الرازي / تقديم وتحقيق: د. أحمد حجازي السقا: القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ).
- ١٩- الأربعين في أصول الدين - الإمام الغزالي / تخريج: عبدالله عبد الحميد عرواني: دمشق - دار القلم، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).
- ٢٠- الأضحوية في المعاد - ابن سينا / تحقيق: حسن عاصي: تهران - شمس تبريزي، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ).
- ٢١- الأعلام - خير الدين الزركلي: بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة (١٩٩٠م).
- ٢٢- الاستنساخ جريمة العصر - محمد نبيل النشواني: دمشق - دار العلم، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م).
- ٢٣- الاقتصاد في الاعتقاد - الإمام الغزالي: مصر - المطبعة الأدبية، الطبعة الأولى.
- ٢٤- الأمانات والاعتقادات - سعد الفيومي: طبعة لندن، (١٨٨٢م).

- ٢٥- الأنساب - الإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني : بيروت - دار الجنان ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).
- ٢٦- الإجازة بين الاجتهاد والسيرة - الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري : بيروت - لجنة إحياء تراث الشيخ الأوحـد الأحسائي قدس سره ، الطبعة الثانية (١٤٢٢هـ).
- ٢٧- الإشكالية المنهجية بين التفكير الفلسفي والاعتقادي (بحث حول مسألة المعاد) مناظرة بين الأستاذ جواي آملـي والأستاذ السيد جعفر سيدان الخراساني - إعداد / مهدي مرواريد - ترجمة / وسام الخطاوي.
- ٢٨- الإعجاز العلمي في السنة النبوية - زغلول النجار : مصر - شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السابعة (٢٠٠٥م).
- ٢٩- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل - الشيخ جعفر السبحاني / تقرير : حسن محمد مكي العاملي : قم - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، الطبعة السابعة (١٤٣٠هـ).
- ٣٠- الإنسان في ظل الأديان - د. عمارة نجيب : المكتبة التوفيقية ، الطبعة الأولى (١٩٧٦م).
- ٣١- الإيمان باليوم الآخر بين الفرق اليهودية - د. إبراهيم شعيب زيدان : (بحث) جامعة الأزهر - كلية الدعوة الإسلامية ، (٢٠١٦م).

- ٣٢- الآيات البينات في قمع البدع والضلالات - الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: بيروت - دار المرتضى، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ).
- ٣٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - الشيخ محمد باقر المجلسي: بيروت - دار إحياء التراث، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).
- ٣٤- بداية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي / تحقيق: عباس علي الزارعي السبزواري: قم - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (١٤١٨هـ).
- ٣٥- البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة - د. علي أرسلان أيدين: استانبول - دار سخا للنشر، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).
- ٣٦- تجريد العقائد - المحقق نصير الدين الطوسي / تحقيق: عباس محمد سليمان: مصر - دار المعرفة الجامعية، (١٩٩٦م).
- ٣٧- تاريخ الديانة اليهودية - محمد خليفة أحمد: دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).
- ٣٨- تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة - فاروق الدمولوجي: بيروت - الأهلية للنشر والتوزيع، (٢٠٠٤م).
- ٣٩- تاريخ إيران القديم، من البداية حتى نهاية العهد الساساني - حسن بيرنيا / ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم، محمد السباعي: القاهرة - المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى.

- ٤٠- تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم: مصر - مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (٢٠١٢م).
- ٤١- تاريخ الفلسفة - فردريك كوبلستون/ ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام: القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).
- ٤٢- تراث الشيخ الأوحـد - الشيخ أحمد الأحسائي - تقديم/ الشيخ توفيق البوعلي: مؤسسة الإحقاقي - الأميرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).
- ٤٣- تهافت الفلاسفة - أبو حامد الغزالي/ تحقيق: سليمان دنيا: القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثامنة (١٩٧٢م).
- ٤٤- التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحـد - آية الله المعظم الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي.
- ٤٥- التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة) - جورج جي، أم، جيمس/ ترجمة: شوقي جلال: القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة، (١٩٩٦م).
- ٤٦- التساعية الرابعة لأفلوطين في النفس - دراسة وترجمة: د. فؤاد زكريا/ مراجعة: د. محمد سليم سالم: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (١٩٧٠م).

- ٤٧- التناسخية (الموسوعة الفلسفية العربية - المدارس والمذاهب والاتجاهات والتيارات) - أحمد عبدالحلم / إشراف: د.معن زيادة: طبع معهد الإنماء العربي ، الطبعة الأولى (١٩٨٨م).
- ٤٨- التنقيح في شرح العروة الوثقى - تقرير بحث السيد الخوئي / تأليف: الميرزا علي التبريزي الغروي: النجف - مطبعة الآداب، الطبعة الثالثة (١٤١٠هـ).
- ٤٩- التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير- ليوتاكسيل / ترجمة: د. حسان ميخائيل اسحق: الطبعة الأولى (١٩٩٤م).
- ٥٠- الثاقب في المناقب - الطوسي / تحقيق: نبيل رضا علوان: الطبعة الثانية (١٤١٢هـ).
- ٥١- جواهر الحكم - السيد كاظم الرشتي: العراق - شركة الغدير للطباعة والنشر المحدودة، (١٤٣٢هـ).
- ٥٢- الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية - الشيخ فاضل الصفار: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ).
- ٥٣- الحكمة المتعالية عند صدر الدين الشيرازي - د. علي الحاج حسن: بيروت - دار الهادي، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).
- ٥٤- الحكمة المتعالية / الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: قم - منشورات طليعة النور، الطبعة الخامسة (١٤٢٥هـ).

- ٥٥- دائرة المعارف الإسلامية (لم يذكر اسم المؤلف) / نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي، أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحמיד يونس: طهران - انتشارات جهاني.
- ٥٦- درر الفوائد في شرح المنظومة للسبزواري - الشيخ محمد تقوي الآملي: قم - مؤسسة دار التفسير، الطبعة الثالثة (١٤١٦هـ).
- ٥٧- دليل المتحيرين - السيد كاظم الرشتي: مطبعة الغدير.
- ٥٨- دين الإنسان - فراس السواح: دمشق - منشورات دار علاء الدين، الطبعة الرابعة (٢٠٠٢م).
- ٥٩- الدين - د. محمد عبدالله دراز: دار القلم.
- ٦٠- الدين بين السائل والمجيب - الميرزا حسن الإحقاقي: الكويت - منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام (١٩٩٢م).
- ٦١- الذخيرة - العلامة علاء الدين علي الطوسي: الهند - دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى.
- ٦٢- الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ آقا بزرك الطهراني: بيروت - دار الأضواء، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).
- ٦٣- رسالة الحكمة العرشية - الملا صدرا الشيرازي / تحقيق: عبد الجواد الحسيني: بيروت - دار المعارف الحكيمة، الطبعة الأولى (١٤٣٧هـ).

- ٦٤- رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها - ابن سينا/ تحقيق :
د. أحمد فؤاد الأهواني : القاهرة - دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى
(١٩٥٢م).
- ٦٥- رسائل الكندي الفلسفية / تحقيق : محمد عبد الهادي أبو ريذة : مصر
- دار الفكر العربي ، (١٣٦٩هـ).
- ٦٦- روضات الجنات - الميرزا محمد باقر الخوانساري : إيران (١٣٠٦هـ).
- ٦٧- زرادشت نبي إيران القديمة - جاكسون : نيويورك ، (١٨٩٩م).
- ٦٨- الزرادشتية ، الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة بناء على
نصوص الأفستا - د. يوسف جشميد : الجزائر - دار الوسام العربي للنشر
والتوزيع ، الطبعة الأولى.
- ٦٩- سيرة الشيخ أحمد الأحسائي - تحقيق / د. حسين محفوظ : بغداد -
دار المعارف (١٩٥٧م).
- ٧٠- شرح العرشية - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : بيروت ،
الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).
- ٧١- شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : بيروت ،
الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).
- ٧٢- شرح المشاعر - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : بيروت -
مؤسسة البلاغ ، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

٧٣- شرح المقاصد - سعد التفتازاني / تحقيق: عبدالرحمن عميرة:
مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

٧٤- شيخكري بابكري - السيد مرتضى الجهار دهي: إيران،
(١٣٨٦هـ).

٧٥- الشفاء - ابن سينا: بيروت - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع، (١٩٨٨م).

٧٦- الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية - الملا صدرا الشيرازي/
تعليق: السيد جلال الدين الآشتياني: إيران - المركز الجامعي للنشر، الطبعة
الثانية (١٩٨١م).

٧٧- الشيخية - محمد حسن آل الطالقاني: بيروت، (١٤٢٠هـ).

٧٨- طبقات أعلام الشيعة - العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني: دار
إحياء التراث، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

٧٩- عقائدنا (بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة والإنجيل)
- د. محمد الصادقي: مؤسسة النور للمطبوعات، الطبعة الثانية (١٩٩٤م).

٨٠ - عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة -
عليوي نائل حنون: بغداد، الطبعة الثانية (١٩٨٦م).

٨١ - عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة - الشيخ عبدالله نعمه الجزائري:
مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

- ٨٢ - عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي - الشيخ إبراهيم القديم: بيروت - دار الباقيات الصالحات ، الطبعة الأولى (١٤٤٤هـ).
- ٨٣ - العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: بيروت - دار البيان العربي ، الطبعة الثالثة (١٤١٢هـ).
- ٨٤ - العرفان والحكمة المتعالية - حسن حسن زاده آملّي.
- ٨٥ - العلامة الجليل أحمد بن زين الدين الأحسائي في دائرة الضوء - محمد علي أسبر: بيروت - دار الأصالة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ).
- ٨٦ - فتاوى في الشيعة - جمع وإعداد: السيد مهدي الموسوي: قم - دار زين العابدين ، الطبعة الأولى (٢٠١٦م).
- ٨٧ - فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط - أحمد فؤاد الأهواني: القاهرة - دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى (١٩٥٤م).
- ٨٨ - فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم - الشيخ عبد الله نعمة: بيروت - دار الفكر ، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).
- ٨٩ - فلسفة ابن طفيل ورسالته حي بن يقظان - د. عبدالحليم محمود: القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية.
- ٩٠ - فلسفة صدر المتألهين الشيرازي - مجموعة مؤلفين / هنري كوربان: بيروت - دار المعارف الحكيمة ، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

٩١ - فلسفات إسلامية - الشيخ محمد جواد مغنية: بيروت - دار الجواد، الطبعة السادسة (١٩٩٣م).

٩٢ - فهرست تصانيف الشيخ الأوحّد - الحاج رياض طاهر: مكتبة الحائري.

٩٣ - فهرست كتب شيخ أحمد الأحسائي وسائر مشائخ عظام - أبو القاسم الإبراهيمي الكرمانّي: كرمان (١٣٦٧هـ).

٩٤ - في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام - د. محمود قاسم: القاهرة - مكتبة الأنجلو، الطبعة الرابعة (١٩٦٩م).

٩٥ - في النفس - أرسطو / تحقيق: د. عبدالرحمن بدوي: القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، (١٩٥٤م).

٩٦ - الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو - و.ك. س جثري / ترجمة وتقديم: د. رأفت حلّيم سيف / مراجعة: د. إمام عبدالفتاح إمام: القاهرة - مطابع الطليعة.

٩٧ - الفلسفة اليونانية - د. عبدالجليل كاظم الوالي: الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م).

٩٨ - الفكر الديني القديم في بلاد وادي الرافدين - تقي الدباغ: بغداد - دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى (١٩٩٢م).

- ٩٩- الفيلسوف الإيراني الكبير صدر الدين الشيرازي - أبو عبدالله الزنجاني : طهران - مطبعة كيهان ، الطبعة الثانية (١٤١٩هـ).
- ١٠٠- قصة الحضارة - ول ديورانت : القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (١٩٦٨م).
- ١٠١- قصة الديانات - سليمان مظهر : القاهرة - مكتبة مدبولي ، (١٩٩٥م).
- ١٠٢- قصص العلماء - الميرزا محمد بن سليمان التنكباني / ترجمة مالك وهبي : بيروت - دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٢م).
- ١٠٣- القاموس المحيط - الفيروزآبادي / إشراف : محمد نعيم عرقسوسي : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة (١٤٢٦هـ).
- ١٠٤- كسر أصنام الجاهلية - الملا صدرا الشيرازي / تحقيق وتقديم : السيد محمد تقى دانش بزوه : شركة دار الوراق للنشر ، (٢٠١٩م).
- ١٠٥- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - العلامة الحلي / تعليق : آية الله الشيخ حسن حسن زادة الآملي : قم - مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة السابعة (١٤١٧هـ).
- ١٠٦- الكافي - الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني : بيروت - دار الأضواء (١٤٠٥هـ).
- ١٠٧- لسان العرب - ابن منظور : بيروت - دار صادر ، (١٩٥٥م).

- ١٠٨- لوامع العارفين في أحوال صدرا المتألهين - محمد خواجهوي : إيران - انتشارات مولى ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).
- ١٠٩- مبادئ الإسلام - أبو علي المودودي : المكتب الإسلامي .
- ١١٠- مدخل إلى العقيدة المسيحية - الأب توماس ميشال اليسوعي / تعريب : علي زيعور : بيروت - دار المشرق ، الطبعة الثانية (١٩٩٥م).
- ١١١- مدخل إلى العلوم الإسلامية - الشهيد مطهري : بيروت - دار الولا ، الطبعة الثانية (١٤٣٢هـ).
- ١١٢- مذاهب الإسلاميين - د. عبدالرحمن بدوي : بيروت - دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية (١٩٩٧م).
- ١١٣- مرآة الكتب - علي بن موسى بن محمد شفيع التبريزي : قم - مكتبة آية الله العظيمة المرعشي ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
- ١١٤- مسار الفلسفة في إيران والعالم - السيد محمد الخامنئي : طهران - مؤسسة صدرا للحكمة الإسلامية ، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- ١١٥- مشكلة الموت عند صوفية الإسلام - مجدي محمد إبراهيم : القاهرة - مكتبة الثقافة الدينية ، (٢٠٠٤م).
- ١١٦- مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار - السيد عبدالله شبر : بيروت - مؤسسة النور للمطبوعات ، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ).

- ١١٧- معجم مقاييس اللغة - أبي الحسن أحمد بن فارس / تحقيق :
عبد السلام محمد هارون : مكتب الإعلام الإسلامي ، (١٤٠٤ هـ).
- ١١٨- مفاتيح الغيب - الملا صدرا الشيرازي : بيروت - مؤسسة التاريخ
العربي ، الطبعة الأولى (١٩٩٩ م).
- ١١٩- مفاهيم القرآن - الشيخ جعفر السبحاني : قم - مؤسسة الإمام
الصادق عليه السلام ، الطبعة الخامسة (١٤٣٠ هـ).
- ١٢٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - أبو الحسن الأشعري /
صححه : هلموت ريتز : دار النشر فرانز شتايز بريسبادن ، الطبعة الثالثة
(١٩٨٠ م).
- ١٢١- منتهى المقال في أحوال الرجال - الشيخ محمد بن إسماعيل
المازندراني : قم - مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأولى
(١٤١٦ هـ).
- ١٢٢- موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي - أحمد شوقي
إبراهيم : مصر - شركة نهضة مصر ، (٢٠٠٤ م).
- ١٢٣- موسوعة مؤلفي الإمامية : مجمع الفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى
(١٤٢٠ هـ).

١٢٤- موسوعة الأديان مهد الحضارات (منشأ الديانات الهندية) - مجموعة مؤلفين: بيروت - المركز الثقافي الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م).

١٢٥- موسوعة الأديان القديمة (معتقدات يونانية ورومانية) - كامل سفعان: القاهرة - دار الندى، الطبعة الأولى (١٩٩٩م).

١٢٦- المبدأ والمعاد - الملا صدرا الشيرازي / تقديم وتحقيق: الأستاذ السيد جلال الدين الآشتياني: الطبعة الثالثة (١٤٢٢هـ).

١٢٧- المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية - سلطان عبد الحميد سلطان: القاهرة - مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).

١٢٨- المشاعر - الملا صدرا الشيرازي / تقديم: هنري كوربان: إيران - شركة افست، الطبعة الثانية (١٣٦٣هـ ش).

١٢٩- المظاهر الإلهية - الملا صدرا الشيرازي / تحقيق: السيد جلال الدين الآشتياني: قم - مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤١٩هـ).

١٣٠- المعاد الجسماني عند الشيخ أحمد الأحسائي - الشيخ علي نقى الأحسائي / تحقيق: الشيخ صالح الدباب: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

١٣١- المعاد الجسماني (إنسان بعد الموت) - شفيق جرادي / تحقيق :
حسين السعلوك : بيروت - دار المعارف والحكمة ، الطبعة الأولى
(١٤٢٦هـ).

١٣٢- المعاد الجسماني - شاكر عطية : قم - منشورات المركز العالمي
للدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

١٣٣- المعاد يوم القيامة - علي موسى الكعبي : مركز الرسالة - سلسلة
المعارف الإسلامية (٣٩).

١٣٤- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية : استانبول - دار الدعوة
(١٩٨٩م).

١٣٥- المغنى (التكليف) - عبد الجبار القاضي / تحقيق : محمد علي النجار
وعبد الحكيم النجار.

١٣٦- المقدمة الكاملة للأسفار - الشيخ محمد رضا المظفر : النجف -
مركز الدراسات العقائدية ، الطبعة الأولى.

١٣٧- المنجد في الأعلام : بيروت - دار المشرق ، الطبعة الثانية
(١٩٩٦م).

١٣٨- الموت في الديانات الشرقية (عرض تاريخي) - حسين العودات :
دمشق - دار الفكر ، الطبعة الأولى (١٩٨٦م).

- ١٣٩- نزهة الأفكار (ترجمة لكتاب "كلمة أي إزهزار در رد مزدوران استعمار") - ميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي / ترجمة: الشيخ حسين بخش الباكستاني : سوريا - مؤسسة فكر الشيخ الأوحـد قَدَّسَ للتحقيق والطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).
- ١٤٠- الهندوسية البوذية السيخية - د. أسعد السحمراني : بيروت - دار النفائس، الطبعة الأولى (١٩٩٩م).
- ١٤١- يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية - فرج الله عبد الباري : القاهرة - دار الآفاق العربية، (٢٠٠٤م).

الفهرس

٥	الإهداء
٧	مقدمة المؤلف
١٩	الفصل الأول: تعريف المعاد وتحديد مصداق البحث
٢١	تمهيد الفصل الأول
٢٣	المطلب الأول: تعريف المعاد
٢٣	المعاد لغة
٢٧	المعاد اصطلاحاً
٣١	المطلب الثاني: تحديد مصداق المعاد في البحث
٣٧	الفصل الثاني: الحياة بعد الموت في الأديان والحضارات القديمة
٣٩	تمهيد الفصل الثاني
	المطلب الأول: الحياة بعد الموت في الأديان السماوية في الحضارات
٤٦	القديمة
	المطلب الثاني: الحياة بعد الموت في الأديان الوضعية في الحضارات
٥٣	القديمة
٥٤	أولاً: الحضارة المصرية القديمة

- ٥٦ ثانياً: الحضارة الهندية القديمة
- ٥٨ ثالثاً: الحضارة الإيرانية القديمة
- ٦٢ المطلب الثالث: الحياة بعد الموت في الحضارة اليونانية

٧١ الفصل الثالث: مسألة المعاد في الحضارة الإسلامية

- ٧٣ تمهيد الفصل الثالث
- ٧٩ المطلب الأول: الأقوال في مسألة المعاد من الجهة الشرعية
- ٧٩ الأول: أقوال المليين
- ٨٥ الثاني: أقوال الماديين
- ٨٦ المطلب الثاني: الأقوال في مسألة المعاد من الجهة العقلية
- ٩١ المطلب الثالث: مسألة المعاد عند المتكلمين
- ٩١ الرأي الأول: إعادة الأجزاء الأصلية دون العرضية
- ٩٤ الرأي الثاني: المعاد الجسماني فقط
- ٩٧ المطلب الرابع: مسألة المعاد عند الفلاسفة المسلمين
- ٩٧ النقطة الأولى: استحالة إعادة المعدوم وشبهة الأكل والمأكول
- ١٠٢ النقطة الثانية: آراء بعض الفلاسفة المسلمين في مسألة المعاد
- ١١٥ النقطة الثالثة: التحقيق في رأي الفلاسفة المسلمين في مسألة المعاد

- ١١٩ **الفصل الرابع: مسألة المعاد عند الملا صدرا الشيرازي**
- ١٢١ تمهيد الفصل الرابع
- ١٢٢ المطلب الأول: مختصر سيرة الملا صدرا الشيرازي
- المطلب الثاني: رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد من
- ١٢٧ الناحية الشرعية
- المطلب الثالث: رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد من
- ١٣١ الناحية العقلية
- النقطة الأولى: نظرية الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد
- ١٣٢ الجسماني
- ١٣٦ الجهة الأولى: إن المُعاد هو الصورة دون المادة
- ١٣٨ الجهة الثانية: إن المُعاد هو الصورة وإن تبدلت وتغيرت المادة
- ١٤٠ النقطة الثانية: التحقيق في نظرية الملا صدرا الشيرازي
- ١٤٥ أولاً: من جهة النظر الأولى (إن المُعاد هو الصورة دون المادة) ...
- ثانياً: من جهة النظر الثانية (إن المُعاد هو الصورة وإن تبدلت
- ١٤٧ وتغيرت المادة)
- النقطة الثالثة: أقوال بعض العلماء في رأي الملا صدرا الشيرازي في
- ١٥٣ مسألة المعاد الجسماني

- الأول: الميرزا أحمد الأشتياني ١٥٣
- الثاني: العلامة المحقق الشيخ محمد تقي الآملي ١٥٧
- الثالث: السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني ١٥٨
- الرابع: الشيخ الأوحـد الأحسائي ١٥٩
- النقطة الرابعة: خلاصة رأي الملا صدرا الشيرازي في مسألة المعاد
- الجسماني ١٦٠

١٦٣ الفصل الخامس: مسألة المعاد عند الشيخ الأوحـد الأحسائي

- تمهيد الفصل الخامس ١٦٥
- المطلب الأول: مختصر سيرة الشيخ الأوحـد الأحسائي ١٧١
- النقطة الأولى: سيرته بخط قلمه الشريف ١٧٢
- النقطة الثانية: سيرته العلمية ١٩١
- النقطة الثالثة: مصنفاته ٢٠٣
- النقطة الرابعة: وفاته ٢٠٥
- المطلب الثاني: تكفير الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد
- الجسماني ٢٠٦

المطلب الثالث: بعض نصوص الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة	
المعاد الجسماني	٢٢٢
النص الأول: رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني .	٢٢٣
النص الثاني: من الرسالة الخاقانية	٢٣٢
النص الثالث: من رسالة في بيان اصطلاحه في الجسم والجسد	٢٣٣
النص الرابع: من كتابه شرح العرشية	٢٣٥
النص الخامس: من كتابه شرح الزيارة الجامعة	٢٣٩
المطلب الرابع: مسألة المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحـد	
الأحسائي	٢٤٣
النقطة الأولى: نظرية الشيخ الأوحـد الأحسائي في مسألة المعاد	
الجسماني	٢٤٤
أولاً: حركة النفس الإنسانية في قوس النزول	٢٤٦
ثانياً: حركة النفس الإنسانية في قوس الصعود	٢٥٤
النقطة الثانية: التحقيق في نظرية الشيخ الأوحـد الأحسائي	٢٥٨
الأمر الأول: في تصور الجسدين	٢٦١
الأمر الثاني: في مصطلح هورقليا	٢٦٣

النقطة الثالثة: العلم الحديث يثبت تحليل الجسد العنصري وبقاء

٢٦٨ الجسد الأصلي

٢٦٩ أولاً: تحليل الجسد العنصري

٢٧١ ثانياً: بقاء الجسد الأصلي

٢٧٩ الخاتمة

٢٨٧ المصادر والمراجع

٣٠٧ الفهرس